

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية



العدد 284 • السنة الثانية والثلاثون • دعوة الحق • ذو الحجة 1411هـ / يوليوز 1991م

نعيدك يا مولاي عيد مبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ

إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

صدق الله العظيم

معاشر المسلمين،

إنّ من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين، أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا بها شريعة فطرية في مبادئها، منطقية في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل. ففي نطاق مبادئها وقواعدها والمحافظة على روحها يمكن لكل مجتمع أن يبلغ غاية ما يطمح إليه من التطور والنمو، والكمال والسمو. بل كلما تقدمت البشرية خطوة إلى الأمام، وجدت مثل الإسلام العليا سابقة لها متقدمة عليها، تضيء لها الطريق على الدوام، وإنما يتوقف الأمر على من يستوعب نصوصها، ويدرك مقاصدها ويتفهم أسرارها ويأخذ على عاتقه أن يستخرج نفائسها ودررها، وذلك أمر مرهون بإعداد مجموعة كافية من العلماء والمفكرين، يكونون - مثل سلفهم - مستوفين لشروط الاجتهاد والنظر في أصول الدين، ويكرسون جهودهم لإحياء تراث الإسلام الثمين، وصياغته صياغة جديدة تجعله في خدمة جماهير المسلمين.

من رسالة أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني
إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر
الهجري

تهنئة

مولانا أمير المؤمنين وسبط الرسول الأمين
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أدام الله عزكم
ونصركم، وخلد في الصالحات ذكركم.

تحل في هذه الأيام الغر على ربوع المملكة السعيدة ذكرى ميلادكم الميمون الطافحة بالبشائر، الواعدة بالآمال العذاب لشباب الأمة المغربية العزيزة بمناسبة عيد الشباب المجيد عيد التجدد والتطلع والبناء والتشييد.

وبهذه المناسبة الغالية، يسر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وأسرة مجلة "دعوة الحق"، أن ترفع إلى مقامكم الكريم، أعز الله أمركم، أسمى آيات ولائها وإخلاصها إلى سدتكم العالية بالله وأعطر باقات تهانيها ومتمنياتها إلى جلالتكم المنيفة ضارعة إلى المولى العلي القدير أن يجعل هذه الذكرى وأمثالها على جنابكم

الشريف منارات إسعاد وإقبال، وعلى شعبكم الوفي الملتف حول عرشكم العلوي، وعلى شباب هذه الأمة عدة المستقبل وعمدة الغد الباسم واحات خير ويمن وارفة الظلال.

حفظكم الله يامولانا بما حفظ به الذكر الحكيم، ودمتم بنصره مؤيدين، وبعزه محفوظين وبتوفيقه معززين للوصول بهذه الأمة إلى أعلى غاياتها، وأسنى مطامحها في التقدم والازدهار والعزة والمنعة والهناء والأمان.

وسدد خطاكم ووفق مسعاكم في الأعمال الريادية التي تضطلعون بها بحكمة وعزيمة لخير العرب والمسلمين تأثيلا لمجدهم السالف وتحقيقا لغدهم المشرق الواعد.

وأقر سبحانه عين جلالتكم بولي عهدكم المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد وبصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وكافة أفراد الأسرة الملكية الشريفة. إنه سميع مجيب.

وهب الإله بلادك التوحيدا
وحبا المهيمن عرشك التأييدا
والدهر يفخر والمواطن تزدهي
والخير يصحب عهدك المحمودا
والله شاء فكان عرشك بيننا
كالشمس تملأ بالضياء وجودا



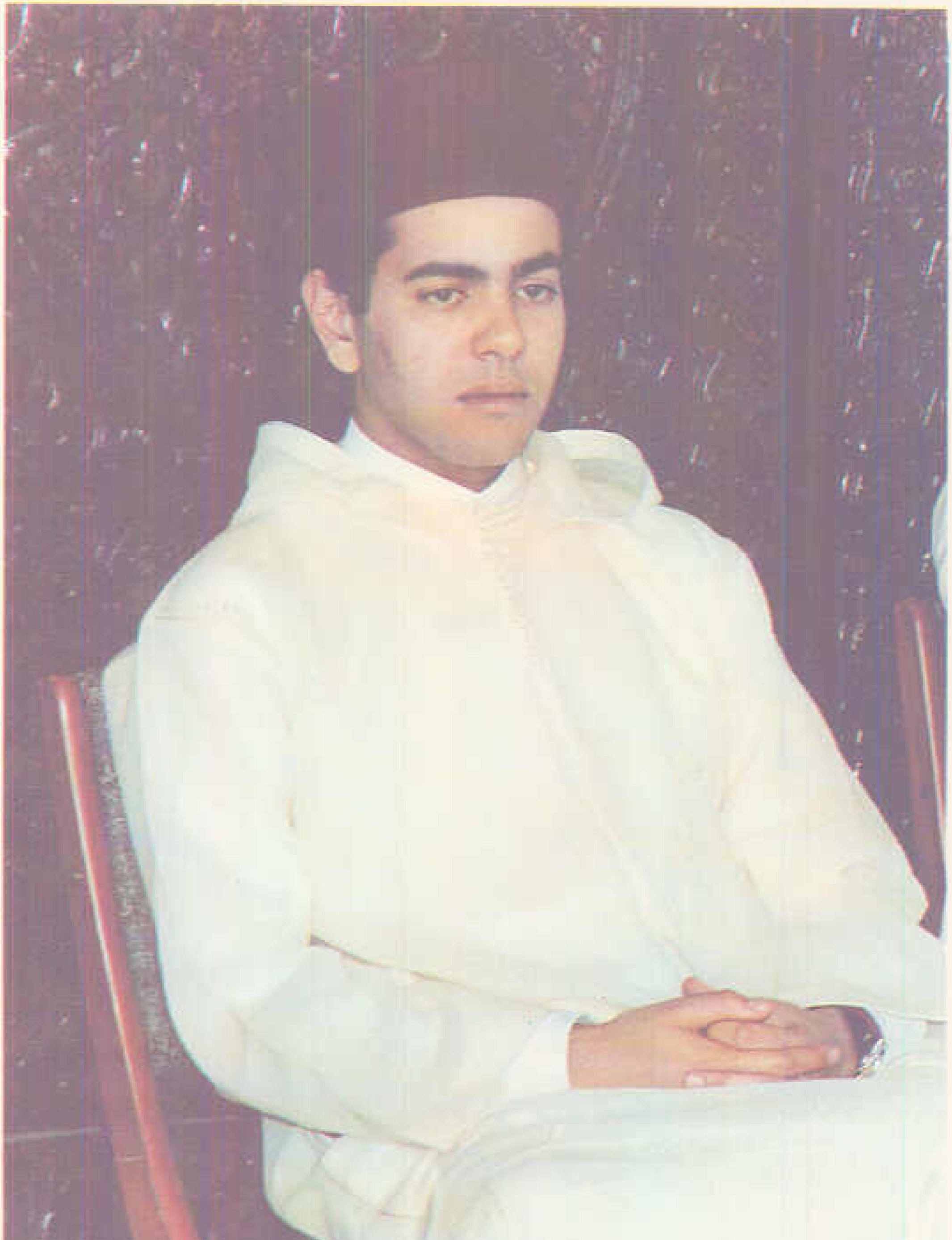
صاحب السمو الملكي ولي العهد
الأمير الجليل سيدي محمد
حفظه الله



صاحب السمو الملكي

الأمير السعيد مولاي رشيد

حفظه الله



افتتاحية العدد

أكرم بها من ذكرى وأسعد بها من بشرى

إنها حقا مناسبة كريمة طيبة، وفرحة وطنية عارمة، هذه التي يحتفي بها المغرب من أقصاه إلى أقصاه في التاسع من شهر يوليوز كل سنة، ويخلد بها ذلكم الحدث السعيد، المتمثل في ميلاد أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، أمد الله في عمره، وبارك في حياته، وحفظه بما حفظ به السبع المثاني، مناسبة عزيزة وذكرى عظيمة، وجليلة جلال قدر صاحبها، ومقامه العالي بالله.

وارتباط هذا العيد وذكراه بالشباب، يوحي بأكثر من دلالة ومغزى، ويرمز إلى أكثر من هدف معنى.

فقد كان إنشاء هذا العيد الوطني السعيد في عهد جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه سنة 1956م، لينضاف إلى سلسلة الأعياد الوطنية التي تعتز بها الأمة المغربية وتفتخر بها، وتعتبرها دائما رصيداً حضارياً، ومجداً أثيلاً، وذخراً ثميناً من المفاخر والأمجاد التي كسبها المغرب وحققها، ونالها باليقين والجهاد والصبر والثبات الآباء والأجداد، وليكون مناسبة متجددة، ووقفة سنوية،

1

تبرز مدى الاهتمام الكبير الذي يحظى به الجيل الصاعد، وشبابه من أبناء الأمة المغربية، وتظهر ما ينبغي أن يكون عليه الشباب، باعتباره عمدة الأمة وعدتها، وعصب الأمة وقلبها النابض. فعلى فكر الشباب المسلم وثقافته، وعلى مستوى تكوينه وسعة أفقه، وعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ووعيه ونضجه، وجدّه وإخلاصه لدينه ووطنه، يقوم بناء الأمة ويشاد صرحها، وعلى تلك الأسس القويمة تنهض الأمة ويرتفع مقامها، ويعلو شأنها بين الناس، وترقى حضارتها المادية والمعنوية، وتسعد في حياتها الدينية والدنيوية، ويكون شبابها المتجدد مظهراً لاستمرارها، وعنواناً لحيويتها وطموحها ونشاطها، ومحط أملها ورجائها في الحاضر والمستقبل.

إن ذكرى عيد الشباب ومناسبتها الغالية ستظل دائما وأبداً تشرئب لها الأعناق، وتتشوف لها الأنظار، وترتاح لها القلوب، وتبتهج بها النفوس، لما تحمله في كل سنة للأمة المغربية، وتأتي به للنشء الصاعد من أبنائها وشبابها من المبادرات السارة، والبشائر الخيرة التي تبعث الأمل والطموح، وتنعش النفوس، وتوقظ الهمم، وتحرك العزائم لمواصلة العمل الذي لا يعرف الكلل والملل، في مسيرات متواصلة من البناء والعطاء والتشييد، والإنتاج والابتكار والتجديد، والحفاظ للأمة المغربية على وحدتها، ومقدسات دينها ووطنها، بروح إسلامية متفانية، وإرادة وطنية صادقة مخلصة.

فقد عودتنا هذه المناسبة الكريمة، وهذه الذكرى العزيزة، من خلال الخطابات الملكية السامية التي يلقيها أمير المؤمنين، ويوجهها جلالته بالمناسبة إلى شعبه الوفي الكريم،

أن تحمل في جوهرها وعمقها، وصدق لهجتها ونصاعة بيانها، بشائر الخير والنماء، وأن تقترن بجليل المنشآت، وعظيم المنجزات، التي تتحقق باستمرار في كل مجال وميدان. عودتنا أن تغرس في الأمة وتنفخ في روح أبنائها وشبابها المزيد من حب الوطن، والتعلق بقيمه، والتفاني في خدمته، ومن قوة التمسك بالدين والاعتصام بحبله المتين، والتشبث بمكارمه وفضائله، والتوجيه الصالح السليم الذي يشعرهم بالمسؤولية، ويجعل منهم شباب رسالة إسلامية، وعراقة دينية، وأصالة حضارية، ويرشدهم للجمع بين العمل للدنيا والدين في نصائح ثمينة، ودرر غالية، ترسم الخطى الثابتة، وتضع الأسس والبرامج الموفقة، وتؤصل المرتكزات الضرورية لتحقيق مشاريع مستقبلية تزيد من الرخاء والهناء، وإسعاد الوطن والمواطنين، وتحقق لهم الكرامة والعزة التي وعد الله بها من اصطفاهم من رسله، وأحبهم من عباده الصالحين، في قوله الكريم: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

إنها ذكرى وطنية متجددة، ومناسبة طيبة خالدة، متأصلة الحب والإجلال، تتاح فيها الفرصة للتعبير عن الوشائج القوية، وإبراز الأواصر المتينة التي تجمع بين العرش العلوي المجيد وشعبه المغربي العتيد، وإظهار مدى التعلق به، والطاعة والولاء والإخلاص والوفاء للجالس عليه، رائد البلاد الملهم، وقائدها الموفق المظفر، رمز سيادتها واستقرارها، وضامن وحدتها وازدهارها، سليل الدوحة النبوية، وفرع الدولة العلوية الشريفة، مبدع المسيرة الخضراء ومحرر الصحراء، أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، أدام الله نصره وحفظه.

هـذا العرش العلـوي الشريـف، الـذي يعيش المغـرب في ظلاله الوارفة عيشة هناء واستقرار، وينعم في عهده الحسني الزاهر الميمون بـوافر الرخاء والاطمئنان، ويهنأ فيـه بالملكية الدستورية التي ترعى لهذا البلد الكـريم مصالح أمور الدنيا والديـن، وتقوم على البيعة الشرعيـة التي جـاء بها الإسلام لتنظيم العلاقة بين الراعي والرعية، وما تقتضيه من الالتزام بالطاعـة والولاء والإخلاص لأولي الأمر مـن المسلمين، وتهتم بقضايـا العروبة والإسـلام في كل مكان وحين، وفي مقـدمتها قضية المسجد الأقصى والقدس الشريف وفلسطين المجاهدة، والسعي في إنقاذها وإرجاعها إلى حظيرة الإسلام والمسلمين.

ولله درّ القائل في شخـص أمير المؤمنين جـلالة الحسـن الثاني، وهو يرعى لهذا البلد شـؤون الدنيا والدين، ويسعى لرأب الصدع، وجمع الكلمة، والإصلاح بين المسلمين.

يـاأيها الملـك المحمـود سيرتـه ... في كـل علم لكـم بحث وإمعـان
رفعت شان علوم الدين مجتهدا ... كما لكـم سما بين الورى شـان

فبـارك الله في حيـاة مـولانـا أمير المؤمنين، وأبقاه ذخـراً ومـلاذاً للوطـن والمسلمين، وأدام على جلالتـه نعمة الصحـة والعـافيـة، وأعاد عليه أمثال هـذه الذكرى بالسعـادة واليمن والهنـاء.

وأقر عينه بولي عهده المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير الجليـل سيدي محمـد، وصنوه المجيـد سمو الأمير السعيـد مـولاي رشيد، وكـافـة أسرته الملكيـة الشريفـة، إنه سميـع مجيب.

دعوة الحق

الرِّسَالَةُ الْمَلَكِيَّةُ السَّامِيَةُ
المُوَجَّهَةِ إلى الحُجَّاجِ المَيَامِينْ
بِمُنَاسَبَةِ مَوْسِمِ حَجِّ عَامِ 1411

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

حجاجنا الميامين،

ها هو موسم الحج قد أشرقت أنواره وهو مناسبة دينية كريمة تجعل المسلمين في كل مكان ينبعث شوقهم ويتجدد حنينهم إلى البقاع المقدسة التي جعلها الله مبعث نبينا الأمين ومهبط الوحي على رسولنا الكريم وخصها وشرفها بكل تقديس وتكريم وتعظيم وجعل الكعبة المشرفة قبلة المسلمين في الصلاة وأمنا وأمانا: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)

وقد اعتدنا في مثل هذه المناسبة أن نوجه إلى حجاجنا الميامين رسالة نذكرهم فيها بما يجب عليهم ونزودهم فيها بنصائحنا وتوجيهاتنا بوصفنا أميرا للمؤمنين وحاميا لحمى الوطن والدين في بلدنا الأمين سيرا على نهج أسلافنا المنعمين وحفاظا على سنة أجدادنا الأكرمين حتى يكون حجهم مبرورا وسعيهم - إن شاء الله - مشكورا.

.../...

حجاجنا الميامين

إعلموا هداكم الله وأصلح بالكم ولكل خير وبر أرشدكم أن فريضة الحج عبادة تشخص الوحدة الإسلامية القائمة بين كافة المسلمين وتحقق أخوتهم الدينية وتوثق عرى التآلف بين قلوبهم المومنة وأواصر التجاوب والتقارب بين نفوسهم المطمئنة وتغرس فيهم روح الصفاء والمودة والإخلاص والتناصح والثقة وفضيلة التعاون على الخير والبر والحق والتقوى وكل مافيه صلاحهم وسعادتهم دنيا وأخرى.

واعلموا أن المسلمين اليوم أحوج مايكونون إلى مايقوي وحدتهم ويجمع شملهم ويلم شتاتهم ولن يتم ذلك إلا بالرجوع إلى الله عز وجل الذي أمرنا بالوحدة ونهانا عن الفرقة فقال سبحانه: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون). وقال تعالى:

.../...

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .) وَقَالَ رَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم : عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالجَمَاعَةِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً .

وَقَدْ أَمَرَنَا الحَقُّ سُبْحَانَهُ بِأَنْ نَعْتَبِرَ المُسْلِمِينَ جَمِيعًا إِخْوَةً فَقَالَ : (إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .) وَإِذَا كَانَتِ الظُّرُوفُ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا العَالَمُ الإِسْلَامِيُّ اليَوْمَ قَدْ جَعَلَتِ الأَخَ يَحْمِلُ السِّلَاحَ ضِدَّ أَخِيهِ مُتَنَكِّرًا لِهَذِهِ القِيَمِ وَالأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ رَاكِبًا مَرْكَبَ العَدَاوَةِ وَالعَصَبِيَّةِ فَإِنَّهُ آنَ الأَوَانُ وَنَحْنُ عَلَى أَبْوَابِ مَوْسِمِ الحَجِّ أَنْ تَكُونَ تَلْبِيَتُنَا بِنِيَّةِ الوَحْدَةِ وَالتَّضَامُنِ وَالتَّعَاوُنِ وَالإِخَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالمَحَبَّةِ الطَّاهِرَةِ النَّقِيَّةِ الَّتِي لَا يَشُوبُهَا حِقْدٌ وَلَا حَسَدٌ وَلَا بَغْضَاءُ ، وَأَنْ يَكُونَ دُعَاؤُنَا وَتَضَرُّعُنَا بِأَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ شَمْلَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَيُوَحِّدَ صُفُوفَهَا وَيُوَفِّقَ قَادَتَهَا لِمَا فِيهِ خَيْرُهَا وَصَلَاحُهَا .

حُجَّاجَنَا المَيَامِين

إِنَّنَا مَا فَتِئْنَا نُولِي رِعَايَةً خَاصَّةً وَعِنَايَةً فَائِقَةً لِعِبَادَةِ الحَجِّ فِي الإِسْلَامِ ، وَنُصْدِرُ فِي شَأْنِهَا التَّعْلِيمَاتِ وَالتَّوْجِيهَاتِ إِلَى حُكُومَتِنَا المُوَقَّرَةِ ، وَإِلَى وَزِيرِنَا

.../ .

في الأوقاف والشؤون الإسلامية بكيفية خاصة
للعمل على تيسير أداء هذه الفريضة الإسلامية
لكل من توفرت له الاستطاعة من رعايانا
الأوفياء، والسهر على توفير الوسائل الضرورية،
واتخاذ الإجراءات والترتيبات اللازمة الكفيلة
بتحقيق ذلك، سواء بالنسبة للمواطنين
المتوجهين من داخل المملكة أو خارجها،
فكونوا رعاكم الله على ما عهدناه فيكم من
انتظام وخلق حسن وتعاون كامل مع الأطر
التي جعلناها في خدمتكم، واحترام تام
للتنظيمات المتعلقة بالحج والتي تسهر السلطات
السعودية على تطبيقها بتفان وإخلاص،
وذلك بتوجيهات شقيقنا خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله.
واذكروا في كل وقت وحال أن
الحجاج في وفادة الله وضيافته الكريمة

.../.

فَعَمَلُهم الصَّالِحُ مُثابٌ عَلَيه وَمأجورٌ، وَاستغفارُهم مَقبولٌ، وَدُعاؤهم مُستَجابٌ مِصداقاً لقول نبيِّنا الأكرم عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ: "الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفدُ الله، إنْ دَعوهُ أجابَهُمْ، وإنْ استَغفَروهُ غَفَرَ لَهُمْ".

فتذكَّروا ما عَلَيكُم من حَقِّ الدُّعاء لِعاهلكُمْ وَملك بَلَدكُم، السَّاهِر عَلى رَاحَتِكُم وَسَعادَتكُم وَاستقراركُم وَاطْمئنانكُمْ، وَمَصالِحِ وَشؤون دينكم وَدُنياكم، وَما لوطَنكُم الذي تَنتَمونَ إليه منْ وَاجب الدُّعاء.

فاستحضرونا في تلك البقاع المقدَّسة، وَعندَ مَناسك الحَجِّ وَالعُمرة، وَفي المسْجد النَّبويِّ، وَعند الوُقوف أمامَ الرَّوضَة الشَّريفَة، وَزَوِّدونا بخالِصِ الدُّعاء وَصالِحه، وَاسْألوا اللهَ لنا في ذَلكَ المقامِ أنْ يُديمَ لنا نَصْرهُ وعِزَّهُ، وَسَدادَهُ وَتوْفيقَهُ، وَأنْ يُسبِغَ علينا نعمة الصِّحَّة وَالعافية للنُّهوضِ بمسْؤوليتنا الدِّينيَّة وَالدُّنيويَّة، وَأن يُحقق لَنا ما نَصْبو إليْه ونَطمَحُ من رَأبِ الصَّدعِ للأمَّة الإسلاميَّة، وَجمع شملها وَكلمتها لما يخدمُ قضاياها

.../...

المصيرية. ويعجل بتخليص المسجد الأقصى والقدس الشريف، وإنقاذه وإعادته إلى حظيرة الإسلام والمسلمين، وتوجهوا إليه سبحانه أن يرينا في ذريتنا وفلذات كبدنا، وفي بلدنا وشعبنا، وكافة شعوب المسلمين وبلادهم ما يقر عيننا، ويبهج نفسنا ويثلج صدرنا، ويريح ضمائرنا، ويزيدنا عزا ونصرا بالإسلام واليقين والإيمان، وأن يرسل شآبيب الرحمة والغفران وسحائب الرضى والرضوان على والدنا المنعم، جلالة المغفور له محمد الخامس، وأن يطيب الله ثراه، وأن يسكنه فسيح الجنان مع الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم، وأن يجمع سبحانه شمل المسلمين ويوحد كلمتهم على الحق والنصر المكين، ويوفقهم لما يحبه ويرضاه، ويكون فيه صلاحهم ومجدهم وعزهم على الدوام.

جعل الله حجكم مبرورا، وسعيكم مشكورا وذنبكم مغفورا، وكتب لكم السلامة والعافية

.../.

فِي الذَّهَابِ وَالإِيَابِ، وَالحَلِّ وَالتِّرْحَالِ، وَأَعَادَكُمْ إِلَى أَهْلِكُمْ وَذَوِيكُمْ وَوَطَنِكُمْ وَأَقَارِبِكُمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ، سُعَدَاءَ مَسْرُورِينَ. إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ.

عواطف ومشاعر
إلى
رمز المكارم والمفاخر

مولانا أمير المومنين وسبط الرسول الأمين
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
أدام الله عزه وعلاه

بمناسبة عيد الشباب المجيد
والذكرى الميمونة لميلاد جلالته السعيد

يا عاهلاً جدّد الدّين الحنيف وقد
توطّدت بك للإسلام أركانُ

القصيدة التي ألقاها بين يدي أمير المومنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعز الله أمره فضيلة العالم الشاعر الأستاذ محمد صالح (من علماء الصين)، وذلك خلال الحفل الديني الكبير الذي ترأسه جلالته حفظه الله برحاب القصر الملكي العامر بالرباط إحياء لليلة القدر المباركة مساء يوم الجمعة 26 رمضان المبارك ١٤١١ هجرية، الموافق لـ 12 أبريل ١٩٩١ ميلادية.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا صاحب الجلالة، أحمد الله الذي أتاح لي التشرف بالمثول بين يدي جلالتكم لإلقاء هذه القصيدة التي تعبر عن عواطفي، أدام الله جلالتكم في عز وإقبال، وحقق لكم ما ترجونه من فوز الآمال.

فَيضُ الدّموع على الخدّين هتّان ... من لوعة الحبّ قلبي اليوم ولهانُ
أرنو إلى المغرب الأقصى المحبّب إذ ... تأجّجَتْ في فؤادي منه نيرانُ
هَواكَ يُلهمني شعراً فيعذبُ لي ... به غناءٌ وتغريدٌ وألحانُ
في القُرب قد كان لي كلّ السّرور كما ... في البُعد في القلب من ذِكراك أشجان
قلبي المُعَنّى بنار الشّوق ملتهبٌ ... كم سُهِّدَتْ بالتنائي عنك أجفانُ
فقلتُ والعين منهل مَدامعُها ... إلى متى أنا طول اللّيل سهرانُ
يا ساكني المغرب الأقصى بغيبتكم ... ما زال يُوحِشني نأيٌ وهجرانُ
يا ما أُحَيْلَى السويعات التي سلفَتْ ... معكم وإني قرير العين جذلانُ



وكنتُ دومًا مدى الأيام أشكركم ... لو كان يوفي بما في القلب شكرانُ
أخٌ لكم من بلاد الصين قاصدكم ... هل عندكم لغريب الدار سلوانُ
تحية من بلاد الصين أرسلها ... قومٌ إليكم، لكم في الدين إخوانُ
إلى الأخوة يدعو كلّ ما نفسه ... من الأخوة أنواع وألــوانُ
المسلمون وإنْ كانتْ شعوبهم ... شتّى ولكنهم في الله إخوانُ
دلّتْ عليه أحاديث النبيّ كمــا ... أوصى به بصريح القول قــرآنُ
شاهدتُ بالمغرب الأقصى معالمه ... فيها ازدهار وتجديدٌ وعمرانُ
كأنها جنة خضراء ذات نضــا ... رة أريجتها مسك وريحانُ
فكيف لا وأميرُ المومنين بــه ... كلّ المواطن والآفــاق يزدانُ
أكرمْ به من إمامٍ عاهلٍ ملكٍ ... بذكره سار في الآفــاق ركبانُ
منذ اعتلى العرشَ أجدادٌ له سلفوا ... قد عمّ بين الورى علم وعرفانُ
ولّاه مولاه أمرَ الدين ينصــره ... وحوله من جنود الحق أعوانُ
شعاره العــدل والتقوى مرافقه ... فلا يدانيه في تقواه سلطانُ
حلو الشمائل محمودُ الخصال فلا ... يحصي مناقبه نظمٌ وأوزانُ
فاق كلَّ الورى جوداً ومكرمةً ... كم ظامئٍ بنداه اليومَ ريّــانُ
ما قاصدٌ من رجالِ العلم ساحتَه ... إلّا له منه إكرامٌ وإحسانُ
لدى جلالته تلقى الدروس كما ... بجهده شيّد للإسلام بنيانٌ
سموّه لاح في أسمى مظاهره، ... في الكفّ مسبحةٌ والوِردُ فرقانُ
حفّتْ ملائكةُ الرحمن محفلَهُ ... فذاك حفلٌ بذكر الله ملآنُ
في كلّ عامٍ بشهر الصوم مجلسه ... بالدرس والبحث معمورٌ ومزدانُ
جمٌّ غفيرٌ من الحفّاظ والعلماء ... الغرّ للملك المضياف ضيفانُ
أفاضلُ علماء العصر أجمعهم ... في حلبة العلم والتحقيق فرسانُ
هم قادة الدين أعلام جهابذة ... بهم أقيمتْ لدين الله أركانُ

يا أيّها الملك المحمود سيرتُه ... في كلّ علم لكم بحثٌ وإمعانُ

رفعتَ شأن علوم الدّين مجتهداً ... كما لكم قد سما بين الورى شانُ

تهفو إليك دعاة الحق قاطبةً ... وأنت للدّين والإسلام برهانُ

أعطاك ذو الفضل فضلاً لا يعادِلُه ... فضلٌ، فأنت لعين الفضل إنسانُ

عقلاً ونبلاً وعرفاناً وتبصرةً ... على الأنام لكم فضلٌ ورجحانُ

يا عاهلاً جدّدَ الدّين الحنيفَ وقد ... توطّدتْ بك للإسلام أركانُ

بَنَيْتَ للمجد صرحاً شامخاً وله ... شأن كبير فلا يعلوه كيوانُ

قُدتَ المسيرات نحو المكرُماتِ وقد ... تشرّفَتْ بك أقطارٌ وأوطانُ

مسيرةٌ إثر أخرى جلّ موقعها ... تسمو بك الدهر أعصار وأزمانُ

عبّأت شعبك للعليا فأدركها ... والمكرُمات له شأوٌ وميدانُ

فحقّقوا كلّ نصرٍ في مسيرتهم ... للغاصبين بعون الله ما دانوا

ووحدة المغربِ الأقصى موطّدة ... تزيّنها نهضة كبرى وبنيانُ

نظمتُ من فرط إخلاص وعاطفة ... إليك نظماً فما لي فيه إتقانُ

فكيف أُحسِنُه والعقلُ بين يدي ... جَلالةِ الملك المفضال حَيْرانُ

فبارك اللهُ مسعاكم وحفّكم ... دوماً من الله توفيق ورضوانُ

أقرّ عينيك بالنّجلَيْن فضلهما ... على السّعادة والإقبال عنوانُ

فَلْيُبقِكَ اللهُ للدّين الحنيف وللبلاد ذُخراً فلا يمسَسْكَ خُسرانُ

محمد صالح

(من علماء الصّين)

عيد ميلادك عيد الأمة

للأستاذ أحمد مجيد بنجلون
مستشار قانوني بالديوان الملكي

إذا كـان مـن الحقـائق المسلـم بها، والمعطيات المتفـق عليها، أن التـاريخ يعيـد نفسه، فـإن الأعراف والتقـاليد تنبعـث من الحاجة، وتخضع للقاسم المشترك بين أبناء نفس المجمـوعـة البشريـة، وتنمـو بقـدر جدواها وفاعليتها، إلى أن تفرض عناصرها ومـدلـولها على مختلـف مجالات الحيـاة، فتصبـح شرطا لازمـا، ومعيارا ضروريـا، ومقياسا يكترث بـه كل ذي وعي وإدراك، عند تقييمه لحدود حضارة من الحضارات، أو بحثه حول ثروتها المبدئية، وعمق تفكير أبنائهـا، ودرجة سمو مبـادئها وأخـلاقها. ذلك أن التقـاليد بنات عنصريـن أساسين: حاجة وغاية، وكلاهما ينم عن مدى حسن الطويـة، وبعد النظـر، وصيانـة الأعراض، والامتثال لما يأمر به الرحمان.

فليس كـل عرف صـالحا، بل إن كثيرا مـن العادات تتـوفر في مجتمـع معين على تحبيذ مطلق، بينما تتعـرض لانتقاد لاذع في غيره، إن لم يـــرفـض العمـــل بها وتطبيقها. وقـد يرجع السبـب في ذلك إلى ضعف أو فقدان أحـد العنصرين المبررين لـوجودهـا: فـإمـا أن تكون الحاجـة غير هادفـة، وإما أن تكـون الغايـة المتوخـاة ليست في المستوى المعنـوي المرغوب فيه. وقديما قيل: الحقيقة نسبية، وأن ما يومن بـه البعض لا يكـون دائما حقيقة أكيـدة بالنسبة للآخرين.

إلا أن بعض الأمم امتازت عبر التاريخ بحسـن اختيـارهـا، وجـودة انتقـائهـا، وقـدرتها على التفكير الصالـح، والابتكـار الوجيـه، خصوصـا إذا نشأت على هـدى

وتقوى من الله، وشبت في أحضان الإيمان، وترعرعت في جو يهيمن عليه الانقياد إلى ما أوحى به الخالق. فهي طبعا تخضع لما تمليه الطبيعة، وينسفه المناخ، ويدعو إليه وجوب الدفاع عن الصحة البدنية، ولكن جميع مؤهلاتها تدفعها إلى اختيار الحل المناسب لطموحها، المواكب لأهدافها، المتجانس مع معتقداتها، فتحسن الخيار والاختيار، وتصبح مثالا يقتدى، ونموذجا يحتذى برصيدها الخلقي، ووفرة تقاليد مثالية، وأعراف نموذجية.

وهذا بالضبط، هو ما عرفه المغرب عبر تاريخه المجيد، وحقق معالمه على ممر الأحقاب والقرون، بفضل وحدة عقيدته وصفوفه، وتلاحم أجزائه، وتضامن أفراده، وشعوره بوجوب الدفاع عن وجوده وكرامته، وتصديه للتحديات والمؤامرات، فلم يبخل قط بالمجهود اللازم، والتضحيات الجسيمة، راضيا ومستميتا، وضامنا لنفسه ولأبنائه تقاليد عريقة لم تزدها الممارسة إلا نصاعة ومتانة.

إن موقع المغرب الجغرافي عرضه لكثير من الأخطار، وجعله وجهة المغرضين والمكتسحين، فعانى من مؤامراتهم وعنادهم، ولكنه حقق في كل مرة تلك الانتصارات التي مكنته من تعزيز مكانته، وصيانة سيادته. ولم يتأت ذلك إلا بفضل الجهاد الذي خاضه باستماتته التي أصبحت تقليدا لا يقبل الشك، وحقيقة لا تحتاج إلى برهان. ولم يمكن ذلك إلا بفضل الروح النضالية التي أعربت عنها باستمرار أجيال أبنائه في الماضي، والتي تطبع مواقفهم في الحاضر، تلك الروح التي تستمد مقوماتها من حقيقة لا جدال فيها، وهي أن الإنسان المغربي ذو إيمان وطموح، وإرادة واستعداد ووعي، وهذه هي مميزات الشباب.

ذلك أن الشباب إحساس وإدراك، ملكة واستعداد، مدلول لا يعتريه أي مركب، تحفز، وقابلية للعمل المجدي دون تردد ولا هوان، ولع ووجدان يحرك الساكن في خدمة الطموح، اشتياق إلى ما هو أفضل، ومجهود مسترسل لتحقيقه بيقظة وانتباه وسهر، حتى لا تضيع الفرصة وتنقضي المناسبة.

يقين بأن الإنسان خلق لحمل الأمانة من المهد إلى اللحد، إباء ورفضا للاستسلام أمام المشاكل وإن استعصت، والعقبات ولو تكررت وتشعبت. الشباب، أجمل شباب، هو شباب الفكر الذي يدوم ويبقى بعد أن تنتهي وتنقضي مرحلة الشباب، فكم من شاب لم يعرف من شبابه الا مرور الأيام، وكم من شيخ فرض وجوده بشباب منجزاته ومبادراته.

إن الاحتفال بعيد الشباب، ابتكار جادت به عبقرية جلالة الملك الحسن الثاني، الذي

بلور في هذه المناسبة مؤهلات الشعب المغربي ومميزاته وغاياته، وذلك بمجرد استنباطه لعيد وطني يتجانس مدلوله مع خاصيات الأمة. ولم تكن هذه المبادرة الملكية الهادفة الا عربونا ينم على غزارة ما تلاه من خلق وجودته، ومنجزات وحسن تدبيرها، وتوجيهات وأبعادها، في إطار تلك الآصرة المقدسة بين العرش والأمة، والتي ما فتيء يعززها التجاوب القويم بين القمة والقاعدة، ووحدة النظرة إلى المستقبل، والمحبة المتبادلة، ونفس الإيمان برفعة وشموخ المباديء والقيم، وذات الرؤية حول ما يجب أن يكون وما يتعين أن ينجز، وإرادة القائد في التفاني في خدمة شعب بايعه بإجماع مطلق، ولم يفتأ يعبر له عن تحبيذه لمجهوده، واعتزازه بوجوده وإعجابه بما يحققه له ضمانا لمستقبل أجياله.

فلكل أمة خاصياتها، ولكل دولة أعرافها وتقاليد تميزها عن غيرها، أما بالنسبة للمغرب فهو البلد المسلم. ومن هنا تنجم جميع أوصافه: أنه البلد الديمقراطي الأصيل، لأنه مطالب بتكريم الأنسان، وهو البلد المسالم، عملا بقوله تعالى: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾، وهو البلد المجاهد، كما تدل على ذلك مراحل تاريخه المقنع، وهو البلد الصبور الذي ما انفك يوثر أسلوب النقاش والتفاوض، وهو بلد الطموح المستمر الذي كان ولا يزال سبب تطوره وتقدمه، وهو البلد المتشبث بوحدة صفوفه التي هي سر استمراره واستقراره. وإن هذا لبعض من كل، وجزء يسير مما يحتمه العهد الذي أخذه المغرب على نفسه عندما أكد في تصدير دستوره: المغرب مملكة دينها الإسلام.

ومن الطبيعي أن هذه الفرائض لا يمكن الامتثال لها واحترامها الا بروح الإخلاص والتفاني، وقدرات العزيمة الثابتة، ومجهود خاص يستند على القوة الفكرية طبعا، ولكنه يرتكز أيضا على المناعة المادية. ولا يتأتى هذا إلا للشعوب التي تتوفر على مؤهلات خاصة، وهي المؤهلات التي يعترف بها عادة للشباب.

منذ أن أخذ جلالة الملك الحسن الثاني بمقاليد الحكم، وتربع دام علاه على عرش أسلافه المنعمين، تكلأه عناية الله، ويواكبه تحبيذ شعبه، ومحبته له، وتعلقه به، وإيمانه المطلق، واقتناعه التام، طبع حياة الأمة بسياسة حكيمة هادفة، أيقظت الإحساس والشعور، وحشدت العزائم، ورسمت الطريق، ونسقت المنهاج، ودعت إلى العمل الدؤوب لتحقيق أغلى المقاصد. ولقد آثر جلالته التصدي للمشاكل، وتحقيق المشاريع بعد إقرارها، وتشجيع الإقدام على أنجع البرامج الفردية، والجنوح

إلى ما هو قمين بتحقيق المصلحة العامة بأسلوبه الخاص الذي ينبذ التردد، ويستند على الشجاعة، دون اكثراث بما يوجب ذلك من تضحيات، وما يتطلبه من كد وسعي وبذل.

لقد كان ـ حفظه الله ـ، ولا يزال، تفكيرا مستمرا، وطموحا وثابا، ويقظة لا تنقطع، وينبوعا لا ينضب، ومرشدا لا يضل، وموجها لا يخطىء، ومثالا للكرم بآرائه وأعماله، وللعطف بطبيعته، وملكا شغوفا بشعبه الذي يفضل تحقيق تطوره ورقيه على راحته، وضمان متطلبات صحته، أو شروط طمأنينته، ففي كل سنة، بل في كل شهر، يعلن، ـ أطال الله عمره ـ، عن مشروع جديد، أو مبادرة حكيمة ومتبصرة، تضيف إلى رصيد المغرب في هذا المجال أو ذاك لبنة مفيدة وصائبة.

وقد أكدت الأيام والسنون أن ما حققته الأمة المغربية من تقدم وازدهار، وما تجنبته من مساوىء وأخطار، بتوجيه من ملكها العظيم، وقائدها الملهم، يكون ثمرة تفكير عميق، وتنسيق حريص، واختيار وجيه ناتج عن تصميم محكم خططه جلالته منذ البداية، فأصاب التخطيط، وأنجزه فأحسن الإنجاز.

وهكذا تمرنت الأجيال تلو الأجيال على إيثار العمل ونبذ الخمول، فكانت تلك الانطلاقة المباركة التي جعلت من المغرب ورشا هائلا، ومن المغاربة شعبا خلاقا مبتكرا ومبدعا، غايته الاكتفاء الذاتي، غير مكترث بالمنافسة الخارجية، لا يعتريه أي مركب، لأن عزيمته فوق كل فزع أو وجل، ولا يعوقه أي حاجز، لأنه التواق الحازم.

لقد أعطى جلالة الملك لأفراد رعيته، مواطنيه الشكورين، أفضل وأغلى مما كانوا ينتظرونه من جلالته. فقد ضمن لهم الأمن والاستقرار، والنمو والازدهار، والديمقراطية الحقة التي تستند على قيم الإسلام، وتأخذ بعين الاعتبار مستوى حقيقته ودرجة تطوره، كما كفل له وسائل وحدة التفكير، ووحدة الصف، ووحدة التراب، والتشبث بوحدة المصير، وفوق هذا وذاك، زرع في النفوس وركز في الضمائر المعطيات المثيرة لمناخ ميزته الجوهرية أنه يتحلى بأوصاف الشباب، وإقدام الشباب وصموده.

يحتفل المغرب اليوم بعيد الشباب، وذكرى عيد الشباب، لأنه أحق من غيره بذلك، ولأسباب متعددة: ذلك أن الاحتفال بذكرى هذا اليوم الأغر، تأكيد للملحمة الخالدة الذي عاشها منذ استقلاله، والتي ما فتئت تساعده على تحقيق أغلى مطامحه وأبعد أحلامه، وامتثال وتشبث بما اتفق عليه إجماع الأمة، شكرا للخالق على عطائه ومننه، وعربونا على الاستمرار في تحمسه

وحيويته واندفاعه، وتعبير صادق، وتأكيد مطلق، وصدع مثير بسمو تلك الرابطة القائمة بين الشعب وملكه، ودعوة إلى المزيد من المجهود حتى يحقق كل فرد حظه مما يدعوه ملكه إلى تحقيقه، وشهادة على أن القائد اختار أنجع السبل لضمان أجود مستقبل.

يحتفل المغرب بعيد الشباب، إذ من خاصياته الاعتراف بالجميل، ويبلغ التعبير عن اعترافه الدرجة القصوى عندما يتعلق الأمر بمناسبة يتوجه فيها إلى عاهله المفدى، مبتهجا وشكورا، مقتنعا وفخورا، ضارعا بصوت واحد، وفي إيمان وخشوع، إلى العلي القدير كي يكلأ بعينه التي لا تنام، ويصون بعنايته التي لا تنقطع، ويحفظ بقدرته العليا، المشعل الوضاء الذي أنار طريقه ووجه خطواته منذ ثلث قرن، جلالة الحسن الثاني، أطال الله عمره، وخلد في الصالحات ذكره.

وإذا اقترن عيد الشباب بعيد ميلاد العاهل العظيم، فالدر من معدنه، والمناسبة شرط، والعيد عيدان، كل منهما يثلج الصدور، ويقوي المعنويات، وينمي الإحساس، ويزكي التعلق، ويضيف إلى الشعور ما يسمو به إلى درجة الشغف.

إن عيد الشباب، إنما هو أحد تلك الأعياد المجيدة التي ما فتىء جلالته ينسق معالمها، ويبين معانيها وأبعادها، ويحدد إبانها، وكأنها وقفات لازمة في مسيرة حياة الأمة، تغني رصيدنا، وتثري تقاليدنا، وتضيف إلى الوجدان ما هو قمين بإثارته، وتدعو الضمائر إلى التفكير، وكل فرد من أفراد الأمة إلى الوعي وحسن التدبير.

لقد أضاف جلالته ـ دام عزه وعلاه ـ إلى تقاليدنا دررا غالية، بنات طموحه الوثاب، وعبقريته المبتكرة الخلاقة، ويقظته التي تنظر إلى المستقبل بعين التطلع الذي لا يلين.

إلا أن المناسبة خاصة، لأن العيد عيدان، والفرحة عارمة، والشكر عميق، والامتنان فوق كل إحساس، حيث تحتفل الأمة بذكرى عيد ميلاد قائدها العظيم يوم احتفالها بعيد الشباب. حفظها الله في ملكها، وفي إيمانها بالشباب الذي هو أيضا من ابتكار وإتقان جلالة الملك الملهم.

الرباط ـ أحمد مجيد بنجلون

عيد الشّباب

للأستاذ
الحاج أحمد
ابن شقرون
رئيس المجلس العلمي
الاقليمي
بفاس

الشباب عصب الحياة، ونـارها الموقدة، التي تتـلألأ ضياء ونـورا، كما يقول ابـن منظـور في مـوسوعتـه: (لسـان العـرب) حينما قال: ورجل مشبوب إذا كان أبيض الوجه، أسود الشعر.

والشبـاب مصنـع الـرجـال، وبـوتقـة الأعمال، والخضم الدائب الحركـات، الدائم المنجزات، لأنه ينظر في آن، إلى ما كان، وما هـو كائن، ومـا هو منتظـر، مـن صالـح الأقـوال، والأفعـال، بعين طمـوح وفكـر جموح، ولسان سؤول، وقلـب عقول، وفي يـده بـاقـة مـن ورود الأولين، ومنجـزات اليقظين، وأهداف الناضجين، لا يستخذي، ولا يستجـدي، ولا ينجـرف إلى هـون، الحيويـة صفته، والـرجاء في اللـه ديدنـه، والبناء المتواصل هجيراه، والعمـل الناضج مبتغـاه، والتكتـل في ذات اللـه مـذهبـه، والعيش مع الجماعة مطلبـه، لأنه يرى أن الذئب إنما يـأكل القاصية، والإيمان بـالله ورسـوله مغنمـه، والالتفـاف حول دينـه، ومليكه، وإمامه، ظل الله في الأرض سبيله، **﴿إن الله مـع الذيـن اتقوا والـذين هـم محسنون﴾**.

ومن هنا، كان الشبـاب يتجذر في ربيع المسيرة، ويانع الزمان، ولباب اللباب، ومن هنا، كان مرجعا للإجادة، ومثابة للإفادة، وسيد الموقف، وحامل راية الإنصاف، بين المشروفين، والإشراف، تعلوه إشراقة النعمة، ونضـارة الأملود، في منظـر رَّيـان، ومخبر بالحكمة مزدان، وبمقتضاه، أقول:

إن مولانا أمير المومنين، وحـامي حمى الوطن والدين، جلالـة الملك المعظم، سيدي

محمد الخامس، طيب الله ثراه، حينما تفضل، فأمر بتدشين عيد الشباب، يوم تاسع يوليوز من كل سنة، بمناسبة ميلاد مولانا أمير المومنين، وحامي حمى الوطن والدين، جلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله، وهو يومئذ، ولي عهد المملكة المغربية، كان يهدف إلى المعاني التي أشرت إلى بعضها، في هذه الديباجة، فهو رحمه الله، ما كان يقصد إلى تقييد ذلك بزمان ولا أوان، وما يتصل بهما، بقدر ما كان يعني اتصال الحلقات، وتكامل الحركات، وتلاحق المنجزات، التي نعيشها ماثلة للعيان، في حياة القائد الرائد، جلالة مولانا الحسن الثاني أعز الله أمره، وخلد في الصالحات ذكره.

هو البطل الحبيب المرتجى

العالم، الفذ، الغيور، المصلح

فدهاؤه عيد، وعيد طموحه

عيد يضوع، وبالفرائد يفصح

وهكذا نرى سيد الملوك، موفقا في كل ما يقوم به من جلائل الأعمال، التي تدهش الزمان، وتخضعه لما يرمي إليه من وراء طموحه الغالي، ومسيراته الخضر، فهو ـ حفظه الله ـ في عيد شبابه، وفي غيره، يصنع الأمجاد والبطولات، ويحيي الضمائر، ويجلو الظلمات، ويزيح الحوالك، برأيه الصائب، وفكره الثاقب، ونوره المشرق البسام، مسدد الخطى، من رب الأرض والسماء، الذي يجازي على النوايا الحسنة خير الجزاء، في الدنيا قبل الآخرة، فهو سليل الملوك العلويين، الغطارفة الصيد، الذين نشروا في البلاد الأمن والأمان، وحرروا الوطن، وقضوا على الاستعمار البغيض، بجميع أشكاله وأصنافه، وجاء قطبهم الهمام، ليثور على الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، وينشر العلوم الغزيرة بين جميع أفراد شعبه، ويهدي لهم ينابيع المعرفة، لذلك نرى المملكة المغربية كلها، تزدان بكل ما يعرب عن فرحة العيد، من الأناشيد التي تفصح عن حبها، وولائها، وإخلاصها، بما تلحنه من الكلمات الجامعة، والفقرات الرائعة في الإشادة بجنابه العالي بالله، وحبه المستكن في القلوب، إنه:

كلما قام في الجموع خطيبا

نثر الدر مشرقا لماعا

إن عهده الميمون، بما تحقق فيه من المنجزات العظيمة، وإن مواقفه الصارمة، التي حققت الوحدة الترابية، وجمعت كلمة الأمة،وإن تفكيره الفذ الذي بنى السدود، وحصى الحدود، وإن تعبئة جيشه المدجج ليقف ضد أي عدوان، كل ذلك يتيه على غيره، ويخمل ذكره، فتبقى الألمعية في القمة لصاحبها، وتمتاز العبقرية الفذة بصاحبها.

ان بيوت الله التي بنى في كل مكان، وشيد في كل زمان، لتشهد له بالفضل، وتدخر له ثواب القائمين فيها بالعبادة،

والصلاة، والتوجه إلى الله بقلوب خاشعة، وأجساد ضارعة.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله، والناس

هنا عن لي، وأنا أنشد هذا البيت، أن أرجع إلى أبيات لي من قصيدة قلتها من قبل، في عيد الشباب لسنة 1974 وهي:

ميلاد عاهلنا الحبيب مبارك
يضع التخلف تحت طي حجاب
ويواصل التصعيد في أوج العلا
بمسيرة مخضرة الأهذاب
ويحرر الملك الهمام ترابنا
من معتد، متذرع بسراب
لا شيء أنفع للبلاد كوحدة
وسيادة، منزوعة بغلاب

وجاء فيها في وصف عيد الشباب ما يلي:

خير المحاسن في الزمان شبابها
لصباحة، ما إن بها من عاب
فيه الخمائل بالأزاهر تكتسي
ويصيح فيها بلبل بعجاب
سموه في العمر الحياة فلم يزل
بجمالها، بلوري الأكواب
قالوا: الشباب مطية لمصالح
عليا، فقلنا ذاك رأي صواب

وهكذا نرى أن ميلاد مولانا الملك الحسن الثاني نصره الله، فرصة ثمينة جدا، للإشادة بمسيراته الخضر، التي أبعدت التخلف الشائن عن المغرب والمغاربة أجمعين، وحققت الوحدة الترابية، ورفعت راية محاسن شباب الزمان، بما غرس فيه من فضائل الحسن، والإحسان، وبما أزاح من غيوم أمام خريجي الجامعات، من طلبة وطالبات.

حفظ الله المغرب والمغاربة والإسلام والمسلمين في شخص جلالته، وحفظه في ولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد، والأسرة الملكية الكريمة، بما حفظ به الذكر الحكيم.

فاس ـ الحاج أحمد ابن شقرون

المغرب والشرق العربي عبر التاريخ

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية

1) فاس والحجاز :

لا توجد في جغرافية «المسالك والممالك» قطعة من الأرض حظيت بعناية الرحالين والمؤرخين مثل الطرق الكبرى المؤدية إلى الحجاز، التي صنفت فيها مآت الكتب المختلفة المنازع والأساليب، ومآت القصائد الحافلة بوصف المنازل والمراحل، علاوة على ما تطفح به من مشاعر الحنين، التي جعلت من هذه الطرق لا متعبدات فقط، بل مجمعات استوثقت عبرها الصلات بين الشعوب الإسلامية، ومبادلة الإجازات بين العلماء، وتلاقح معطيات الفكر العربي والإسلامي مما لم يعرف له نظير حتى بعد عصر النهضة، وما طرأ من سهولة وسرعة على المواصلات.

بل إن طرقا صوفية سنية كطريق أبي محمد صالح دفين آسفي، (وهو من رحالات القرن الثامن، امتدحه شعراء الشرق مثل البوصيري) اقتصر شعارها الصوفي على ترحيل الحجيج من المغرب إلى الحجاز، وتوفير النزلات ومتطلبات السفر على طول المراحل، وخاصة خلال الصحراء، وكان هؤلاء الحجيج الذين لم تكن تخلو منهم الجادات والسبل الكبرى طوال السنة، يتواكبون في ركب موصول يسمى «الركب الصالحي»، يستهدف - بالإضافة إلى أداء فريضة الحج - توثيق الرباط بين الشعوب الإسلامية. وكانت لأفواج الحجيج قوافل تنحدر من شنقيط وكبريات عواصم المغرب، لتتجمع بسجلماسة أو مراكش أو فاس، ومنها تتخذ طريقها متكاتفة عبر ما سماه الرحالة ابن المليح بطريق الفقهاء، أي: فقهاء المذهب المالكي، الذين كانوا ينطلقون من فاس خاصة. وينحازون عن متجمعات

الخوارج في بعض مناطق المغربين الأوسط والأدنى، للانسلال من بلاد (فزان) إلى أرض الكنانة ثم الحجاز.

وقد تبلور نتاج هذه الروابط علاوة على الرحلات فيما صنفه العلماء من فهارس وأثبات سجلوا فيها إجازاتهم وارتساماتهم، وما جنوه من ثمار خلال رحلاتهم. فلم يقل هذا النوع من المعلومات فائدة عن مضامين الرحلات، وكانت الصلات حقا متبادلة، إلا أنها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من الشرق؛ ومع ذلك، فإن ذكرهم النابع من إجازتهم ودروسهم ومؤلفاتهم كان يرحل إلى المغرب مع العائدين، فيسهم بحظ وافر في إثراء المكتبة العربية الإسلامية في المغرب العربي، وما زالت مكتباتنا العامة والخاصة تزخر بنوادر المخطوطات الشرقية التي ضاع بعضها في الشرق، واحتفظ المغرب بأصولها الفريدة، ويندهش البحاث المشرقي عندما يتصفح فهارس المخطوطات بالمغرب، فيجد مآت المصنفات الأصيلة التي لا تعرف مكتبات الشرق إلا عناوينها محفوظة مصونة، تنتظر توثيق التعاون بين شقي العروبة، لإحياء هذه المعالم الناصعة لتراثنا المشترك؛ وهو عمل يجب أن لانتوانى في وضع التخطيطات الرصينة لبعثه، لأنه لا يقل أهمية عن باقي مقومات تراثنا، ودعامات كياننا الحضاري.

وقد حاولنا استيفاء مالدينا من عناصر هذا التراث في المعلمة التي أصدرناها بعنوان «الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية»، والتي طبع منها لحد الآن خمس فصلات من خمسين، تحتوي بالنسبة لكل عالم مغربي على منجزاته العلمية، مثبتة بأرقامها في سجلات المكتبات المغربية العالمية.

ويبذل الآن «معهد المخطوطات» التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قصارى الجهد لتصوير التراث، وجعله في متناول الدارسين والباحثين، من أجل تحقيقه وطبعه، ولنضرب أمثلة بمدى تنوع مجالات ومجالي جوانب من تراثنا لم نتمكن بعد من تقييمها، وبعضها منتشر في مخطوطات التراث. فإذا اقتصرنا على من رحل من المغاربة إلى الشرق للحج أو الجوار، دون تصنيف رحلات خاصة عن أسفارهم، وجدنا كثيرا من هؤلاء قاموا بدور طلائعي في بلورة التبادل بين أجزاء العالم الإسلامي. وقد كتبت بحثا بعنوان «رسل الفكر بين المشرق والمغرب» لمحنا فيه إلى أهمية هذه الجوانب.

ومن هؤلاء : أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي الدكالي (1178 هـ ـ 1764م):

رحل إلى المشرق عام (1140 هـ — 1727م)، وأخذ عن شيوخ مصر والحرمين، وطار صيته في الحجاز، فأصبح أحد سفراء الشرق لا في المغرب الأقصى وحده، بل من فاس إلى (داكار)، نظرا للدور الذي كانت تقوم به جامعة القرويين وعلماؤها بين الشناقطة وأهل السنغال من خلال مذهب واحد، تغلغلت جذوره في قلب الحواضر والصحاري، وهو مذهب إمام المدينة مالك بن أنس، ويكفي أن نلاحظ أن المسمى علي بن عبد القادر الشرقي باشا السودان (أي السودان الغربي أو السنغال الحالية)، هو الذي ترأس ركب حجيج السودان عام (1040هـ — 1630م)، صحبة الرحالة الفاسي ابن المليح، حيث كانت مواكب الحجيج من (داكار) إلى (فاس) تتجمع لتأليف قوافل موحدة، وبعض هؤلاء الحجاج لم يضعوا رحلات ولا فهارس، بل صنفوا في المناسك وآداب الزيارة. منهم علي بن عتيق بن عبد الرحمن الفاسي الأصولي المفسر الحافظ (كان حيا عام 726هـ ـ 1325م)، ومحمد الفاطمي بن الحسين الصقلي الشاعر دفين المدينة المنورة (1311 هـ ـ 1893م) الذي ألف تاريخا في علماء عصره شرقا وغربا، وافتتحه بشيخه علي بن ظاهر الذي ترك مسند المدينة المنورة ـ (1261هـ ـ 1322م)، الذي زار المغرب مرتين (1287هـ و 1297هـ).

وهكذا لم تقتصر علاقة فاس بالحجاز عامة، والحرمين الشريفين خاصة، انتجاعا للحج، بل كان للتبادل الفكري ضلع في دعم الوصلة بين الجانبين منذ أزيد من ألف عام، وقد حفلت الفهارس والرحلات الفاسية بوصف معالم رائعة، وترجمة أعلام من المغرب والمشرق نذكر منهم:

ـ فهرست ابن جزي محمد بن أحمد (741 هـ / 1340م):

وقد اشتملت على مشيخة وافرة من رجالات الحجاز.

ـ فهرست أحمد بن جعفر الكتاني (1340 هـ / 1922م):

تتضمن أشياخه المشارقة، مع نصوص إجازتهم (نسخة عند ولده محمد إبراهيم الكتاني).

ـ ابن جعفر محمد ابن إدريس الكتاني (1345 هـ / 1926م):

صاحب (الرحلة السامية للأسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية) (سبعة كراريس موجودة).

ـ ابن حسنون أحمد بن العربي الوزاني الفاسي:

صاحب (الرحلة الوزانية المزوجة بالمناسك المالكية) (8 كراريس).

(نسخة بخط المؤلف في خزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي، وأخرى في الخزانة السودية بفاس).

ـ ابن سودة عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب (ولد عام 1301هـ):

له (الرحلة الكبرى في أخبار العالم برا وبحرا) رحل إلى الحج عام(1327 هـ / 1909 م)، تقع في أربعة أجزاء طبع الأول والثاني بالمطبعة الجديدة.

ـ ابن الطيب محمد الصميلي الشرقي المتوفى بالمدينة المنورة (1170هـ / 1756م):

له ثلاث رحلات، توجد نسخة فريدة في خزانة ليبسيك Leipsik، وقف عليها الأستاذ محمد الفاسي.

ـ ابن مليح محمد بن أحمد السراج:

رافق الركب الحجازي عام (1040هـ / 1630 م)، وكتب رحلته (أنس الساري والسارب من أقطار المغارب، إلى منتهى الآمال والمآرب، وسيد الأعاجم والأعارب).

(نسخة بالمكتبة الكتانية بفاس في عشرة كراريس عدد 3152) وقد حققها الأستاذ محمد الفاسي.

ـ أحمد بن عبد القادر القادري المدعو علال (المتوفى بفاس (1133هـ / 1721م):

له (نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس) أي أحمد بن معن الأندلسي الفاسي، الذي رافقه إلى الحج عام (1100هـ / 1689م) (حج 8787 / كراريس في الخزانة الفاسية).

ـ الحسن اليوسي:

له رحلة جمعها ولده محمد قام بها عام 1101 هـ 1689م.

(نسخة في خع 2343).

ـ عبد القادر بن أبي جيدة أحمد الكوهن:

له (رحلة حجازية) (نسخة بخزانة الكتاني).

ـ عبد المجيد بن علي الزيادي المنالي الفاسي (1209 هـ / 1794م):

له رحلة سماها (بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام) (خع 1808د) (184 ورقة / نسخة أخرى في الخزانة الفاسية تحتوي على قصيدة رائية (129 بيتا) جامعة لمراحل الحجاز من مصر إلى مكة مع مناسك الحج، عليها شرح اسمه (إتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك) لأحد تلامذة الزيادي.

ـ محمد بن الحسن بناني:

اختصر رحلة عبد الله بن محمد بن أبي بكر أبي سالم العياشي المسماة: (إماء الموائد)، التي طبعت في مجلدين بفاس (1316هـ).

(نسخة من المختصر في حج 629 إلى 5259).

ـ محمد بن سعيد الرعيني الفاسي (778هـ / 1376م):

لـه رحلة نظـم فيها مـراحل الحجـاز. (جذوة الاقتباس ص 147).

ـ محمـد بـن عبد القــادر الـجيــلالي الإسحاقي (1150هـ / 1737م):

له رحلة قام بها مع السيدة خناثة بنت بكار أم السلطان المولى عبد الله بن المولى إسماعيل العلوي، (تقع في مجلدين بخزانة جامعة القرويين عدد (ج.ل 80 ـ 383).

ـ محمـد بن محـمـد المرابـط الدلائـي الفاسي (1099 هـ / 1687م):

له (الرحلـة المقدسة) (136 بيتا)، ذكر فيهـا منـازل الحج مـن فـاس إلى المدينـة المنورة.

2) فاس والشام :

برزت الآثـار الأولية الشامية بـالمغرب من خلال المد الأموي بالأندلس، الذي كان له ضلع في دعـم الاتجاه الحضاري بفاس منذ القـرن الثالـث الهجري، وقـد شملت هـذه التـأثيرات شتـى مجالات الحضــارة والفكـر، حيــث دخلـت في بنـاء جــامـع القرويين عـام 245هـ عنـاصر من فنـون دمشق، حيث أضاف الناصر الأموي خليفة قرطبة منذ عام 345هـ أي بعد مرور قرن كامـل على بناء جامع القـرويين اثني عشر بـلاطا جـديـدا وحـول المنارة إلى مكـانها الحالي، مغشيـا بـابها بصفـائح النحـاس الأصفر، مـع قبة صغيرة محلاة بتفـافيح مموهة بالذهب (زهرة الآس ص 37).

ولعل هـذا العهد الناصري، الـذي عزز الإبداعات الإدريسية بإشعـاعات طريفة في ميـاديـن الفـلاحـة والصنـاعـة والتجـارة والفنون والعلوم،(1) قـد كـان عهـد تحول وانقلاب في تاريخ الحضــارة المغربية، وقد ظـل المزيج السـوري المغربي بـالأندلـس أسيســة التراتيـب الإداريـة والعسكـريـة، والتنظيمات الاجتماعيـة، ممـا أضفـى على المملكة إلى عهد الحسن الأول خاصة بفاس مهـد البلاط الملكـي، هالـة مـن الفخامـة، تقلصـت وذبلــت منـذ أجيــال في الشرق العربي.

فقد أقيمـت بالمغرب الحصـون والأبراج والمراصـد والمبـاني العمرانيـة والمجمعـات الاقتصــاديـة، ونظمــت الخطـط والحرف والمهن، وشكلت بنيـات الاستثمار الزراعي والصنـاعــي، ممـا ميـز تطـور المسـار الحضاري العـربي والإسلامـي في المغرب، وارث الأندلس، إلا أن هـذا المزيج الأندلسي المغربي، قد طبعته عطاءات مغربية صرف، كالقصبة التي اقتبست الأندلس هيكلها من الهندســة المعمارية المغربيـة، حيث كـانت تقام على شفـا شاهق مـن الجهة الـوعرة، يصعـب تسلقهـا على المغيريــن، وكـانـت محاطـة بســور مـن حجـر أو نطـاق، أي

1) ابن حوقل : طبعة كوج GOEJE ج 2 / ص 27.

عارضة من خشب (Langrine)، تحدق بحرم الحصن المشرف على الساحة التي يتفتح فيها الربض، حيث تقطن الحامية، وهكذا وقع في ضاحية جبل زالاغ، مهد لمطة منذ العصور الأولى.

وقد عرفت فاس وقرطبة، المجانيق والطرادات لإطلاق القذائف، وكان النقابون في العاصمتين عبارة عن هيئة متخصصة في ثقب الأسوار، تحت إشراف عرفاء يستعملون الكبش في الحروب، وقد احتفظت اللغة الإسبانية إلى اليوم بمصطلحات مازلنا نستعملها كالقصبة والسور والبرج والدرب (أي ممر دورية الحراسة في القلعة، ومنه الدراب خافر السور وأبوابه داخل فاس).

وقد ظهرت في البلاط الأموي بالأندلس منذ عهد الناصر، خطط تردد معظمها بنفس الاسم والاختصاص بفاس، مثل أصحاب المطبخ والمواريث والخيل والبرد (الرقاصة) والصاغة والشرطة والصناعة والبيعة وولاية العهد والطراز والخلع وخزانة السلاح والقهرمان والحجابة.

وازدهر على نسق قرطبة الأموية، ميراث حضاري متنوع المجالي والمظاهر، تبلور في أنساق وأنماط، كقضاء الجماعة وقضاء الجند والشورى والعمالة والوزارة وكتابة الزمام وخطة الرسائل والتنفيذات والتوقيعات والأوقاف وبيت المال والصدقة والأعشار والخراجات والجبايات والضمانات والرسوم على بيوع الأسواق والقطوع والمغارم والمكوس والنزالات (النازلة بالأندلس) ودور السكة ودور الصناعة مع مصطلحاتها: كالمشرف والأمين والمستخلص: (أو صاحب المستفاد بالمغرب)، وصاحب السوق والمحتسب والمسدد (قاضي السداد اليوم)، مع نفس الاختصاصات في خطط تمس الوصايا والأحباس والتحجير والخصام والمواريث والوكالات وتوقيع الشهادات والوثائق والعدول وديوان العدول (السجل بالمغرب) ومقصورة القاضي (بالجامع)، وغير ذلك كثير مما طبع المجتمع الفاسي كأول مجتمع حضاري بالمغرب منذ أواخر القرن الثاني الهجري.

وقد لاحظ (ليفي بروفنصال)(2) أن الأندلسين هاجروا إلى فاس عام (202هـ / 818م) بعد وقعة الربط، وهم أربعة آلاف حسب عبد الملك الوراق، وثمانية آلاف (روض القرطاس ص 25)، و(دوزي Dojy ـ تاريخ مسلمي الأندلس 1932 ـ ج1/ص 301) أو ثمانمائة فقط، (هنري طيراس ـ تاريخ المغرب ج1/ص 108). فنقلوا معهم

---

2) فاس قبل الحماية ـ لوطورنو: ص 27، وقد لاحظ هذا الكاتب (ص 205) أن العرب نقلوا إلى فاس مظاهر نبلهم، بينما نقل الأندلسيون رقتهم.

فن البستنة مع تجارب الحياة الحضرية التقليدية، التي أصبحت منطلقاتها بفاس كأول عاصمة.

وقد نقل المقري عن ابن غالب (النفح ج 2 / ص 764) أن أهل الأندلس مالوا في بادية المغرب إلى ما اعتادوه، فاستنبطوا المياه، وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحي الطاحنة بالماء. وإذا كانت هذه العناصر الحضارية قد تركزت بفاس منذ القرن الثالث، فقد بلغت أوجها بعد أن ذبلت بالأندلس آخر عهد الموحدين أيام الناصر والمنتصر، حيث أصبح للأرحى بفاس ضلع قوي في تأثيل صناعة الورق، وطواحين الهواء والماء، وعصر الزيتون، وإدارة دواليب كثير من الصناعات، كما ازدهرت الأعراف الزراعية: كنظام الساقية ولحكمة المياه ومراقبة توزيعها بإشراف وكالة متخصصة (ابن عذاري ـ البيان ج 3 / ص158)، وعملة يحملون نفس الأسماء الأندلسية، مثل: العامر، والشريك، والمناصف، والخماس، والرباع.

وقد شمل هذا الاقتباس اللغوي أدق الأسماء في الإسبانية، انطلاقا من الوحدة الاقتصادية القرطبية الفاسية، مثل: كلمات الزيتون، والزيت، والزبوج، (وهو الزيتون البري) (Acebule)، وزراعة الأرز والسكر، (التي كانت فاس تنتج منه أجود الأصناف المكررة في القرن السابع الهجري)، بالإضافة إلى الأزهار: كالحبق، والسوسان، والخزامى، والياسمين، والرتم (Retama)، والدِّفلى، والريحان، وزهر البرتقال... الخ.

وقد اهتمت عاصمتا فاس وقرطبة لما اندرج في الحضارة الشامية بالأندلس، كالإحصاءات العمرانية والتجارية، حيث أحصى ابن أبي عامر بقرطبة وأرباضها 213.077 دارا شعبية، و 60.300 دار رجال المخزن أو البلاط، و 80.455 دكانا، دون المصاري، والحمامات، والحانات، كما أحصى الناصر والمنتصر بفاس، اثني عشر معملا لتذويب الحديد والنحاس، وأحد عشر مصنعا للزجاج، و 3.094 دارا للنسيج أو الطرز، و47 مصنعا للصابون، و86 مدبغة، و116 مصبغة، و1170 مخبزة و180 معملا للخزف، و12 مصنعا للحدائد والنحاسيات، و135 فرنا للجير الخ....

وظل التبادل موصولا بين الشام والمغرب مباشرة أو بواسطة الأندلس إلى القرن العاشر الهجري، ثم توبع إلى اليوم.

فبينما كان الأسطول المغربي يمخر عباب مياه الشام للدفاع عن حوزة فلسطين (كما يؤكد ذلك ألفونس السابع ملك قشتالة)، كانت مآت الأسر المغربية تنتقل للحوار في بيت المقدس، وخوض غمار الحروب الصليبية، وتعزيز وقف أبي مدين الغوث، مما ساعد على هجرة أزيد من خمسة آلاف عائلة مغربية إلى الشام،

أرض الله وبيت المقدس وأولى القبلتين وثالث الحرمين.

وتواردت على المغرب في مختلف العصور، أفواج من علماء الشام، مثل: محمد بن عبد الوهاب الدمشقي (ت657هـ)،(3) ومحمد بن عامر الحمصي (المتوفى بفاس عام 570هـ)،(4) وأحمد الحلبي الذي استوطن فاسا، وكتب عن ملكها (الدر النفيس في مناقب إدريس بن إدريس)، كما هاجر إلى الشام فلول من علماء المغرب، أمثال ابن رشيد، وابن عسكر، (توفي بفاس عام 721هـ)، ومحمد بن قاسم التميمي الفاسي (604هـ)، وعلي بن ميمون الفاسي(5)، و(المقري) الفاسي، الذي أملى صحيح البخاري بالجامع الأموي، فأثار إعجاب المشارقة، ومثله محمد بن جعفر الكتاني الفاسي، الذي عاش بدمشق. وقد انطلق عشرات آخرون إلى الشام من باقي حواضر المغرب، أمثال جمال الدين البغدادي (من القصر الكبير)، ومحمد بن الخضار السبتي، وعلي الحرالي المراكشي المتوفى بالشام (637هـ)، ومحمد بن علي السلوي (671هـ)، وتاج الدين محمد بن إبراهيم المراكشي (752هـ)، وإبراهيم بن محمد بن علي التادلي (803هـ)، قاضي حلب، وغيرهم.

وقد كان لمهاجري الشام والمغرب مباشرة أو عن طريق الأندلس إلى أمريكا الجنوبية أثر مشترك، يتجلى في التساوق الوثيق بين الطرفين في ميدان الهندسة المعمارية، ووحدة أساليب البناء، إلى التأثير على المصطلح اللغوي الأمريكي بالمفردات العربية، خاصة في المياه والسقي والري وأسماء الأزهار والنباتات العطرية، وحتى (مودة) الناس قديما في الحلي والمصوغات، بالإضافة إلى الجدية في العمل، مما جعل اسم (مغربي) مقرونا بالجهد الموصول.

وتعطى نماذج أخرى للمغاربة الذين عاشوا في الشام أمثال:

- ابن دوناس أبي الحجاج يوسف الفندلاوي الفاسي:

شيخ المالكية بدمشق، الذي استشهد في الحرب ضد الصليبيين في الشام عام (543هـ/1148م)، وقد وازن في كتابه (تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك) بين المذاهب التي عرفت بفاس في القرون الأولى للهجرة، وهي مذاهب مالك والشافعي وأبي حنيفة (نسخة في مكتبة الزاوية

---

3) المعجب : للمراكشي ص 145.
4) السلوة ج 3 / ص 267.
5) دوحة الناشر : ص 25 / نيل الابتهاج ص 187.

الحمزاوية)، (معجم البلدان ج 6 / ص 401) تذكرة الحفاظ ج 4 / ص 189).

ـ الحسين بن شقرون الفاسي:

رحل إلى (القدس) بعدما باع كل ما يملك، وحمله معه ليجاهد به في فلسطين بعد احتلال الصهاينة لها عام 1967م.

ـ صالح بن محمد ابن حرزهم الفاسي:

تلميذ الغزالي الذي استوطن إحدى قرى بيت المقدس (جذوة الاقتباس ص 232).

ـ علي بن عتيق الفاسي الحافظ:

الذي أقام بصفد، كان حيا (عام 726هـ).

ـ محمد بن الحسن بن محمد الفاسي جمال الدين :

ولد بفاس، وتوفي بحلب (656هـ). (الوافي بالوفيات ج 2 / ص 354).

ـ العباس بن أحمد الفاسي:

استشهد في محاربة الصليبيين بالشام (عام 595هـ) (الجذوة ص 278).

ـ محمد بن يحيى العحبيسي:

سكن القدس (871هـ)، (الضوء اللامع ج 10 / ص 73).

3) فاس ومصر :

تبلور التبادل الفكري، والتعاون الموصول بين مصر وفاس رغم بعد الشقة في شتى مجالات الحياة، وقد كان الناصر بن قلاوون الأيوبي ملك مصر علاقة وثيقة بسلطان فاس يوسف بن يعقوب المريني (الاستقصا ج2 / ص 40)، ومع أبي الحسن المريني (ج 2 / ص 61).

وفي عام (754هـ / 1353م)، وجه أبو عنان المريني وزيره فارسا بن ميمون بن وردار إلى جبل سكسيوة، حيث بنى (القاهرة) تيمنا بعاصمة الكنانة (الاستقصا: ج2/ ص 193)، (دوكاستري : السعديون س.أ. ـ م2 ص 258 ـ 309).

وقد جلب السلطان محمد بن عبد الرحمن صناعا مهرة من مصر، لتصفية السكر بالمغرب (الإتحاف لابن زيدان ج 3 / ص 555)، كما جلب ضابطا مصريا لتدريب الجيش النظامي.

ولما هاجم (نابليون) مصر، بعث الخليفة العثماني سليمان الثالث عام (1213هـ / 1799م)، رسالة للمولى سليمان بفاس، يخبره بفظائع الجيش، فانبرى المغاربة للدفاع عن حوزة مصر ضد نابليون. (محمد المنوني ـ دعوة الحق عدد 1380هـ/1970م)، (عجائب الآثار للجبرتي) (المطبعة الأميرية ج 3/ ص 44) الخ.

وعندما توفي الملك الناصر عام 741 هـ ولي بعده ابنه أبو الفداء، فأوفد أبو الحسن لعزائه كاتبه وصاحب ديوان الخراج بفاس أبا الفضل بن أبي عبد الله بن أبي مدين، وفي صحبته أخت أبي الحسن، فوصل مصر عام 745هـ مع كتاب أورده صاحب

الاستقصا (ج 2 / ص 68)، مع نسخة الجواب من إنشاء خليل الصفدي (النفح: ج6 / ص120).

وقد استقطبت بلاد الكنانة ثلة من كبار علماء فاس عبر العصور، نذكر منهم نماذج هم:

ـ ابن أبي السرور عبد الرحمن بن محمد بن الرحمن بن أبي الخير محمد الفاسي:

ولد عام 810 هـ بمكة، ورحل مع والده وأخيه عام 833هـ، فمات بها في نفس السنة. (الضوء اللامع للسخاوي ج 4 / ص 134 طبعة القاهرة 1354هـ).

ـ ابن تامتيت: (أو تاميت) حسب الشذرات ج 5 / ص 288 أحمد بن محمد الفاسي اللواتي نزيل القاهرة (657هـ / 1258م).

(الجذوة ص 57 / تكملة الصلة لابن الأبار ص 158).

ـ ابن جعونة محمد بن عمر بن مالك الفاسي نزيل الأسكندرية 574 هـ / 1178م:

سمع الموطأ بفاس من ابن الرمانة (طبقات القراء ج 2 / ص 218).

ـ ابن الحاج محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المصري:

درس بفاس (توفي بالقاهرة عام 737هـ 1336م).

(الجذوة ص 142)، (شجرة النور / ص 218) (الديباج ج 1 / ص 1328) (الوافي بالوفيات للصفدي ج 1 / ص 237) (الدرر الكامنة ج 3 / ص 1369 / ج 4 / ص 237).

ـ عبد الله كنون: في كتابه ابن الحاج الفاسي.

ـ ابن حركالش سالم بن إبراهيم الفاسي (توفي بمصر).

(الذيل والتكملة س 4 / ص 12)، (معجم الصدفي ص 306).

ـ ابن الحطية أحمد بن عبد الله الفاسي نزيل مصر وقاضيها عام 533 هـ / 1138م):

توفي بالقرافة (560 هـ / 1163م).

(إنباه النحاة ص 139 / حسن المحاضرة للسيوطي ص 192 / الجذوة ص 45 / شذرات الذهب ج 4 / ص 188 / طبقات القراء ج 1 / ص 71 / النجوم الزاهرة ج 5 / ص 370 / وفيات الأعيان ص 152 / العبر للذهبي ج 4 ص 169).

(في الشذرات الخطية وفي النجوم الزاهرة الحطيئة وهو خطأ).

ـ ابن خلدون عبد الرحمن المؤرخ، نزيل فاس، ودفين القاهرة. (808 هـ / 1406م).

(الجذوة ص 262 / النفح ج 8 / ص 277 / شجرة النور ص 227).

ـ ابن السراج أبو صالح عبد القادر بن عبد اللطيف الأصغر الفاسي:

قاضي الحرمين، ولد عام 842 هـ بمكة، حيث ولي قضاء الحنابلة، قرأ بالقاهرة، وتوفي بمكة عام 898 هـ / 1492م).
(الضوء اللامع ـ طبعة القاهرة ـ ج 4 / ص 273 عام 1354هـ):

ـ ابن سعادة عيسى السجلماسي:
فقيه فاس، توفي بمصر (عام 355 هـ / 965م).
(الصلة لابن بشكوال ص 434 / مدارك عياض ص 229 / الجذوة ص 280).

ـ ابن طربية يونس بن يوسف القصري (من القصر الكبير):
تولى قضاء طرابلس الغرب والتدريس بدار الحديث الكاملية بالقاهرة عام 641هـ.
(تكملة الصلة لابن الأبار: ج 3 / ص 741).

ـ ابن الطيب بن أحمد بن يوسف العلمي صاحب (الأنيس المطرب): توفي بمصر (عام 1134 هـ / 1721م).
(النشر ج 2 / ص 204 / الدر المنتخب لابن الحاج ج 8 / ص 28 (مخطوط ابن زيدان / ابن الطيب العلمي ـ عبد الله كنون).

ـ ابن عمران محمد الشريف الكركي:
ولد بفاس، وهو شيخ المالكية والشافعية والشام، تفرد بمعرفة ثلاثين علما وحده (حسب مقالة تلميذه شهاب الدين القرافي) (الديباج ص 286).

ـ ابن مرزوق محمد بن أحمد:
نزيل فاس، المتوفى بالقاهرة (781 هـ / 1379م)، صاحب (المسند الصحيح الحسن في مآثر أبي الحسن) (أبي علي بن أبي سعيد عثمان المريني) (خ ق = ق /// الأسكوريال 1666 / تامكروت) توجد بها الورقة الأولى التي تنقص نسخة الأسكوريال.

ـ ابن المعلم يعقوب بن عبد الرحمن بن أطوال اليشفري:
قاضي الجماعة بفاس وتازة ،أقام بالقاهرة والأسكندرية ودمشق (877 هـ / 1472م).
(الضوء اللامع ج 10 / ص 285 - طبعة 1355هـ).

ـ ابن مغانط محمد عمر الفاسي:
جلس في مصر بعد موت الإمام الشاطبي للإقراء (مات بالمدينة عام 631 هـ / 1233م).
(بغية الوعاة ص 86 / طبقات المفسرين للسيوطي ص 39 / الوافي بالوفيات ج 4 ص 261).

ـ ابن مفتاح أبو محمد الفقيه القرشي الفاسي:
تلميذ عبد الكريم بن عطاء الله الأسكندري (رحلة ابن رشيد ـ ج 6 / ص 30).

ـ ابن المواق أحمد بن محمد:

استظهر بمصر الموطأ، فضرب بشيوخ المالكية الطبول على رأسه إشادة وتنويها، توفي بفاس (عام 725 هـ / 1324م).
ـ ابن النعمان شمي الدين محمد بن موسى المزالي الفاسي:
نزيل مصر صاحب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام) (683 هـ / 1284م).
(الدرر الكامنة ج 3 / ص 288 / سفينة النجاة ج 1 / ص 186 / الإعلام للمراكشي ج 7 / ص 289 ـ الطبعة الأولى).
ـ أحمد بن إبراهيم أبو الفتيان البدوي القطب الفاسي (675 هـ / 1276م):
ولد بفاس، ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس.
(السلوة ج 3 / ص 236 / شجرة النور ص 401 /النجوم الزاهرة ج 7 / ص 252).
ـ أحمد بن حاتم بن محمد بن حاتم السبطي الفاسي:
نزيل القاهرة، يعرف بين المصريين بحاتم، ولد عام 851 هـ بباب الجيسة من فاس، تحول إلى القاهرة عام (873 هـ / 1468م)، وقد تميز في الطب. (الضوء اللامع ج 1 / ص 268).
ـ أحمد بن عبد القادر القادري المدعو علال:
عاش سبع سنوات بالقاهرة، وتوفي بفاس (1133 هـ / 1721م) (السلوة ج 2 / ص35).

ـ أحمد بن علي بن محمد بن سعيد المعافري، توفي بفاس 537 هـ / 1142م)، انتقل إلى الأسكندرية، حيث درس العلم وحده، هو محمد المعافري العالم الرحالة دفين الأسكندرية.
(السلوة ج 3 / ص 243 / فهرسة عياض ص 68 / الجذوة ص 68).
ـ أحمد بن مَحمد (فتحا) بن أحمد الصقلي:
قطب فاس، أخذ عن محمد بن سالم الحفناوي المصري الطريقة الخلوتية (1177 هـ / 1763م).
(السلوة ج 1 / ص 133).
ـ أحمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني:
نزيل فاس والقاهرة، صاحب نفح الطيب، خطيب جامع القرويين، حافظ المغرب ومفتيه. توفي بمصر (1041 هـ / 1632م).
(الدر الثمين لميارة ص 41 / محاضرات اليوسي ص 59 / الصفوة ص 71) النشر ج1 / ص 157 / شجرة النور ص 300 / خلاصة الأثر ج 1 / ص 302 / البستان لابن مريم ص 155 / ريحانة الألباص 285).
ـ أحمد بن حمد بن إدريس اليمنى:
المصري منشأ، توفي بفاس (1113 هـ / 1701م) (السلوة ج 2 / ص 334 /

الصفوة ص 219 / النشر ج 2 / ص 165).

- أحمد بن محمد بن عيسى بن علي الشهاب اللجائي الفاسي:

ولد بفاس عام 792هـ، وأخذ بالقاهرة عن المقريزي، ومات بالتكرور عام 843هـ، حيث كان يقرىء التفسير، وهو شيخ البرهان اللقاني القاهري.

(النيل ص 62 / السلوة ج 1 / ص 304 / الضوء اللامع ج 2 / ص 164 / الجذوة ص 59).

- إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الإدريسي (1137 هـ / 1724م):

أخذ بالشرق عن ثلة من العلماء.

- عبد الواحد التازي الفاسي:

أسند إليه السلطان النظر في شؤون الرعايا المغاربة بمصر (العز والصولة لابن زيدان ج 1 / ص293).

- علي بن عبد الله الششتري الفاسي:

توفي بدمياط (668 هـ / 1269م).

- علي بن محمد العربي بن علي السقاط الفاسي نور الدين المصري:

ولد بفاس، وتوفي بمصر (عام 1183 هـ / 1769م).

(شجرة النور ص 340 / عجائب الآثار للجبرتي ج 1 / ص 342).

وهنالك علي الفاسي آخر، ذكره ابن مريم في البستان (م121) في ترجمة عبد الله المجاصي الشهير بالبكاء.

- محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف الفاسي المقرىء:

ولد بفاس عام (589 هـ / 1189م)، أقام بمصر، وتوفي بحلب (656 هـ / 1258م).

(ابن الجزري : الطبقات ج 2 / ص 122 / مرآة الجان لليافعي ج 4 / ص 147 / الوافي بالوفيات ج 2 / ص 354).

- محمد بن عبد الرحمن الفاسي المكي (824 هـ / 1421م):

مهر في الفقه، وأذن له بالإفتاء والتدريس بالقاهرة.

(النيل ص 301 /الضوء اللامع ج 8 / ص41).

- محمد بن عبد اللطيف بن أبي السرور بن عبد الرحمن الفاسي:

ولد عام 843 هـ بمكة، أجازه قريبه عبد اللطيف الفاسي وأخته أم الهدى، ودخل القاهرة وبيت المقدس ثم فاس ومكناس مرارا والهند.

- محمد بن عبد الله الزقاق الفاسي:

أخذ بمصر عن ناصر الدين اللقاني.

(السلوة : ج 3 / ص 282 / درة الحجال ج 1 / ص 251).

(توفي عام 968 هـ / 1560م).

- محمد بن عيسى بن عثمان الحميري الفاسي:

تلميـــذ ابـــن أبي جمرة، انقطـــع بالأسكندرية (726 هـ / 1325م) (الدرر الكامنة ج4 / ص 246).

ـ محمد بن قاسـم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي:

أقام بالمشرق خمسة عشر عـاما، وأخذ عـن عشرات الأعلام بـالقاهـرة. والقراجـة وبغداد ودمشـق والقدس وإفريقيـة، وهو صاحب (المستفاد في منـاقب العباد)، توفي بمدينة فاس (604 هـ / 1207م).

(السلوة ج 3 / ص 268 / الجذوة ص 159).

ـ محمد الحصار الفاسي:

اتصل بـه الحاتمي بفاس، ورحـل معه عام (597هـ) إلى مصر.

(درة الحجال ج 1 / ص 233 / جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 1 / ص 190 / السلوة ج 2 / ص 159).

ـ يعقوب بن عبـد الله الخاقاني الفاسي البربري:

خـرج مـن فـاس بسبـب الفتنـة بين السعيـد وابـن أبي سعيـد عـام 817 هـ / 1414م (الضوء اللامع ج 10 / ص 284).

الرباط ـ عبد العزيز بنعبد الله

الشباب والتنمية في نظر الإسلام

للدكتور إدريس العلوي العبدلاوي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

تمهيـــد :

تعتبر مرحلة الشباب من عمر الإنسان من أهم المراحل التي يجب أن تمر في أحسن الأحوال مما يرجع على الأمة بالخير العميم، والنفع المتواصل.

ومرحلة الشباب هي الفاصل بين طورين :

• طور الطفولة الذي يتسم بالسذاجة، واستقبال المعلومات، والتوجيه العام، وعدم التجربة.

• وطور الكهولة الذي يتصف بالحكمة، وغزارة المعارف، وطور التجربة، ولكن مع فتور يعتري الطاقة الجسمية، ويلحَقُ القدرة الفكرية. بينما تتميز مرحلة الشباب بالحيوية والنشاط في الفكر والجسم، ومواصلة الإنتاج واستمرارية العمل، وتحمل الشدائد، واتزان التفكير، فهي الحلقة الوسطى في عمر الإنسان التي ذكرها الخالق سبحانه بقوله :

﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾.

الروم 54.

والشباب في اللغة : يدل على الحركة والنشاط، والمشكل هو أن هذه المرحلة سريعة الزوال، وشيكة الاضمحلال، كزهرة تذبل، ويذهب رونقها الجميل ويبلى ثوبها القشيب، لذا كان من الأفيد والأوفق استغلالها، والعناية بها، بكل الوسائل والغايات، والتنبيه لأهميتها من أجل الاستفادة منها في جميع المجالات.

ولقد اهتم كتاب الله بذكر هذه المرحلة المرتبطة بالعمر، عموما إذ رأسمال المرء عمره، فهو بضاعته وزاده، والعاقل هو الذي يصرف هذا العمر فيما له فائدة وجدوى.

والإسلام لا يعرف الفراغ في الأوقات والأعمال ولا يعرف بالتالي ذهاب الأعمار فيما لا يعود على الإنسان بالنفع العاجل أو الآجل، لأن أعمال الدنيا والآخرة في الإسلام أمران متلازمان حيث إن المسلم إما أنه يوجد في عمل دنيوي أو

أخروي حتى بالتفكير والاعتبار في ملكوت الواحد القهار فينشأ عنه خشوع وتدبر وادّكار.

فقيمة الزمان في الإسلام، مرتبطة بعمر الإنسان وبمرحلة الشباب بالذات التي هي أغلى وأثمن مرحلة.

وفي السُّنة من العناية بالشباب ما بلغ حدا من الاهتمام والرعاية والحدب من رسول الله ﷺ الذي كان يقدر هذه المرحلة حق قدرها، ويشير إليها في عدة أحاديث وسار على منهجه القويم صحابته الكرام رضوان الله عليهم، مما يشمل النماذج الطيبة والمثل العليا لشبابنا اليوم.

والشباب مرتبط بمجتمعه وناشيء في ظلاله يستمد منه مقوماته، ويستهدي من خلالها الصراط المستقيم، فهي بمثابة النور الوهاج والضوء اللامع الذي ينير له الطريق ليصل في مأمن من العثرات والهفوات.

وسوف نعالج هذا الموضوع في فصلين :

الفصل الأول : عناية الإسلام بالشباب.

الفصل الثاني : مقومات المجتمع الإسلامي وربطه برعاية الشباب.

الفصل الأول :

عناية الإسلام بالشباب

تقسيم :

سنقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الشباب من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثاني : الشباب من خلال السنة النبوية.

المبحث الثالث : نماذج إسلامية للشباب.

المبحث الأول :

الشباب من خلال القرآن الكريم

اهتم كتاب الله ببيان هذه المرحلة من العمر وامتن على عباده بها في قوله تعالى بعد ذكر مراحل الخلق وتطورها إلى أن يصل الإنسان إلى مستوى القوة والترعرع وهو طور الشباب :

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم﴾.

وقال تعالى :

﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ وهي قوة الشباب.

وقال تعالى :

﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾

وهذه المدة تمثل أوج الشباب وكماله.

وقص علينا كتاب الله نماذج من أعمال الأنبياء وهم في مرحلة الشباب، منهم أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم، الذي أسس مناهج التفكير في ملكوت اللطيف الخبير، وحاول أن ينفذ بعقله الملهم الموفق من أقطار السموات والأرض، ليصل إلى وحدانية الله وإدراك عظمته سبحانه.

قال تعالى :

﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي، هذا أكبر. فلما أفلت قال : يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾.

ويصف القرآن حيرته عليه السلام لينطلق من الشك المحمود إلى اليقين الثابت في قوله تعالى :

﴿وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

ويقوم سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضا بعملية المجادلة في الحق مع أكبر معاند جبار وهو النمرود في قوله تعالى :

﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾.

ومن خلال القرآن الكريم نلمس تحمل أمانة النبوة في مرحلة الشباب فمن ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى : **﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾.**

وسيدنا موسى عليه السلام أوتي الحكم والعلم وهو شاب.

قال تعالى :

﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما﴾. وكذلك سيدنا يوسف.

قال تعالى : **﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما﴾.**

وكان سيدنا يوسف مثال الشاب المنضبط الملتزم بأوامر الله، ليتولى أعلى منصب في حكم مصر وبطلب منه، حين لمس من نفسه الأهلية والاستعداد قال تعالى حاكيا عنه :

﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾.

وتحمل سيدنا موسى أعباء الرسالة وهو شاب، كما عانى من مشقة الهجرة في سبيل الله ونصرة الحق وإسداء المعروف والاتصاف بالنجدة والإغاثة فيما قصه القرآن علينا بقوله تعالى :

﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان، قال ما خَطْبُكُمَا ؟ قالتا لا نسقي حتى يُصْدِرَ الرِّعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لِمَا أنزلت إلي من خير فقيرٌ﴾.

وقص القرآن علينا أمر الفتية أصحاب الكهف الذين صارعوا الطغيان وهم في عنفوان الشباب، وفروا بدينهم، فهداهم الله إلى ذلك الحدث العجيب الذي تحدث عنه كتاب الله بتفصيل قال تعالى :

﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَباً، إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربَّنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا، نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾.

المبحث الثاني :

الشباب من خلال السنة النبوية

يعتبر الرسول ﷺ المثل الأعلى للشباب المسلم في تحمل التكاليف والأعباء، والاتصاف بمكارم الأخلاق، سواء قبل البعثة أو بعدها، فقد رعى الغنم لقومه، وعمل في التجارة مع عمه أبي طالب، وتاجر بعد ذلك في مال سيدتنا خديجة التي أعجبها تصرفه وخلقه فطلبته زوجا لها.

وقد لخصت سيرته العطرة، وأخلاقه الفاضلة حين نزل عليه الوحي أول مرة في غار حراء، وأصابه الروع من أجل ذلك فقالت له : «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». رواه البخاري.

وفي المدرسة المحمدية نشأ جيل من الشباب المسلم الذين استفادوا من سيرة الرسول عليه السلام، ومن توجيهاته السامية.

فمن ذلك قوله ﷺ فيما رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح واللفظ له :

«لن تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به».

وقال عليه السلام فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : «نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة، والفراغ».

وروى الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أيضا أن الرسول ﷺ قال :

«اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

وأخبر الرسول عليه السلام أن الشاب الذي نشأ في عبادة الله ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فقال فيما رواه البخاري عنه : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله...الخ».

المبحث الثالث :

نماذج إسلامية للشباب

إن أول نموذج نبدأ به هو نموذج الشباب من الصحابة الذين رباهم الرسول عليه السلام ورعاهم تحت كنفه، فكانوا القدوة النيرة، والمثال الذي يحتذى.

ـ فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو طفل صغير في مقتبل العمر يدعو له بقوله : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، وكان يجلس مع

كبار الصحابة أمثال سيدنا عمر وأبي بكر وغيرهم فيسمعون منه ويستفيدون منه وهو لم يتجاوز السابعة من عمره.

وقد وجه إليه الرسول عليه السلام وصية تعتبر توجيها لكل الشباب، وهو ما رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن عباس أنه قال له : «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

ـ وهذا سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي شب وترعرع في بيت رسول الله، فورث عنه الأخلاق الحميدة، والشمائل المجيدة، والرأي الصائب، والشهامة الإسلامية من شجاعة ونجدة وإغاثة.

وهو الذي أعطاه الرسول عليه السلام راية القيادة يوم غزوة بدر، فتحمل مسؤولية الجهاد في سبيل الله وهو شاب.

وهو الذي كافح وجاهد مع رسول الله ﷺ في أغلب حروبه، واهبا قوته وشبابه في سبيل الله.

ـ ومثله الصحابي الجليل العالم المجاهد زيد بن ثابت الذي ناضل مجاهدا على رأس القيادة في غزوة تبوك وهو في العشرين من عمره.

ـ ومثلهما سيدنا جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة في سن الثالثة والثلاثين.

ـ والصحابي الجليل أسامة بن زيد حب وابن حب رسول الله ﷺ، تحمل المسؤولية وهو ابن السابعة عشرة من عمره.

ـ وعبد الله بن عمر الصحابي الفاضل العابد الزاهد الذي شهد له الرسول عليه السلام بالصلاح، ودعاه إلى قيام الليل، فعاش متشبثا بآثار رسول الله ﷺ طول حياته.

ـ وسيدنا معاذ بن جبل، الشاب الصحابي الجليل الوسيم الجميل الذي خاطبه الرسول ﷺ بقوله : يا معاذ إني لأحبك، فقل في دبر كل صلاة : «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك». رواه الإمام أحمد في المسند.

فمن هذا الحديث نستفيد فعالية الوسيلة التوجيهية من الرسول عليه السلام لسيدنا معاذ وهو شاب في مقتبل العمر، وهو الإخبار بالمحبة حتى يطمئن للناصح المحب الأمين ثم يأتي التوجيه المبارك الطيب.

وفي محاورة جليلة بين هذا الصحابي الجليل وبين الرسول ﷺ ترشد إلى أنفع الأساليب في التعلم والوعظ، وكيفية التوجيه للشباب من الرسول المربي الأكرم عليه السلام في مجالات متعددة.

روى الترمذي عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال : لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال له : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة،

والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا : تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعلمون، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله، قال : رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، ثم قال : كف عليك هذا، قلت : يانبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

إن هؤلاء الأعلام من الصحابة ماهم إلا نموذج صالح من جمهرة كثيرة من أولئك الرجال الأفذاذ الذين يعتز بهم العالم الإسلامي.

وسار على غرارهم التابعون وأغلبهم شباب في التأسي بذلك الرعيل الأول حتى جاء دور الأئمة الفقهاء أمثال الإمام مالك، والإمام الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، وسفيان بن أبي عيينة، وأبو ثور، وإسحاق بن راهويه. وكلهم قد استفادوا من مرحلة شبابهم.

- والإمام البخاري الذي أصبح أمير المؤمنين في الحديث، طلب العلم وهو دون التاسعة من عمره.

- والإمام الحافظ ابن تيمية الذي أفتى ودرس وهو دون العشرين.

- والإمام ابن قيم الجوزية، وابن رجب، وابن كثير، أولئك الرجال الذين طلبوا العلم بهمة الشباب، فاستفادوا من أوقاتهم، وعمروها بنافع القول والعمل، فتركوا للأمة الإسلامية تراثا خالدا ما زالت الأجيال تنتفع به إلى الآن.

- وهذا الإمام ابن حجر العسقلاني، المثال القدوة للشباب الذي جاهد في سبيل العلم وطلبه مدة حياته، ابتداء من سن التاسعة من عمره.

ولو استعرضنا جهابذة العلم والمعرفة، وقدوة الشباب من مختلف الأزمان، لطالت اللائحة من أمثال الإمام الغزالي، وابن رشد، وأبو بكر بن العربي المعافري، والإمام يحيى بن شرف النووي، وعز الدين بن عبد السلام، والإمام الباجي، والإمام ابن حزم، وابن قدامة المقدسي، والإمام الشوكاني، والشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والشيخ شعيب الدكالي، والمختار السوسي، وعلال الفاسي، الذين ما زالوا حاضرين مع كل الأجيال بسيرتهم العطرة وتراثهم الخالد، وأفكارهم النيرة.

الفصل الثاني :

مقومات المجتمع الإسلامي وربطها برعاية الشباب

إن المتتبع لما يرتكز عليه قيام المجتمع الإسلامي يجد أنه بني على مقومات لا يمكن للأمة الإسلامية أن تعيش بدونها، وهذه المقومات هي بمثابة الأنوار الهادية للشباب المسلم في كل عصر وزمان، فأول عنصر من تلك المقومات هو عنصر الدين، والعنصر الثاني عنصر الأخلاق، والعنصر الثالث عنصر المعرفة والعلم. وسنتناول كل عنصر في مبحث خاص.

المبحث الأول :

المجتمع الإسلامي
قائم على عنصر الدين

إن الغاية التي علل الباري سبحانه خلق عباده من أجلها هي عبادته. قال تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.

ومن أجل عبادة الله على الوجه الأكمل - وجعل الإنسان مرتبطا بدين وشريعة من الله حتى تستقيم أحواله - أرسل الخالق سبحانه الرسل، وأنزل الكتب حتى كان خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ وآخر الكتب القرآن الكريم.

والمجتمع الإسلامي مدين في تكوينه إلى الدين، إذ لولا الإسلام، ما كان للمجتمع العربي وجود، وما قامت له حضارة، مازالت آثارها مستمرة إلى الآن.

وإن شخصية الرسول ﷺ شخصية ربانية هذبها الوحي ورباها الدين قال تعالى :

﴿**ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا**﴾.

والرعيل الأول الذي عاش مع الرسول عليه السلام، عاش في ظلال القرآن والسنة النبوية، وتربوا بين تلك الأجواء الطيبة.

والشباب المسلم في كل جيل استفاد من تلك المصادر التي كونت الشعلة الإيمانية في النفوس والتربية الصالحة في السلوك.

وأول تربية بدأ بها القرآن الكريم في تكوين الشخصية المسلمة هي التربية الإيمانية، وهذا ملاحظ من نزول القرآن الكريم الذي استمر نزوله مدة تقترب من ثلاثة عشر عاما من أجل القضاء على مظاهر الشرك والإلحاد، حتى تقرر الإيمان في القلوب ووقع الخطاب بالفروع الجزئية التي تحكم السلوك الإنساني من تحليل وتحريم وتنظيم لجميع الروابط الإنسانية.

ومن أجل ذلك، فالتربية الدينية ضرورية للشباب، وتقرير قواعد الإيمان تعتبر من أولى الواجبات بمختلف الطرق، وما يتبعها من عبادات والتمرين عليها منذ الصغر حتى يشب عليها المسلم.

وتعتبر هذه التربية ضرورية في مختلف مراحل التعليم، إذ أسلوب الخطاب في هذا المجال يختلف من مرحلة إلى مرحلة.

فللمرحلة الابتدائية أسلوب يناسبها، وللمرحلة الثانوية أو الإعدادية كذلك لون يناسبها، وللمرحلة الجامعية طريقة تخصها.

المبحث الثاني :

المجتمع الإسلامي
قائم على المعنى الأخلاقي

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنهاج شامل لسائر العلاقات الإنسانية، وما ينبغي أن يكون عليه تصور المسلم وهو يخطو خطواته عبر هذه الحياة في جميع تصرفاته التي يجب أن تكون صالحة خيرة منسجمة مع ما يعتقده، وما يحمله من رسالة تدعو للسلام ومكارم الأخلاق، ويمثل هذه المعاني

كتاب الله الذي يقصد في دعوته العامة إلى تربية الفرد والجماعة، وتربية تدعو إلى صفاء الضمير، وتنقية القلب من الصفات المذمومة، والمحبة الخالصة لله فيما بينهم، والسلوك الحسن مع الجميع.

وهكذا تكونت الأخلاق الفاضلة في المجتمع الإسلامي منذ بدايته، متمثلة في شخص رسول الله ﷺ وفي صحابته الكرام، حيث أثنى الخالق سبحانه على رسوله الكريم بقوله تعالى : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

وأثنى عليه وعلى صحابته بقوله تعالى :

﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾ الفتح/29.

وتمثل سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه الكرام المثل العليا التي يجب تنبيه الشباب إلى الاقتداء بها طبقا لقوله تعالى :

﴿**لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾.

وبهذه الأخلاق ساد العالم الإسلامي في مراحله الأولى، وبها تعود إليه هيبته وجلالته، إذ العلم وحده لا يكفي سواء كان شرعيا أم طبيعيا بدون آداب وأخلاق.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أجل ذلك، فتوعية الشباب ضرورية في جميع مراحل تعليمهم من خلال السنة والسيرة النبوية، ومن خلال الدراسات القرآنية لجوانب شخصية الرسول عليه السلام.

ويتأكد هذا الجانب في رحاب الجامعات الإسلامية.

المبحث الثالث :

المجتمع الإسلامي
قائم على المعرفة والعلم

للعلم شرف وسمو في حد ذاته، ولذلك اتصف به الخالق سبحانه على جهة الكمال والجلال والإحاطة قال تعالى :

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

وقد فضل الله سبحانه آدم على الملائكة بالعلم قال تعالى : ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم**

أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.

وشرّف الإسلام العلم منذ بدايته وفي أول سورة من سور القرآن الكريم في نزوله قال تعالى :

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

- ويستفاد من هذه الآية الفوائد الآتية :

أ - وقع الأمر بالقراءة في بداية نزول القرآن، وهذا يدل على شرفها وتقدير الإسلام للعلم منذ بدايته.

ب - الإشارة إلى دور القلم في تحصيل العلم، وقد أيده الواقع، وما حصل من علوم من بعد، كان القلم هو الوسيلة لذلك في ربط الحاضر بالماضي وفي إخبار السابق للاحق بما يجهله ولا يعلمه.

ج - علّمنا الحق سبحانه أن نقرأ باسمه، وأن نبدأ أعمالنا وجميع تصرفاتنا بالاستناد إليه، لأن علمنا منه وإليه **﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾** فكل علم لا يرتبط به، يعتبر حسرة على صاحبه في الدنيا والآخرة، وهذا هو السر الذي جعل حضارة وعلم الغرب فتنة لهم، لأنهم لم يوجهوا علمهم ذلك إلى معرفة الله والإيمان به، فهم الذين قال فيهم سبحانه : **﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾.**

ودورنا نحن المسلمين، تصحيح المفاهيم انطلاقا من كتابنا العظيم، وأخذا بما عندهم مصححا بما عندنا، بما يفرضه علينا إسلامنا وديننا.

ونوه كتاب الله بفضل العلماء، فقرن شهادته وشهادة الملائكة بشهادة أولي العلم فقال تعالى :

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط﴾.

وقال تعالى :

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.

وقال تعالى :

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون﴾.

وقال تعالى :

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.

ونبه كتاب الله إلى أن طلب العلم لا حدود له، قال تعالى :

﴿وقل رب زدني علما﴾.

وأشار إلى الرسول ﷺ إلى شرف العلم وفضله في أحاديث صحيحة متعددة.

فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن سيدنا معاوية رضي الله عنه أنه قال : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

وقال عليه السلام فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وقــال ابن رجب الحنبلي في شرحــه لهــذا الحديث :

وسلوك الطريـق لالتماس العلم يـدخـل فيـه سلوك الطريـق الحقيقي، وهـو المشي بـالأقـدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنويـة المؤديـة إلى حصول العلم مثـل حفظـه، ومـدارستـه، ومذاكرته ومطالعته، وكتابتـه والتفهم لـه، ونحو ذلـك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم[1].

كمـا يستفـاد شرف الاشتغـال بكتـاب اللـه، ومدارسته، وتفهمه وخاصة في دائرة الجماعة.

وقـد أخرج عليـه الـسلام الاشتغـال بـالعلم من لعنة الدنيا بقوله ﷺ فيمـا رواه الترمـذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه : «الدنيا ملعونة، ملعون مـا فيها، إلا ذكر الله، وما والاه، وعالما ومتعلما».

وأثر العلم يبقى بعـد المـوت، تـدوم حسنـاتـه، ويستمر صلاحه، قال عليه السلام فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه : «إذا مـات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع بـه، أو ولد صالح يدعو له».

والعلم ميراث الأنبيـاء كمـا يستفـاد من قـولـه عليه الـسلام فيما رواه الترمذي وأبو داود :

«إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنمـا ورثوا العلم، فمن أخـذه أخـذ بحظ وافر».

[1] جامع العلوم والحكم ص 299 لابن رجب عند شرحـه للحديث الـسادس والثلاثين من الأربعين النووية ـ مطبعة البـابي الحلبي بمصر الطبعة الثالثة 1382 ـ 1962.

ومن أجـل ذلــك، فهم يردون الأمـور إلى نصابها، كما قال عليه السلام : «يحمل هـذا العلم من خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الضـالين، وانتحـال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

وسئـل عبـد اللـه بن المبـارك من النـاس ؟ فقال : العلماء. فحصر معنى الإنسـانيـة وكمـالهـا في العلماء

وقـال بعض السلف : عليـك بـالعلم، فـإنك إن افتقرت كـان لـك مـالا، وإن استغنيت كـان لـك جمالا.

وقـال عبـد الله بن مسعـود رضي اللـه عنـه : الدراسة صلاة.

ـ وقـال عبـد اللـه بن عبـاس رضي اللـه عنـه : تَذَاكُرُ العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها.

وقـال سيـدنـا عمر بن عبـد العزيز : من عمـل في غير علم كان ما يُفسِـد أكثر مما يصلح.

وقال الإمام الزهري : ما عُبد الله بمثل العلم.

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنـه يقول إذا رأى الشباب يطلبون العلم :

مرحبا بينابيع الحكمة، ومصابيح الظلم، خلقان الشبـاب جـدد القلوب حبس البيـوت، ريحـان كـل قبيلة.

وعن الحسن البصري : الـدنيـا كلهـا ظلمــة إلا مجالس العلماء[2].

[2] انظر هذه الآثار جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

وقال الإمام الشافعي :

العلم مغرس كـــل فخر فـــــافتخر
فـاحـذر يفـوتـك فخر ذلـك المغرس

واعلم بـــأن العلم ليس ينـــالـــه
من همـــــــه في مطعم أو ملبس

إلا أخـو العلم الـــذي يعنى بـــه
في حـــالتيـــه عـــاريــا أو مكتسي

فـاجعـل لنفســك منـــه حظـــا وافرا
واهجر لـــــه طيب الرقـــــاد وعبس

فلعــلّ يـــومـــا إن حضرت بمجلس
كنت الرئيس وفخر ذلـــــك المجلس

وقال أيضا :

إذا رأيت شبـــاب الحي قـــد نشـــأوا
لا يحملـون قـلال الحبر والـــورقـــا

ولا تراهم لـــدى الأشيـــاء في حلـق
يعون من صـالـح الأخبـار مـا اتسقـا

فعـــــــد عنهم أنهم همــــــج
قـــد بـــدلـوا بعلـو الهمـــة الحمقـــا

وقال أيضا :

من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.

وباستقراء كتاب الله الذي هو عمدة الأدلة، نجد أنه أشار إلى نوعين من العلم :

- علم يتعلق بكتابه المسطور وهو القرآن، وما تفرع عنه.

- وعلم يتعلق بكتابـه المنظـور وهـو الكـون بصفة عامة.

قال تعالى في شأن العلم الأول علم الشريعة :

﴿وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾.

وقال في شأن حملة الشريعة :

﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.

والمقصود بهذا التذييل في عدم الاستواء في العلم أنه راجع إلى ما قبله، في كون أن العلم بالقنوت، هو الخضوع والخشوع لله بالسجود والقيام، والنظر إلى أحوال الآخرة، ورجاء رحمة الله لا يستوي مع عدم العلم بذلك، وهذا يدخل فيه جميع العلم بفروع الشريعة، لأن بعضها يساعد البعض في الوصول إلى ذلك العلم.

ومدح الذين يتلون كتاب الله ويتدبرونه في غير ما آية : وقال تعالى في شأن العلم الثاني : **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء، والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلا بالحق نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾.**

وقال تعالى :

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحُمْرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك، إنما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾.

وهذه الآيات تدل على خشية من العلم خاصة وأن العلماء هنا هم العالمون بما أشارت إليه هذه الآيات من العلم بكيفية نزول المطر وعلم النبات، وطبائع الجبال والناس والدواب والأنعام، إنها علوم مختلفة تحتاج إلى كشف ودراسة تقود صاحبها إلى معرفة الله وخشيته.

وهكذا فإن كتاب الله وازن بين علوم الشريعة وعلوم الطبيعة في بوتقة واحدة، لأنه عالم بهما جميعا، ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾. وكانت العلوم الشرعية منبعثة من القرآن الكريم، إذ مبناها على النقل، وسار العقل في ركابه لأنه نوره وهداه.

وأما العلوم الكونية، فقد دعا القرآن العقل من أجل الاهتداء إليها، ومعرفة نواميسها وضبط قوانينها، وهو ما لاحظه العقل البشري عبر العصور، وتعاونت المعارف من أجله حتى وصل العلم الحديث إلى ما وصل إليه، مع ملاحظة أن العلم في الإسلام كيفما كان نوعه يستند إلى وحدانية الله وربوبيته، والاعتراف بأنه المشرف على سائر العلوم، وهو الذي خلقنا فألهمنا وعلمنا ما لم نكن نعلم.

قال تعالى : ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾.

ولذلك علمنا أن نقرأ باسمه في أول سورة نزلت من كتابه : ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾. لأن علمنا بعد علمه سبحانه، وأن يكون علمنا وسيلة لمعرفته وعبادته، وإشاعة السلام والطمأنينة فوق أرضه، وسمائه، فكل علم تجرد من هذه المعاني فهو وبال على صاحبه ولا بركة ولا خير فيه.

وقال تعالى :

﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون**﴾.

إن تلاقي جميع العلوم والمعارف في هذا النطاق، يعتبر من نتائج الخلافة عن الله فوق هذه الأرض، ليظهر العمل الصالح من غيره.

قال تعالى :

﴿**إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا، وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جُرُزاً**﴾.

وقد اهتم سلف هذه الأمة بفروع الشريعة الغراء، كما اعتنوا بعلوم الكون، والطبيعة، والإنسان بصفة عامة، مما يشهد تراثهم بذلك.

والمسؤولية المناطة اليوم بالشباب، هو إحياء ذلك التراث وتفهمه، وربط الحاضر بالماضي في جميع فروع الثقافة الإسلامية، سواء على صعيد مقاصد هذه الثقافة كالعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، والعلوم المتعلقة بالسنة النبوية، والعلوم المتعلقة بأصول الدين، أو العلوم المتعلقة بالفقه الإسلامي وأصوله.

أو على صعيد وسائل الثقافة الإسلامية، كعلوم اللغة والأدب، وما يتعلق بذلك من علوم.

وإن مجال إحياء هذا التراث متعددة الجوانب، سواء منها الدراسات الجامعية التي تدرس نظاما معينا، أو تحقق مخطوطة من المخطوطات، كل ذلك يبشر بنهضة علمية هادفة.

ونخلص من كل ذلك :

1 ـ دور الإيمان بالله في تربية وتكوين الشباب.

2 ـ دور العلم بالسيرة النبوية وسيرة أصحابه الكرام وتنقية التاريخ الإسلامي من بعض الشوائب، حتى تكون هذه الأمور بمثابة انطلاقة للشباب المسلم.

3 ـ التعريف بفروع الثقافة الإسلامية منذ المراحل الأولى من التعليم الجامعي، حتى يتعرف عليها الشباب الجامعي، ويتمرن على مطالعتها.

4 ـ تمتين الدراسات الإسلامية على صعيد التخصصات الجامعية.

5 ـ الاهتمام بالجانب الأخلاقي في الإسلام وتوعية الشباب الجامعي به.

6 ـ توعية الشباب بما يكتبه خصوم الإسلام من مستشرقين وأتباعهم من مروجي أفكارهم من بعض الدارسين المسلمين.

7 ـ ربط الصلة بين العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى الطبيعية والطبية والعلمية المتخصصة كالرياضيات والكمياء والفيزياء.

وقد ظهرت دراسات إسلامية تقوم بهذا الربط مما يستوجب تعريف الشباب الجامعي بها.

8 ـ ربط صلة وصل بين أساتذة هذه العلوم وأساتذة العلوم الإسلامية من أجل التعاون على تصحيح المفاهيم، وذلك بعقد ندوات دراسية في مواضع مختلفة.

9 ـ عقد صلة الوصل أيضا بين طلبة الجامعات في هذا النطاق.

توحد بين الجامعات الإسلامية عدة روابط، وتقوم كثير من العوامل منها العامل الديني، والتاريخي، والثقافي مما يساهم في تعزيز التعاون في جميع المجالات.

ويتجلى هذا التعاون والتنسيق فيما يلي :

أولا : على صعيد البرامج والمناهج الدراسية.

1) يجب تعزيز هذه المناهج وتطعيمها بالثقافة الإسلامية المعمقة وخاصة دراسة القرآن الكريم وما يتعلق به من علوم، وأحكام، وأسرار، والاطلاع على كنوز السنة النبوية، واستخلاص العبر منها مما يساعد على تكوين الشخصية العلمية الإسلامية، والاهتمام بالمجال الفقهي الأصيل لمعرفة الأسس التي بني عليها الفقه من أجل فتح باب الاجتهاد، وإيجاد الحلول للمشاكل المعاصرة.

2) من أجل ذلك، يلزم تقرير كتب معتمدة في المستوى العلمي الذي يستفيد منه الطلبة على حسب المستويات وفي جميع المجالات، إذ كل فن له كتب معتمدة فيه وإنما يجب تبسيطها، وتقريب فهمها إلى الطلاب.

ثانيا : محاولة اعتماد كتب موحدة في جميع فروع الثقافة الإسلامية، وذلك أن الجامعات الإسلامية لها لغة واحدة ودين واحد وتاريخ مشترك. فتوحيد المقررات مما يعين على النظرة الشمولية للوحدة الإسلامية في التفكير، والواقع الاجتماعي المعاش.

ثالثا : وتتويجا لما سبق، محاولة إجراء معادلات الشهادات الجامعية بين الجامعات الإسلامية.

رابعا : إقامة ندوات علمية في هذا المضمار على صعيد الجامعات الإسلامية من أجل التعريف بثقافة الإسلام ورجاله، وآفاق تعاليمه، وواقع المسلمين من أجل النهوض بهم وإصلاح أحوالهم.

خامسا : ربط الصلة بين الجامعات الإسلامية بتبادل الأساتذة يكلفون بإلقاء محاضرات دورية.

سادسا : الاهتمام بإحياء التراث الإسلامي، وذلك بتكوين لجنة مشتركة تنتقي أهم المخطوطات العربية الإسلامية المتعلقة بالفنون العلمية من أجل دراستها وتحقيقها وطبعها بعد ذلك، ليستفيد منها طلبة العلم. ومن أجل تشجيع هذا الجانب، يكلف طلبة الدراسات العليا بتهييء رسائلهم وأطروحاتهم في نطاق إحياء التراث الإسلامي.

وينـاط بلجنـة متخصصـة في ضبـط أهم المخطوطات التي يجب تحقيقها، وتنظيم لائحة بها وتوزيعها على الجامعات الإسلامية وفروعها من كليات ومعاهد.

مراكش ـ ادريس العلوي العبدلاوي

أياديك جلت عن الحصر

للشاعر عبد الواحد أخريف

تضيء الشموع ويشدو الوتر ... «لستين» باسمة كالقمر

ومن بعدها «سنتان» على ... حواشيهما فاتنات الزهر

لعمر مديد لسيدنا ... مليك البلاد وتاج الأسر

تحف به كأب عطفه ... عليها قوي بعيد الأثر

ففي كل بيت سنا فرحة ... يزين الوجوه ويحيي البصر

وما دق قلب بغير هوا ... ه، ولا افتر ثغر سوى إن شكر !

صنيع إمام يمجده ... من ازداد عمرا ومن في الصغر

فكل بني الشعب قاطبة ... بنوه لدى البدو أو في الحضر

نمت في الفؤاد محبته ... وشبت، وذلك غرس القدر

فشعت وفاء وطابت شذى ... ودانت ولاء جميل الصور

إذا لاح بدرا بهي السنا ... يفيض الهتاف كفيض المطر !

تكاد الحشود لرؤيته ... تغيب بنشوتها إذا ظهر !

تولهها بإمام الهدى ... تولهها بالهدى والسور !

وذلك سر يخص به ... من اعتز بالله أو من نصر

بنى أمة قد غذا في العلا ... مقام لها ليس يشكو القصر

وبوأها المجد راياته ... ترفرف مزهوة بالظفر

له كل يوم جديد، به ... لسان الثنا لاهج بالخبر

يفيض ولا ينثني أبدا ... يضيف بعزم مزايا أخر

لـه رفعة الشعب كل المنى ... وليس له غيرها من وطر !
كذا فليكن من يسوس الشعو ... ب صدقا، وذاك المثال الأغر !
ولست أرى في الورى مثلا ... سوى «الحسن» المرتضى المدخر
شواهد آياته ترتقي ... تعم المدى وتسر النظر
إذا عد غيره في العاملـ ... ـن فكيف يعد الهمام الأبر ؟!
وقد نال من فوقهم درجا ... ت مجد عظيم جليل الخطر
وماذا أقول وأوصافه ... كأعماله عاطرات السير ؟!
ففيض من العلم منهمر ... وقوة فكر تدر الفكر
وعاهلنا إن علا منبرا ... أجاد وجاء بأغلى الدرر
حليم وإن كان ذا قدرة ... فقد نال من جده ما بهر
فكم قد عفا عن مسيء جنى ... كعفو النبي على من عثر
حكيم التصرف والقول لا ... يروم سوى النفع فيما خطر
له من صواب الرؤى ما يقيـ ... ـل من عثرات السرى والغرر
إذا قيل : ذا خلق ناضر ... جمال السجايا به قد سفر
أضاء بإشراقه آخر ... محاسنه تجتلى وتبر
لذاك عسير تتبعها ... وفي اسم الإمام لها مختصر
فقد جمع الفضل مكتملا ... وفاق به فضلاء البشر

* *

مليكي جاهدت منتضيا ... سلاح العزيمة مثل «عمر»
ومثل أب نعم ما قد رأى ... وخلف وارثه المنتظر
بنيت السدود، وصنت العهو ... د، وواليت للشعب حسن البشر
وحررت «صحراءنا» فغدت ... جنانا عليها الجمال انتشر
مغربنا العربي فحققت أمنية تدخر
نشرت العلوم كنشر الضيا ... فولى بها الجهل ثم اندحر
وأعليت للدين كل منا ... ر وشيدت «مسجده» المعتبر
وعالجت داء الخلاف لدى ... بني العرب في ملتقى «المؤتمر»
«فلسطين» تشهد كم سمعت ... دفاعك والقدس فيها شكر

أياديك جلت عن الحصر لا يحيط بها الشعر أو من نثر !
فدم للعلا والعلا هالة تحفك بدرا جلاه السحر
ومتعك الله بالكوكبين دوما، وصان ضريف الأسر
وبلغك الله كل المنى وأسدى لنا فيك طول العمر

تطوان ـ عبد الواحد أخريف

شعبٌ يعرف اختياراته ويستهدف:
خلق الفلسفة الاجتماعية المنتظرة

للأستاذ زين العابدين الكتاني

قال أحد النقاد المنصفين وهو يتحدث عن المناسبات الوطنية ببلادنا: إن العهدين المحمدي والحسني قد استطاع كل منهما *أن يجعل منها محطات للانطلاق والتجديد والمراجعة في مسيرة الوحدة والتنمية*، إيمانا من عمق اختيار، كما حدده قائد المعركة صاحب الجلالة حفظه الله في هذه النظرية الأصيلة:

«..ان العمل الذي نحن مقبلون عليه، هو عمل ثوري بكل ما في الكلمة من معنى حقيقي:

- *ثوري ليس بمعنى خرق النظام.*
- *ولا قلب الأنظمة.*
- *وليس بمعنى التهريج والارتجال.*
- *ولكن بمعنى التغيير: التغيير في وسائل الإنتاج، التغيير في واجبات الدولة».*

وقبل أن انتقل إلى الحديث في الموضوع الذي اخترته في هذه المناسبة مناسبة عيد الشباب، أود أن أحدد الآفاق التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، وهذه الاختيارات هي ثلاثة:

أولا: يقول القائد الرائد:

«...أما أنا شخصيا فمطمئن جدا على حسن اختياراتك، ذلك أنني كلما دعوتك لركوب طريق، أو للقيام بعملية، أو لبناء صرح جديد من بناءات أمجادك،

لم تسارع فقط للتشييد والبناء، ولكن تسارع وأنت فاهم كل الفهم، واع كل الوعي مقاصدنا، ومرامينا، الشيء الذي يدل - إن دل على شيء — على أن المغرب ولله الحمد شعب واع، شعب يعرف اختياراته، وحينما يقرر اختياراته، يعرف كيف يختار السبيل للوصول إليها».

ثانيا : ويقول حفظه الله في ندوة صحفية أيضا:

«...نحن لا نعادي أي فلسفة للحكم، بل نتعامل تعاملا وثيقا مع جميع المذاهب السياسية الموجودة في العالم، ولكن لنا مذهب مبني على الإسلام... وفضيلة الإسلام بما في ذلك الأخلاق والتعامل مع الجيران، ولا نريد أبدا أن نترك هذه الفلسفة...».

ثالثا : وقال مخاطبا جريدة (الأهرام) القاهرية سنة 1977 في نفس الاختيار:

«إنني من المدرسة الإسلامية، مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام التي تفضل الحوار على كل شيء، وتجعل من الحرب آخر مرحلة للحوار...».

★★★

وإذا كان علي أن أتناول الموضوع مناقشا تجربة المغرب واختياره من خلال هذا الاختيار الواضح الذي حدده رائد المغرب، عندما أوضح أمام العالم أن النظام السياسي والاجتماعي الذي يجب أن يعيش فيه المغرب، هو نظام وسط، لا هو بالنظام الرأسمالي البشيع، ولا بالنظام الاشتراكي المندفع، نظاما يضمن للفرد أن وحدة حقوقه في الملكية الخاصة، تلك الحقوق التي يعرفها رجال القانون بحق الاستمتاع والاستغلال والتفويت، والإرث، ولكن من جهة أخرى دون أن نجعله يعتبر أن تلك الأرض هي له وحده، ففي الحقيقةإن الأرض للمجموع... والنظام الدستوري والقانوني الذي يضمن للفرد من هذه الجهة حق الاستمتاع والاستغلال والتفويت والإرث، يطلب منه من جهة أخرى أن يكون ذلك كله في صالح المجموع، ولرقي البلاد وتطورها وازدهارها.

فلماذا رفض المغرب بكل وضوح وموضوعية أن يكون نظامه السياسي والاجتماعي نظاما رأسماليا، أو نظاما اشتراكيا؟

وكيف يمكن أن يكون النظام في المغرب لا هو بالرأسمالي ولا هو بالاشتراكي؟

إن الاختيار في مفهومنا هو حق يجب أن نمارسه نحن، ولا واجبا يفرض علينا، وإلا فقد قيمته في كونه عملا إنسانيا ساميا.

خلق الفلسفة الاجتماعية :

واختيارنا هذا، جاء بعد عدة اختيارات وعوامل كان لابد لنا من أن نأخذها بعين الاعتبار الكلي، والفحص الدقيق الذي يصور واقع الحرية في بلادنا، وتبرز في كل هذه المعطيات.

وهكذا تؤكد الاختيارات الوطنية في المغرب الجديد، وفي كل القطاعات، أن اختيار التنمية يقوم على أساس خلق الفلسفة الاجتماعية المنتظرة، بل تؤكد الخطوات التي قطعها لحد الآن دون شعارات، ومن غير ضجة أن تقوم على بعد مضبوط يستهدف إعداد الإنسان إعدادا موازيا لا يبطره الترف، ولا يسحقه الفقر، وإنما ينهج طريقا يتخذ به لنفسه عن رضا وقناعة سبيلا وسطا يضيف إلى المنهج بعدا إنسانيا خارج إطار المعطيات الممكنة، إلى ما يحققه بالإيمان والقناعة والسمو.

ومن هنا، من هذا العمق، نجد أن أبرز ملاحظة يسجلها الملاحظون على التجربة المغربية أنها تنفرد بالشمولية... وأن هذه الشمولية تستهدف مختلف الجوانب والمرافق... مما يجعل حركة النمو والتحول تشتمل — في هدوء واقتناع — مختلف القطاعات، ومما يجعل حركة التحول تأتي بالنتائج المرجوة في تكافؤ وتوازن... هو ما تشير إليه مختلف الجوانب التي مستها معركة النمو والتحول هذه.

والذين يتتبعون مجال الفكر، ويرقبون ما يتصل به، يرون أن المعركة تسير في طريق عنيف ما دامت المواجهة تلتزم بشروط المعارك، وأظن أن الفضل كل الفضل يرجع إلى التحديد الذي تلتزمه المعركة في هذا القطاع، ومشاركة القيادة مباشرة في هذه المعارك، انطلاقا من اختيار الأصالة والوضوح، وهو ما عبرت عنه من جهة مختلف محاضرات أمير المؤمنين صاحب الجلالة الحسن الثاني وخطبه ودروسه الحسنية، ومناقشاته الإعلامية وهو ولي العهد، ثم وهو القائد الرائد الموحد.

وانني أعتقد أن أبرز تخطيط هو ما أشار إليه جلالته في مناسبة هي :

أولا : مناسبة تدشين الكتاتيب القرآنية حيث أوضح بمناسبة تدشينها.

«**إن الديانة الإسلامية ديانة متوازنة، مطابقة كل المطابقة لقضايا ومشاكل القرن العشرين، فهي من جهة تريد أن تكرم ابن آدم، وتريد أن تكرمه من الفاحية المادية حتى لا يكون عبئا على المجتمع الذي يعيش فيه، تريد أن تكرمه من ناحية القوة حيث إن المؤمن القوي خير وأفضل عند الله من المؤمن الضعيف**».

ثانيا : وإذا ما حاولنا أن نستخلص من مجموع (الدروس الحسنية) بالذات

الاتجاه الذي يهدف إليه أعزه الله، وهو تحويل التفكير المسلم في المغرب من فكر موروث، إلى فكر واقعي متجدد على الأسس والمقومات المقدسة، يلائم فكر أمة القرآن، ويصور واقعها وحقيقتها في عالم تتضارب فيه حياتهم، وواقع الظروف التي يعيشونها في عالم اليوم، الذي أصبح البون شائعا بين تفكير الأمة الإسلامية، وواقع التطور الفكري والعالمي، مما يجعل شعوبنا مادة سائغة للاتجاهات والمذاهب المحرفة التي تستهدف تحويل الاتجاه الإنساني، وتقسيم العالم المستضعف إلى معسكرين يرتكزان على الاستغلال والاستعمار، واقتسام العالم بلغة القوة والسلاح والفكر بالخصوص - نتيجة صراع صليبي استعماري - لم نعد نحسب له حسابه في سلوكنا اليومي، وفي اتجاهاتنا السياسية والديبلوماسية تحت شعار التعايش من جهة، وحرية الفكر من جهة ثانية.

وإذا كانت هذه النتائج قد وجدت انعكاسات مهمة داخل البلاد وخارجها، وحركت آفاق الشباب العلمية، ودفعتهم إلى التفكير في ماضيهم وفي واقعهم على ضوء المقاييس الجديدة، فإن جلالة الحسن الثاني، قد أدرك النتائج التي تركها الدرس الأول... فانطلق جلالته بالخصوص لإلقاء درسه الثاني الذي أوضح فيه آفاق الفكر المغربي المقبل.

ثالثا : وفي نطاق هذه الآفاق، انطلق مرة أخرى ليتناول موضوعات أكثر دقة، وأخطر موضوعية... وهو موضوع المعجزات.

وإذا كان موضوع المعجزات هو «قميص عثمان» عند سائر علماء الأديان الذين نصبوا أنفسهم حراسا للحفاظ على توريث الفكر الخاص وتعميقه، فإن جلالته قد حل موضوع المعجزات بالنسبة للأديان الكتابية مثلا، فأوضح مركز كل منها، سواء بالنسبة لظروف الأبناء، أو بالنسبة لقيمة المعجزات من حيث هي معجزة خالدة، وذلك ما يستهدف وهو يقول: إعجاز القرآن هو المعجزة الدائمة.

رابعا : ومن هنا، من هذا الأساس نستطيع أن نؤكد أن هذه الدروس تكون في مجموعها آفاق المستقبل الدقيقة التي يعمل جلالته على بعثها في المغرب الجديد، مرتكزا على أن «الدعوة الإسلامية التي أطاحت بالأوضاع المدخولة، وقومت الاعوجاج والزيغ، واستأصلت الفساد. وقوضت أركان الطغيان، كان لها الدوي الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية إلى ما حولها، والأثر البليغ الذي سرى في شعوب وشعوب»، فإن نفس هذا المنطلق وهذا الاتجاه، وفي إطار ديننا الإسلامي السمح سنصوغ كل عمل، وكل إصلاح، لأن المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها، لأنها مكاسب محدودة، أما المكاسب

الـروحيـة فليسـت لها حـدود لأنها هـي الـوجود، ونفـس هـذا الاختيـار الواضـح المعالم والآفـاق، هو الذي يـدعونـا للعمل، وهو الـذي سنعمل على ضـوئه ونجربـه، وأن نستعمله كـوسيلة لتوحيـد الصفوف، واتحاد الجهود، وسيلـة سماوية مقـدسة، ألا وهي حبل الله المتين، ذلـك الحبل الذي يصل الأرض بـالسماء، والذي يصـل قلب كـل مسلـم بقلب كـل المسلمين في العـالم بأسره والبقاع الإسلامية.

خامسا : وحتـى لا يقـع ارتبـاك في المفهوم الحسنـي، وحتى لا يتضـارب مع الاتجاهات المعـاصرة الغازية بـالخصوص أوضح حفظه الله:

أ ـ «**أهداف الدعوة الجديدة من جهة، بـاعتبـارهـا دعـوة تـزعـج كثيرا مـن الاتجاهات والأشخاص**».

ب ـ ثـم وضع خطـوط هذه الأهـداف فقال:

«**كنا دعـونا إلى جمع شمـل المسلمين حتى ينتصر بهم العرب، وحتـى ينتفع منهم الـذين يقـف ما يقـرب من ثمانين مليون من العرب أمام مشكلة فلسطين، لأننا إذا عززنا جانبنـا بالمسلمين كافة، بعبقـريـاتهم المختلفة، بتعـاملهـم وبصـداقاتهم، بـأحلافهـم وبطاقـاتهم، أصبح بجـانب العرب نصف مليـار من هذا المعمور.**

لذا، ودون أن يـرمي نـداؤنا ــ يقول القائد الحكيم ـ هـذا إلى أي عمل سياسي أو عسكري، أو مـا يشابـه حلفا أو غير حلف، أو تـدخل فيما يعتبر منـاورة أو عملية أو ماشابه ذلك، ولكنني ـ يقول جلالة الحسن الثاني ـ أهدف إلى توحيد الصفـوف، واتحاد المجهود، في إطـار وسياسة سماوية مقدسة، ألا وهي حبل الله المتين».

ومـا أجدر الـذين يبحثـون عن معـالم الطـريق، أن ينقبـوا عـن أمسهـم القريـب والقريب جدا، ففيه الشيء الكثير.

وهكـذا، وإذا مـا حـاولنـا ــ وفي هـذا الإطـار ــ أن نقلب مسيرتنـا منـذ ميـلاد المغـرب الجديد أو حـركة نموه منذ سنـة 1956 حتى الآن على ضوء العوامل المكونة له، والتخطيط الذي يسير على منواله، فإننا نجد أن هذا السير يرتكـز على عمل ثوري إلى أبعد حـد، وهادف إلى أقصى مـا يكون التطـرف في الاختيـار، لكنـه يضـع في الحسبان بالدرجة الأولى ثلاثة عوامل:

العامل الأول : التحالـف الاستعماري الصليبي الاستغلالي.

العامل الثاني: أسس الوحدة الوطنية.

العامـل الثالـث : العـوامل الخارجية المختلفـة التـي تتسـارع مـن منطلـق استعماري، خصـوصـا في أهـدافـه الدكتاتورية والمستبـدة، وهو ما تشير إليه

هذه الفقرات الواردة في خطاب جلالة الملك الحسن الثاني عندما قال:

«...إن العمل الذي نحن مقبلون عليه، هو عمل ثوري بكل ما في الكلمة من معنى حقيقي، ثوري ليس بمعنى خرق النظام، ولا قلب الأنظمة، وليس بمعنى التهريج، والارتجال، ولكن ثوري بمعنى التغيير، التغيير في الأساليب، التغيير في وسائل الإنتاج، التغيير في واجبات الدولة. وفي واجبات الفلاحين...».

تجربة الاتجاه والاختيار:

وهكذا، وإذا كانت التجربة المغربية: تجربة الاتجاه والاختيار، فإن هذه التجربة قد أكدت في خطوطها العامة، وأهدافها، وما حققته من خطوات، أن المنطلق يرتكز على خط ثابت، كل المآخذ التي يمكن أن تطرح على بساط المناقشة أن الخطوات التي يحلم بها البعض، تطمح في نوع من السرعة، وتتأثر بالأهداف والشعارات التي يلوح بها الذين يبحثون إما عن مسكنات لشعوبهم، أو حمل هذه الشعوب على السير في خطواتهم المستعجلة والمقتبسة، ويقصد الذين يفرضون على شعوبهم أن يعتنقوا مبادىء وأهدافا تعتبر اليوم محنة للأمة الإسلامية ولشعوبها التي انطلقت تتحرر من ربقة الاستعمار وتبعيته ومخططاته ومؤثراته، التي زرعها إبان نشوء الحركات السياسية ببلادهم، تحت شعارات مختلفة تعتبر اليوم أخطر ما يعانيه المواطن المسلم، وهو يعمل من أجل الانطلاق الحر لتحقيق الخلاص والتخلص.

وهذا هو السر الذي وضعه مؤسسو المغرب منذ الفتح الإسلامي في المقدمة، وهو أيضا سر الاختيار المغربي الذي يصارع ما يمكن أن نطلق عليه بصراع سياسي ونحن نقطع مراحل جديدة في هذا الخط الذي رسمناه لأنفسنا وبأنفسنا منذ انفصلنا بثورة الملك والشعب عن الركب الاستعماري الذي حشرتنا فيه عوامل لا نقول بأننا قد تخلصنا منها، ولكنها عوامل قد ذوبت بتأثير هذه الثورة، التي لازالت الوحدة المغربية تعمل عملها المقدس بصوفية وبإيمان الشعب المغربي في قاعدته، وتلك هي أهداف وعمق الخط الثابت الذي انطلق من أول يوم، وبالذات ابتداء من سنة 1961 بالخصوص لأنها أهداف مخططاته التي نلمسها ونحن نحاول تحديد خطوطها العامة في هذه الدراسة.

انطلاق المغرب الجديد :

وإذا كنت قد اخترت في هذه الدراسة هذا الاختيار الدقيق، كجانب من جوانب الانطلاق بالمغرب الجديد، فمرجع ذلك في العمق، يرتكز كما سنرى في التخطيط

الذي يميز العهد الحسني بالأسلوب العلمي، المحدد الأهداف، والمرامي والأبعاد... التي استهدفها في خطواته الأولى في كل المجالات.

ولا يعني هذا الأسلوب أو التحديد، أن العهد قد اقترن بوضع تخطيط مدقق الخطوات المرسومة التي قطعها المغرب، فمنذ سنة 1956 وهو يعلن عن أهداف وحدته واختياره، لتحقيق هذه الوحدة... بل إن هذا الأسلوب أو التحديد قد ارتكز مكرسا كل مجهوداته وأهدافه ومراميه لوضع نقط توازن بين مختلف الاتجاهات، وبين أسلوب العمل الذي اختاره مسبقا لضمان الاستقرار، وتكافؤ الفرص، وخلق المواطن المغربي الحر، الشاعر بالحرية في أوضح صور، والعامل من أجل حماية الحرية التي هي ركيزة الاختيار وهذا الأسلوب، لأنهما الضمان الأساسي للاستمرار، وسبيل من سبل إنماء هذه المكاسب والغايات.

ولقد اقترن ظهور أسلوب التفكير العلمي كما أوضحت ذلك في دراستي عن (الخط الثابت لتفكير المغرب الحسني) الصادرة بمجلة (دعوة الحق) في العدد المؤرخ بمحرم 1392 - مارس 1972 - وفي الصفحات: 143 / 147، بظهور تحديد علمي لكل الخطوات التي أصبح المغرب يخطوها في مختلف المجالات التي تنتظره، وهو يعدو راكضا نحو اللحاق بأمجاده، نحو آفاق الغد الذي يترأى أمامه، بل والوقوف في صف الدول التي اكتمل نموها.

وهكذا، فعندما أخذ المغرب يبلور أعماله العادية في التخطيطات العلمية، والتصميمات التي تضمن له نجاح الخطوات التي يتطلبها مستقبله، وتحقيق رغباته في تجاوز مراحل النمو والقضاء على التخلف نهائيا، فإن هذا الخط قد بلور مدى صلاحية هذا الاتجاه أو الاختيار الجديد، وقدرته على تحقيق الرغبات الشعبية في كثير من المجالات.

ونفس هذا التفكير الواضح كان في مقدمة أهدافه، وهو الذي يبرز في الأسلوب العلمي الذي يميز هذا العهد في النواحي الأساسية، ويؤكد في جلاء:

أولا : بلورة التفكير العلمي، ويتجلى ذلك بالخصوص في استمرار تتميم مرافق الجامعة المغربية، والبحث عن أسلوب الدراسة بالمدرسة المغربية الجديدة، الذي يضمن تحقيق التخطيطات الواسعة في مختلف المجالات، انطلاقا من الاختيار الثابت.

ثانيا : خلق التعليم الفلاحي.

ثالثا : حماية التفكير المغربي، وخلق أسلوب للتفكير المعاصر، واستهدف هذا العمل على خلق آفاق جديدة، خصوصا عندما أكد القائد الرائد:

«...أن السر فيما بلغه المغرب من رشد ما يتحلى به من حسن تصرف، ليرجع ما لديننا الإسلامي من تأثير طيب على نفوس أبنائه...».

رابعا : الاختيار الإعلامي الذي لا يجعل الدولة تستولى على القارىء بإمكانياتها المتنوعة ووسائلها، بل تعمل مواصلة الخطوات نحو إقرار الاختيار الحر، للعمل على صعيد مختلف الاتجاهات، والتوازن الفكري، الذي يقتضيه الاختيار الديموقراطي، والفكر الحر، وذلك من أجل أن تدافع هذه الاتجاهات عن وجهات نظرها، وتعمل بوسائلها، لاستقطاب الرأي العام، كل حسب سلوكه ومفهومه، ومنطلقه، وأيضا من أجل خلق الوحدة، وإشاعة الحرية والديموقراطية، ليبقى المغرب بلد خير وسلام، بلد الإيمان والحرية والعلم، في إطار الاستراتيجية الحضارية لرسالته ومبادئه الاستقلالية في أوسع مفهومها الإنساني.

وستتحقق المعجزة المغربية بحول الله بقيادة القائد الرائد.

الرباط ـ زين العابدين الكتاني

حديث

"السلطان ظل الله في الأرض"

حديث حسن

للشيخ ماء العينين لارباس الأعظف
رئيس المجلس العلمي الإقليمي بالعيون

لقد سرني رد المعترض على ماكتبته حول حديث: «السلطان ظل في الأرض»، وإن كان فيه غلط فيما يرجع لحكمه على الحديث المذكور بالوضع، إلا أن إشارته لهذا الموضوع تفتح باب الحوار، وتبين القول الصادق، والرأي المصيب، وذلك فيه خير كثير، حيث يجد فيه المثقف فرصة للزيادة من الإفادة، ويطلع المهتم القارىء على المجهود الجبار الذي بذله علماء السلف لحفظ الحديث النبوي الشريف كيلا يدخله كذب ولا تحريف، فمن كذب عليه ﷺ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

وقد شدد الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ومن التابعين في الاحتراز من الكذب على النبي عليه الصلاة والسلام، لتبقى هذه الشريعة نقية طاهرة، سالمة مما قد يشوبها، رغم كيد الكائدين ودس الدساسين. وفعلا صانها الله مما أحيك ضدها من أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر من بداية ظهور الإسلام إلى يومنا هذا. وستبقى محفوظة بعناية الله، فالله جل وعلا قال: ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾، فدين الإسلام نور، وكتاب الله نور، وكلامه عليه الصلاة والسلام نور من الله لنا، فجزى الله سلفنا الصالح عما أولوه من عناية شاملة، واهتمام بالغ، حتى وصلنا غضا نضيرا سالما من كل رَيْنٍ، ينقله العدول الثِقَاتُ عن العدول الثِقَاتِ نتيجة تثبهم في رواية الأحاديث.

فهذا سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يحتاط كامل الاحتياط فيما نقل عن رسول الله ﷺ.

فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذوئيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس

أن تورث فقال: «ما أجد لك في كتاب الله شيئا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا، ثم سأل الناس فقال المغيرة: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه.(1)

وفي تذكرة الُحفَّاظِ للذهبي، مترجما لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب، فروي الجزيري ـــ يعني سعيد بن إياس، عن أبي نضرة عن أبي سعيد، أن أبا موسى سلم على عمر من وراى الباب ثلاث مرات، فلم يؤذن له، فرجع، فأرسل عمر في إثره فقال: لم رجعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع». قال: لتأتيني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك. فجاءنا أبو موسى منتقعا لونه ونحن جلوس، فقلنا: ما شأنك؟ فأخبرنا وقال: فهل سمعه أحد منكم؟ فقلنا: نعم كلنا سمعه، فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره.

وفي ترجمة الذهبي لعلي كرم الله وجهه قوله: وكان إماما عالما متحريا في الأخذ، بحيث أنه يستحلف من يحدثه بالحديث التثبت في الحديث، هل هو صادر؟ منه عليه الصلاة والسلام مطلوب منا. ومعلوم أنه هو سنن السلف الصالح، ولا يضيق منه صدر عالم منصف، يبحث عن الحقيقة ولا يريد سواها.

فهذه عائشة رضي الله عنها، فيما أخرجه الشيخان سمعت حديث عمر وابنه عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله أن الله يعذب المومنين ببكاء أحد، ولكن قال: «إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه»، وقالت: حسبكم القرآن: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**.

زاد مسلم: «إنكم لتحدثوني غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطىء».

سمعت أيضا عائشة رضي الله عنها حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم» فقالت: قال رسول الله ﷺ: «إن ابن أم مكتوم رجل أعمى، فإذا أذن فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال». وكان بلال يبصر الفجر وكانت عائشة تقول: غلط ابن عمر.

ولا شك أن الاحتياط في لفظ الحديث النبوي وروايته أمر مطلوب، فكان الصحابة رضوان الله عليهم لا يأخذون الأحاديث إلا عن من يوثق به دينا وعدالة

1) تحقيق نور الدين عن مقدمة ابن الصلاح.

وحفظا وورعا، فقد قيل: إنما هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تاخذونها، مع أن الصحابة كلهم عدول.

الصحب كلهم عدول خِيَرَة
فمن يرد وجه اهتدا بهم يره
لأن من أحاط بالخبي
علما حباهم صحبة النبي
فهم نجوم بالسُّرَى من اقتدى
بهم إلى معالم الحق اهتدى

فيتبين مما تقدم، أن البحث عن درجة حديث مروي عنه عليه الصلاة والسلام من الصحة أمر مفيد، وفيه خدمة للسنة التي هي المصدر الثاني لهذه الأمة بعد كتاب الله عز وجل.

ها نحن رأينا الصحابة رضوان الله عليهم يبحثون عن سند الحديث يتثبتون في روايته، جزاهم الله برضاه الأكبر. وهدفهم السامي، هو خدمة الدين، والمحافظة على هاته الشريعة الغراء، يريدون بذلك وجه الله والإخلاص له، ولرسوله عليه الصلاة والسلام، فهذا المنهاج سلوكه مفيد في إطار خدمة الدين، والذب عنه.

وانطلاقا من هذا المبدأ، فقد فضلت أن أنبه من اعترض على الحديث الذي رواه أبو هريرة وهو: السلطان ظل الله في الأرض، وتجرأ عليه ووسمه بالوضع دون أن يكلف نفسه أدنى عناء من البحث إن الحديث ولو توجه لاستكناه طرق هذا الحديث ورواياته المتعددة لما تجاسر على قوله أن هذا الحديث موضوع، فالأئمة المتخصصون في هذا الفن صاروا وياللأسف من القلة بمكان.

ويصعب على طلاب هذا العصر في نظري المتواضع التجرؤ على أولائك الأعلام الذين أفنوا حياتهم في خدمة العلمة والتخصص في ميدان الحديث بصفة أخص، وأن يتطاولوا عليهم ويسوموا تفنيدهم والمؤاخذة عليهم وبجرة قلم يسمحون لأنفسهم بالقول بالرد عليهم. وفاتهم أنهم أكثر منهم علما وورعا واهتماما بالمحافظة على الكتاب والسنة، ودليل ذلك واضح كالشمس رابعة النهار. فياسبحان الله، كيف لطلبة هذا العصر الذي قل فيه الجهابذة المجدودون أمثال الإمام السيوطي أن يجازفوا بحصيلتهم العلمية التي لا تصل إلى عشر معشار ما وصل إليه هذا الحافظ خادم السنة السيوطي رضي الله عنه وينعتوه بما لا يليق بمقام عالم ذي حيطة وخبرة وتفوق.

ولكن كما يقال: (الحي يغلب ألف ميت).

العلم علمان: ما تدري وقولك لا
أدري، ومن يدع الإحصاء هذاك

فعلى طالب في هذا العصر المحموم بالمتناقضات والذي كثر فيه تحدي علماء

السلف ممن لايقوى قوتهم علما وإنتاجا وصدقا وعدالة وفناء في الله، على هذا الطالب المسلم أن يحفظ قلمه ولسانه مما يمس بمكانة علمائنا المستهدفين في كثير من المغرورين الذين يغالطون أنفسهم في حقائقها، ولا يالون جهدا في التشكيك فيهم والحط من قيمتهم، فعلينا نحن معشر المسلمين المهتمين بحفظ شريعتنا حسب المستطاع أن لانغتر بأقلام بعض المتجرئين الذين يقتحمون من هو أعلم منهم وأكثر اطلاعا وأشمل معرفة وأوسع باعا.

فلنحسن الظن بشيوخنا الذين كرسوا الجهد لخدمة الإسلام والمسلمين وجعلوا حياتهم وقفا على معرفة الكتاب والسنة كالإمام السيوطي الذي يعرف حقا وصدقا ما هو الحديث الموضوع من غيره، صحيح أن الكمال لله والخطأ من طبيعة البشر.

وقد قيل :

ليس من أخطأ الصواب بمخط
إن يأب، ولا عليه ملامه
حسنات الرجوع تذهب عنه
سيئات الخطا وتنفي الملامه
إنما المخطىء المسيء من إذا ما
ظهر الحق لج يحمي كلامه

قال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية: إن العالم إذا لم يعرف الصحيح والسقيم والناسخ والمنسوخ من الحديث لايسمى عالما، فهذه الصفة من المعرفة بعلوم الحديث واستكناه حقيقته ومعرفة درجات رواته من الثقة والصدق والضبط والعدالة قل من يتوفر عليها الآن.

هذه الملاحظة أبداها أحمد وإسحاق رضي الله عنهما في عهد كثر فيه من يعتني بالحديث وعلومه ويجند نفسه للعلم والتحصيل، أحرى في هذا الزمن الذي تضخم فيه عدد المشاكسون لسنة الرسول ﷺ، من مستشرقين وغيرهم ممن جره تيارهم بعلم أو بغيره.

إن لهذه الأقلام الموجهة ضدنا تأثيرا ويالأسف على كثير من طلابنا، فيجب الاحتراز منها وإعطار علمائنا الأئمة الحفاظ ما يستحقونه من مكانة وتجلة اعترافا لهم بجميل فعالهم وتقديرا لمجهوداتهم الخارقة التي وظفوها جزاهم الله عنا بأحسن جزائه لخدمة الكتاب والسنة كالإمام الحافظ السيوطي الذي ضن الزمان بمثله...

فالحكم على حديث رسول الله ﷺ بالقبول أو الرد من أكثر الأشياء خطرا وأشدها مزالق ومهاوي، ولا يمكن أن يستقل بذلك إلا الحافظ الناقد المتمكن من الاطلاع على الأسانيد وعللها وخفاياها والمتمرس بحديث رسول الله ﷺ وبعلومه وأصوله وقواعد القبول والرد تمرسا كاملا. وقد أصبح هذا الطراز من العلماء نادرا في عصر ابن الصلاح في القرن

السابع، ولذلك سد في مقدمته باب التصحيح والتضعيف على علماء عصره احتياطا من التلاعب في حديث رسول الله ﷺ، وقبولها وردها وفق أهواء وأغراض الأشخاص. ومع أن عددا من العلماء لم يوافقوه على ذلك إلا أنهم أحاطوا مسألةقبول الأحاديث أو ردها بمحاذير وشروط واحتياطات بحيث غدا من العسير التسليم لأحد بالحكم على حديث لم يبت فيه الأوائل بحكم إلا إن كان في الدرجة العليا من الاشتهار بالحفظ والإتقان مع الديانة والورع.

ولا شك أن الحكم بالرد لا يقل خطرا عن الحكم بالقبول. فالجزم على حديث بأنه موضوع لمجرد وجود راو متكلم فيه في سنده ودون إخضاع متن الحديث وسنده للقواعد المقررة في ذلك جرأة ما بعدها جرأة واستهانة تعادل استهانة الجازم بنسبة حديث موضوع إلى النبي ﷺ.

ولذلك قام العلماء في وجه الحافظ أبي الفرج ابن الجوزي حين حكم بالوضع على أحاديث لا تنزل عن رتبة الضعف واعتبروه متساهلا وواجهوه بأقلامهم.

قال النووي في التقريب :

(وقد أكثر جامع الموضوعات في نحو مجلدين أعني أبا الفرج ابن الجوزي فذكر كثيرا مما لا دليل على وضعه).

وقال الحافظ الذهبي : ونقلت من خط السيد أحمد بن أبي المجد قال:

(صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فأصاب في ذكره أحاديث بكلام بعض الناس في أحد رواتها كقوله فلان ضعيف أو ليس بالقوي أو لين. وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا سنة ولا إجماع ولا حجة بأنه موضوع سوي كلام ذلك الرجل وهذا عدوان ومجازفة).(2) بل إن أئمة الحديث رضي الله عنهم وأرضاهم احتاطوا أشد الاحتياط في هذا الباب حتى أنهم منعوا الحكم على حديث بالضعف من مجرد النظر إلى سند واحد كما قال ابن الصلاح في مقدمته:

(إذا رأيت الحديث بإسناد ضعيف فلك أن تقول هو ضعيف بهذا الإسناد ولا تقل ضعيف المتن لمجرد ضعف ذلك الإسناد إلا أن يقول إمام إنه لم يرو من وجه صحيح أو أنه حديث ضعيف مفسرا ضعفه).

ومن المبادىء الأولى عندهم أنه لا يتم الحكم على حديث إلا بعد جمع طرقه وألفاظه ورواياته ومقارنتها وقالوا في ذلك الباب: إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطأه.

وأعجب ما رأيت في عصرنا مما يخالف هذا المقرر عند علماء الحديث حكم

2) تدريب الراوي ـ 236/1 ط دار الكتاب بالعرب لبنان.

المعترض غفر الله لنا وله على حديث (السلطان ظل الله في الأرض) الوارد عن رسول الله ﷺ من عدة طرق عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم من مجرد كلام محتمل وغير صريح في راو في أحد طرقه دون النظر إلى باأي طرقه ورواياته الكثيرة التي فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وليس في أمدها كذاب ولا متهم ولا في ألفاظه نكارة ولا شذوذ ولا مخالفة لأصل ولا استحالة في عقل ولا مصادمة لواقع ولا أي قرينة من قرائن الوضع.

بل في أصول الشرع ما يؤيد الحديث ويشهد لصحته كما أشار إلى ذلك بعض أفاضل العلماء في مقالات سابقة نشرت بمجلة دعوة الحق الغراء.

أذكر من هؤلاء الأعلام العلامة الأستاذ الحاج أحمد بن شقرون رئيس المجلس العلمي الإقليمي بفاس قال: (أصل حديث أبي هريرة وهو السلطان ظل الله في الأرض ورد مرفوعا عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم من عدة طرق... وزاد قائلا: ولذلك كان الحكم الذي أبداه من اعترض على حديث أبي هريرة عند ابن النجار بالوضع غريبا جدا ويدل على تسرع وعدم تثبت بل على قصور في البحث) وأتى بأدلة لا تدع مجالا للشك في ثبوت الحديث عنه عليه الصلاة والسلام وتفند من قال بوضع حديث أبي هريرة رضي الله عنه: السلطان ظل الله في الأرض(3) مجلة دعوة الحق الغراء عدد 279.

وكذلك العالم المتمكن أستاذ مادة الحديث بدار الحديث الحسنية الدكتور إبراهيم بن الصديق فبين في بحث قيم أن حديث السلطان ظل الله في الأرض الذي رواه أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام ثابت عن النبي ﷺ ومشهور ومستفيض.(4)

وبعد أن أعطى الموضوع في بحثه ما هو جدير به من إبراز درجة الحديث من الصحة قال بالحرف: وعلى هذا فحديث أبي هريرة بانضمامه إلى حديث أبي بكرة يعتبر صحيحا لغيره.

فإذا انضم إليهما حديث أنس بطرقه مع الطرق والروايات الأخرى التي يمكن أن تجبر والتي وقع الاجتزاء عنها بما ذكر ساغ القول بكل موضوعية أن حديث (السلطان ظل الله في الأرض) تحقق له مع الثبوت عن رسول الله ﷺ الشهرة

3) دعوة الحق ـ عدد 179.

4) دعوة الحق ـ عدد 280.

والاستفاضة حتى لاتكاد تجد كتابا في الأحاديث المشهورة إلا وهو يذكره ويفيض في ذكر طرقه وروايته ووجوه قبوله.

وقد تصدى العالم الذكي ذو القلم السيال الأستاذ صهيب الزمزمي بن الصديق لمن وسلم هذا الحديث بالوضع وكتب بحثا مركزا نشرته مجلة دعوة الحق(5) تحت عدد 282 بتاريخ 1411 يناير 1991. قال فيه: حديث السلطان ظل الله في الأرض. تواتر عن رسول الله ﷺ تواترا معنويا وين ذلك في بحث المستفيض ودراسته الشاملة وتتبع جمل حديث أبي هريرة. وعضد ما ذكر بأحاديث مجموعة من الصحابة وهم أبو بكرة وأبو هريرة وأنس وأبو عبيدة وعمر وابن عمر وأبو بكر وأبو ذر ومعاذ وأبو أمامة وعياض بن غنم.

وبعد أن أكد ثبوت حديث أبي هريرة عن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: وحسبنا هذا القدر من الحديث فإنه كاف في بابه واف بالغرض الذي سيق من أجله كما أنه يقول صهيب بن الزمزمي بن الصديق تواتر عن النبي تواترا معنويا لا يشك فيه من أطلع على الأحاديث المروية بلفظه أو معناه.... وبين ما قال بأسلوب رفيع ودلائل دامغة وبراهين ساطعة جزاه الله خيرا ولم يتعرض المحدث الكبير العلامة أحمد بن عبد الله بن الصديق لهذا الحديث بأي نقد في كتابه المسمى، المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير(6) التي هي في نظره موضوعة وقد رتبها على الأحرف وتكلم هذا المحدث في اثنين وعشرين حديثا ضمنها كتابه هذا مبدوءة بحرف السين وليس من ضمنها حديث أبي هريرة السلطان ظل الله في الأرض، ومعلوم أن السيد أحمد بن عبد الله بن الصديق معروف بنقده وتمحيصه للرواة وله عدة كتابات في الحديث وعلومه.

ومن أطلع على تآليفه في هذا الفن يعلم مدى علمه وسعة اطلاعه وقد سلم بثبوت هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام، فلو كان عنده أدنى ملاحظة في سند هذا الحديث أو متنه تشهد له على وضعه لما أغفل ذكر ذلك في كتابه المغير الذي انتقد فيه مجموعة من أحاديث الجامع الصغير، مع العلم أن أعلاما حاولوا التكلم في بعض الأحاديث ولم يسلم ذلك لهم بل أثار ذلك عليهم انتقادات حادة وسبق أن أشرنا إلى ابن الجوزية وما لاقاه من انتقاد شديد من علماء السنة لكونه وسم أحاديث بالوضع بدون أن يحتاط.

---

5) دعوة الحق عدد 282.

6) الخزانة الصبيحية تحت رقم 2831.

وهذا النـوع من التجـرؤ على التكلم في أحـاديثـه عليـه الصـلاة والسـلام مـن الخطورة بمكان.

وسـأذكر في هـذه العجـالـة بعض مـا وقفت عليـه من روايـات حديـث السلطان ظـل اللـه في الأرض وألفـاظـه معـززا ذل بحكم جملة النقاد عليه بالقبول.

قال الإمـام أبو بكـر عمرو بـن العاص الضحاك في كتابه السنة. بـاب ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بإكرام السلطان وزجره عن إهانته. رقم 1024 حدثنا المقدسي حدثنا مسلم بن سعيد الخولاني حدثنا حميد بن مهران عـن سعيد ابـن وس عن زيـاد ابن كسيب عـن أبي بكرة قال سمعـت رسـول الله ﷺ يقول:

(السلطـان ظـل اللـه في الأرض فمـن أكرمـه أكرمه الله ومـن أهانه أهانـه الله) قال الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني في ظلال الجنة في تخريج كتـاب السنة حديث حسن.

وقال ابن عـاصـم أيضا: حدثنـا محمد بن ميمون حدثنا موسى ابن داوود حدثنا ابن لهيعة عـن أبي مرحوم عن رجـل من بني عـدي عن عبـد الرحمن بـن أبي بكرة عن أبيه يقول: (من أجل سلطان الله أجله اللـه يوم القيـامـة) قـال الألباني المحـدث الكبير ناصر الدين الألبـاني: حديث حسن ورجـاله ثقـات غير أبي لهيعـة فإنـه سيء الحفظ والرجل العدوي فإني لم أعرفه لكن الحديث حسـن بالطـرق التي قبلـه ج 2 - ص489.

وقال البـزار في سنده: حدثنا عبـد الله بـن أحمد يعنـي ابـن شبيب حـدثنـا أبـو اليمان الحكم بـن نافع حـدثنا أبـو المهدي سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية عن كثير ابن مرة عـن ابن عمر عن النبـي ﷺ قال: (السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عـدل كان له الأجر وكـان على الـرعيـة الشكـر، وإن جـار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الـولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنـى ظهر الفقر والمسكنـة، وإذا أخفرت الذمة أديل الكفار أو كلمة نحوه).

أورده الحافـظ نور الـدين الهيثمـي في كشف الأستار عن زوائد البزار ج 2 تحت عنـوان بـاب الإمـام ظـل اللـه في الأرض، تحقيق المحدث الكبير العلامة الشيخ حبيب الـرحمن الأعظمـي الطبعـة الأولى 1399 هجرية بيروت.

وفي كشـف الأسـتـار أيضـا: ص 234 الحديث رقم 1594 حدثنا محمـد بن معمر حدثنا الضحـاك بن مخلد حدثنـا كثير عن ربعي بن خراش عن حذيفة عن النبي ﷺ قال:

مـا مـن قـوم مشـوا إلى سلطـان اللـه ليذلوه، إلا أذلهم الله قبل يوم القيامة. قال

البزار لا نعلمه بهذا اللفظ مرفوعا إلا بهذا الإسناد عن حذيفة.

قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد 216/5: رواه البزار، ورجال البزار رجال الصحيح خلا كثير بن أبي كثير التميمي وهو ثقة.

وفي مسند الإمام أحمد(7).

حدثنا عبد الله حدثنا أبي حدثنا محمد بن بكر حدثنا حميد بن مهران حدثنا سعد بن أوس عن زياد بن كسيب العدوي عن أبي بكرة، رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة».

قال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات، وقال البيهقي في شعب الإيمان ج/6/17 رقم الحديث: 7373 أخبرنا علي بن محمد المقري أنبأنا الحسن بن محمد بن إسحاق أنبأنا يوسف بن يعقوب أنبأنا محمد بن أبي بكر أنبأنا مسلم بن سعيد الخولاني أنبأنا حميد بن مهران عن سعيد بن أوس عن زياد بن كسيب شهدت أبا بكرة يوم الجمعة وذلك قبل أن يبنى المسجد وهو يومئذ قصب وعلى الناس عبد الله ابن عامر فخرج على الناس وعليه قميص مرقق وبردان مرجل رأسه فقال أبو بكرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله).

وقد علق المحقق أبو هاجر محمد بن سين بن زغلول بقوله: عزاه الجامع الصغير للطبراني في الكبير، وللبيهقي في السنن، كلاهما عن أبي بكرة، وقال: حديث صحيح.

وفي صحيح سنن الترمذي باختصار السند للأستاذ المحدث ناصر الدين الألباني، وعن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق. فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: أسكت رسول الله ﷺ يقول:)من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله). فعلق عليه ناصر الدين: بقوله صحيح: الصحيحة 245 ج ط 1988. وقال البيهقي في السنن الكبرى 8/168. أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبد الصفار حدثنا إبراهيم بن صالح الشيرازي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حميد بن مهران الكندي حدثنا سعد بن أوس عن زياد بن كسيب العدوي قال: كان عبد الله بن عامر يخطب الناس عليه

---

7) انظر الفتح الرباني للساعاتي.

ثياب رقاق مرجل الشعر قال فصلي يوما ثم دخل قال وأبو بكرة جالس إلى جنب المنبر فقال مرداس أبو بلال ألا ترون إلى أمير المؤمنين وسيدهم يلبس الرقاق ويتشبه بالفساق فسمعه أبو بكرة وقال لابنه الأصيلع: أدع لي أبا بلال فدعاه ليه فقال أبو بكرة: أما إني قد سمعت مقالتك للأمير آنفا، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أكرم سلطان الله أكرمه الله ومن أهان سلطان الله أهانه الله). وفي مصنف عبد الرزاق 344/11 في باب من أذل سلطان الله.

أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن إسحاق عن زيد بن أثيغ عن حذيفة بن اليماني (ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا) قال المعلق عليه العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي: ولحذيفة حديث مرفوع في هذا المعنى، أخرجه أحمد كما في الزوائد، الجزء الخامس / 222 وفي كتاب جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لعمدة المحدثين وزبدة المحققين العلامة الجليل محمد بن محمد بن سليمان الرداني المغربي حديث أبو بكرة رفعه (من أهان السلطان أهانه الله) للترمذي تحت رقم 6041 ص 259 وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة المجلد الثالث رقم

1465 (من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله)، هذا الحديث أخرجه الطيالسي في مسنده رقم 887 وأخرجه الترمذي (35/2) عن الطيالسي. وأحمد (49/42/5) وابن حبان في الثقات. (259/4) والقضاعي في مسند الشهاب (ق35/2) وابن عساكر في تاريخ دمشق (2/321/9) من طرق أخرى عن حميد به وزاد أحمد والقضاعي (من أكرم سلطان الله أكرمه الله).

وقال الترمذي حديث حسن غريب وزاد الألباني قائلا: وقد روي الحديث بزيادة أوله بلفظ: (السلطان ظل الله في الأرض) ثم وجدت لحديث الترجمة يقول الألباني شاهدا من حديث أبي بكرة فنقلته إلى الصحيحة برقم 2297.

وفي الجامع الصغير للإمام السيوطي رضي الله عنه رقم الحديث 4815، (السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله) (طب هب) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

4816 ـــ (السلطان ظل الله في الأرض...) عن ابن عمر.

4817 ـــ (السلطان ظل الله في الأرض...) عن أبي هريرة.

4818 ـــ (السلطان ظل الله في الأرض...) عن أنس.

4820 ـــ (السلطان ظل الله في الأرض...) عن ابن عمر.

4821 ـــ (السلطـــان ظـــل اللـــه في الأرض...) عن أبي بكر.

فقد اتضح أن الحديث روي عن جماعة من الصحابة من عدة طرق جمعها كل من الحافظين السخاوي والسيوطـي في مؤلف، ومـا نـص أحـد مـن الحفـاظ على أنـه موضوع، فكيـف يأتي في آخر الزمـان من يحكـم على حـديث أبي هـريـرة عنـد أبي النجار بأنه مـوضوع لمجرد أن شيخ أبي النجار فيه: متكلم فيه.

مع أن هذا الشيخ لا يد له في رواية هذا الحديث، لأن ابن النجـار وصل إلى المخرج الأصلي للحديث بواسطـة هذا الشيخ ليس غير.

والمخرج الأصلي للحديث هو أبو محمد الحسن بن عبد الملك ابن يوسف في أماليه. وأماليه موجودة والحديث مخرج فيها، فلو لم يروه ابـن النجار أصـلا لما أثر ذلـك في ثبوتـه في أمالي أبي محمد بن الحسـن ابن عبد الملـك بن يـوسف. قبـل أن يولـد ابن النجار وشيخه ولكي تعلـم مصداقية نقاد هـذا الزمـان أنقـل إليـك الحديث بسنـده الموجود في أمالي أبي محمد بن الحسن بن عبد الملـك بن يوسـف في أماليه مـع وقفة قصيرة على تراجـم رجال سنـده فتعلم أن الحديث لا مطعن فيه، متنـا وسندا لمعرفة مخرجه واشتهار رجاله.

قال أبـو محمد بن يوسـف رحمه الله: قـرأت على أبي محمد الحسـن ابن محمـد الخلال قلت له: حدثك أبـو حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابـن شاهين إملاء حـدثنا أبو بكر عبد اللـه بن سليمان ابن الأشعث السجستاني حدثنا أحمد بـن عبد الرحمن بن وهـب حدثنـي عبد اللـه بن وهـب عن يونس عن ابن شهـاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول اللـه ﷺ: (السلطـان ظـل اللـه في الأرض يـأوي إليه الضعيـف وبه ينتصر المظلـوم ومن أكرم سلطـان الله عز وجل في الـدنيا أكرمه الله يوم القيامة).

بعد أن نقلنا الحديث بسنده الموجود في أمالي أبـو محمد بـن يوسـف فلنرجـع إلى تراجم رجاله.

أولا : أبـو محمـد الحسـن بـن محمـد الخلال عـالم جليل ثقـة فاضـل من أهـل بغداد، قال الخطيب البغدادي: خرج المسند على الصحيحين وجمع أبوابا وتراجم كثيرة شهد له أهل عصره بالعلم والورع والصدق والعدالة، من أماليـه نسخة قديمة جيدة في الرباط المجموع 174أوقاف.

ثانيا : عمـر بن أحمد بـن شاهين أبـو حفص واعظ علامة من أهل بغداد كان من حفاظ الحديث، له نحـو ثلاثمائة مصنف، منها كتـاب السنة، سماه صـاحب البيـان المسنـد، وقـد ألف ألفـا وخمسمائة جـزء،

والتفسير في نحـو ثلاثين مجلـدا، وتاريـخ أسماه الثقـات ممن نقـل عنهم العلـم على حروف المعجم في الربـاط أربعة أجزاء منه مصورة عن المدينة (الفيلم 117).

ثالثا : عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبو بكر بن أبي داوود من كبـار حفاظ الحديث وثقـه أئمة عصره وأخـذوا عنـه تصـانيف كـان إمـام أهـل العراق، رحل مع أبيه رحلـة طويلة شاركه في شيوخه بمصر والشام وغيرها، واستقر وتوفي ببغداد، ومن كتبـه: السنن، والمسند والتفسير، والقرآن والناسخ والمنسوخ.

رابعا : أحمد بن عبد الرحمن بن وهب القـرشي بـالـولاء أبو عبـد اللـه المعـروف ببحشل من رجـال الحديث مصري، حدث عنه ثقات، منهم مسلـم في صحيحه ووثقه ابن القطان، واحتج بـه ابن حزم ولا يضره كـلام البعـض فيـه بعــد أن وثقـه أئمـة معروفون بالعلم والورع والصدق والضبط والخبرة التـامـة في فن الحديـث كـالإمـام مسلم رضي اللـه عن الجميـع وعنه، فقـد اجتاز القنطرة عند المحدثين.

خامسا : عبد الله بن وهـب بن مسلم الفهري بالولاء المصري أبو محمد فقيه من الأئمة البارزيـن من أصحاب الإمام مـالك لازمــه مدة عشريـن سنة جمع بين الفقـه والحديـث والعبـادة وكـان حــافظـا ثقـة مجتهدا.

قال مـالك في حقه عبـد الله بـن وهب: إمـام، وكان مـالك يكتـب إليه إذا كتـب في المسائل إلى عبـد الله بن وهـب المفتي ولم يكن يفعل هذا مع غيره.

وأدرك من أصحاب ابن شهاب الزهري أكثر من عشرين رجلا.

سادسا : يونس بن يزيد الإيلي صاحب الـزهري وأوثـق أصحـابـه قد روى عـن القـاسـم وعكـرمة ونـافع وطـائفة وعنـه الأوزاعي وجماعة. قال ابن ناصر الدين في حـق يـونس: ذاك الإمـام المكثـر المدرس، وقـال يونـس: حجة ثقـة وقـد أخرج لـه أصحاب الكتب الستة.

سابعا : ابن شهـاب الزهري هـو أبو بكـر محمد بـن مسلم بـن عبيـد الله بـن شهاب بـن عبد الله بن الحارث بـن زهرة الـزهري أحـد الفقهـاء المحدثين والأعـلام التـابعين بـالمدينـة، روي عـن عشرة مـن الصحابـة رضوان الله عليهـم وروى عنه جماعة من الأئمـة مالك بن أنـس وسفيان بن عيينة وسفيان الوري. قال فيه عمر بن دينار: ما رأيت مثل هذا الفتى القرشي قط. وقيل المكحول: من أعلم من رأيت. قال ابن شهاب وكـررها بعد سـؤاله ثـلاث مرات. وقال فيـه عمر بن عبـد العزيز: لا يـوجد أحد أعلم بالسنة الماضيـة من ابن شهاب، وابـن شهـاب من أول مـن دون الحديـث وهو أحد كبار الحفاظ والفقهاء كان يحفظ

ألفين ومائتي حديث، وفيات الأعيان، المجلد 4 ص 563 الأعلام المجلد ج ص 97.

ثامنا : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عايد كان يسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد، أخذ سعيد علمه عن زيد بن ثابت وجالس سعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن عمر، وكان خبيرا بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ وأبو بكر، وتشرف بأن دخل على أزواج النبي ﷺ عائشة وأم سلمة، وكان قد سمع من عثمان بن عفان وعلي وصهيب ومحمد بن مسلمة، وجل روايته المسندة عن أبي هريرة، وكان يقال: سعيد بن المسيب ليس أحد أعلم بكل ما قضى به عمر وعثمان منه، وكان سعيد يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء، وكان سعيد رأس من بالمدينة في دهره والمقدم في الفتوى ويقال فيه: فقيه الفقهاء.

قال مكحول : سعيد بن المسيب عالم العلماء.

قال مالك بن أنس : كان عمر بن عبد العزيز لايقضي بقضاء حتى يسأل سعيد ابن المسيب. قال عمر بن عبد الله الخزاعي: إني أرى أن نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب، وكان سعيد جامعا ثقة كثير الحديث ثبتا تقيا مأمونا ورعا (ملخص) من الطبقات الكبرى المجلد 5 ص 119.

تاسعا : أبو هريرة الصحابي المشهور أحد المكثرين من حديثه عليه الصلاة والسلام.

فبعد أن استعرضنا ما قيل في تعديل كل راو من رواة هذا الحديث وطرقه وروایاته لم يبق أدنى شك للباحث المنصف في أن حديث السلطان ظل الله في الأرض... الذي رواه أبو هريرة ثابت عن النبي ﷺ حسن لذاته.

والله الموفق للصواب وله العلم في كل شيء.

الشيخ ماء العينين لارباس



من وحي الزيارة الملكية الميمونة لأهلنا في الجنوب :

لقاء الحب

للشاعر محمد الحلوي

مـن جبـال الأحـرار مـن مـوطـن العـزة مـن آسـة ومـن طنطـان
أذرع صــوب ركبـك تمتــد وأيــد تلقــاك بــالأحضــان
هــب في فـرحــة مشـوقــا إلى اللقيـا وغنــى هـواك كــالهيمان
أمــل في اللقــاء طــال تمنيــه ومــا زال مــن أعــز الأمــاني
مــذ تنــامــى إليــه مقــدمــك الميمــون أبصرتــه بعــد الثــواني
يحسب اليوم حقبـة تشبه الدهر ويشكـو من بطء نبض الـزمان !
مــن رأى فــرحـــة الجنــوب بلقيــاك رأى الحب والـوفــا في آن
ورأى الشعـب لـوحـة لم تصغها في دنـى الفـن ريشـة الفنـان !
قـف تلفـت تــر الجماهير نشـوى صـادحـات بــأعـذب الألحان
لترى الحب في العيــون ضيــاء ونشيــدا يهز كــل لســان
دافقــا كــالشــلال لحنــا وشعــرا زانــه أنــه بــلا أوزان !

***

لم يكــن زائرا ولم يـك ضيفــا ملــك في العيــون كــالإنســان !
قـاد بـالعقل والحصـافـة شعبـا سـار مـن خلفه سخـي العنـان
مــوكـب الخير أينما حــل هلــت بشريــات واخضر كـل مكــان
وسرى الــدفء في الشرايين وامتــد دبيــب الحيــاة في الجثمان
ورأيـت الأيــدي تغير وجـه الأرض تبنـي مـا لم يشيــده بـاني

منجزات بالأمس كانت خيالات تعالت شوامخا في العنان
بارك الله في سواعد أهلينا دعامات هذه الأوطان
مسرعات لكل خير، وشلال عطاء ومنبع من حنان
كسرت قيدها، وحررت الأرض، ودكت مظالم الطغيان
وبها نسترد ما أخذ الغاصب منا، وما استباح الجاني

* * *

أي وصف لشاعر يتقصى مهرجان الوفا وأي بيان ؟
ملتقى كان جدد الشعب فيه حبه معلنا بلا ترجمان !
كالقذى كان في عيون أعاديك، وكالماء في فم الظمّان !
نثروا الورد في طريقك، والورد لسان الوجدان للوجدان !
شهد الرمل والنخيل عناقا لم تشاهد جلاله عينان !
من تراه منهم سينكث عهدا، أو تراه يرتد عن إيمان !
وهمو كالجبال فينا صمودا وأمام الإعصار كالكثبان
كم تمنيت أن أنسى بيومك هذا جرح قومي، أو أنه ينساني
غير أني أحب مثلك قومي وهو حب ينساب في شرياني
فعسى أن تجري الرياح بما شئنا ونرسي على جناح الأمان
ونصلي وراك في القدس أفواجا ونهدي إليك فيه التهاني
فابق حتى ترى ثمار مساعيك وما أزهرت يداك دواني

* * *

ولتقر العينان منك بشبلين هما في أفق العلى فرقدان

تطوان ـ محمد الحلوي

شعراء المغرب الشباب

في مواجهة الاحتلال الأجنبي

للدكتور
عبد الجواد
السقاط
أستاذ
بكلية الآداب
المحمدية

ولعل من نافلة القول، التذكير بما سجله التاريخ بكل اعتزاز وفخر للشعب المغربي، بكافة طبقاته وفئاته، من صمود وثبات، وإباء وعزم، وهو يواجه الاحتلال الأجنبي لأرضه وخيراته، ويشمر على سواعد الجد والقوة لإجلاء آخر ذنب من أذناب الاستعمار، والتمتع بنعمة الحرية والاستقلال والكرامة، بزعامة المغفور له جلالة السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه، ووارث سره جلالة الحسن الثاني أيده الله وسدد خطاه.

ولئن كانت هذه المواجهة عامة شاملة، تنتظم الرجال والنساء، والشيوخ والأطفال، والمثقفين وعامة القوم، فإننا في هذا المقال المحدود نود أن نقف بصفة خاصة عند فئة معينة من فئات الشعب المغربي، تلكم هي فئة الشعراء، والشباب منهم خاصة، ومعظمهم من مواليد أوائل القرن العشرين، لننظر في سبل الكفاح التي انتهجتها للدفاع عن حوزة الوطن، ودعم الكفاح المسلح بكفاح الكلمة التي تفعل فعلها في النفوس، وتلهب الحماس والعزم.

ونحن عندما ننظر في الحصيلة الشعرية التي أفرزتها قرائح هؤلاء الشعراء الشباب، والرصيد الإبداعي الذي خلفوه في مجالات شتى خلال فترة الحماية والاحتلال،(1) نجد الكفاح ضد المستعمر الغاصب يمثل اتجاها واسعا من بين اتجاهاتهم، ومحورا كبيرا تلتقي عنده اهتماماتهم ومشاغلهم، إذ اتخذوا من

1) امتدت هذه الفترة كما هو معلوم من عام 1912م إلى سنة 1956م.

الشعر أداة للصمود والمقاومة، ومركبا يمتطونه لتخليص البلاد والعباد من ويلات القهر والذل.

وليس غريبا أن يسلك شعراء المغرب الشباب هذه الوجهة يومئذ، وأن يسخروا قرائحهم في المواجهة والدفاع، علما بأن هذا التسخير قديم قدم الشعر العربي، ومستمر باستمرار العصور، وتوالي الأجيال والحقب، مما يعطي الدليل على قوة الكلمة الشعرية، ورجحان كفتها، وسرعة نفاذها وتأثيرها.

ولعل هذه المقاومة من شعراء المغرب الشباب ضد الاحتلال الأجنبي لم تقتصر على اتجاه واحد أو هدف محدود، وإنما شملت مجموعة من الاتجاهات والأهداف، ترمي كلها إلى تحقيق مبدإ الوحدة والتكتل، الذي يجعل من المغاربة صفا منيعا ضد القهر والاحتلال؛ ومن ثم نلحظ أن شعراء المغرب الشباب إذ ذاك قد ركزوا على هذا المبدإ من خلال واجهات مختلفة يمكن رصدها كالتالي:

1) الدعوة إلى التمسك بالعقيدة الإسلامية، والعمل على تطهيرها وتنقيتها مما علق بها من بدع وشوائب، لأن في ذلك سلاحا قويا ضد المستعمر، وحاجزا بينه وبين التمادي في الاحتلال والاغتصاب؛

ومن هنا راح شعراء المغرب الشباب يكرسون مواهبهم للخوض في غمار هذه المعضلة الشائكة، في محاولة لتوجيه المغاربة نحو الدين الصحيح، ونبذ الخرافات التي علقت بهذا الدين وهو منها براء.

ومن نماذج ذلك، قصيدة للشاعر محمد المهدي الحجوي(2) يدعو فيها إلى ترك البدع المختلفة، ومحاربتها بسلاح العلم والمعرفة، وهجر ما من شأنه أن يبعث التفرقة في صفوف المسلمين:

حاربوا من سن فيكم بدعا
إنها في كاهل الدين فلول
حاربوا من خفروا ذمتكم
وأضاعوا ذلك المجد الأثيل
فرقوا الدين وكانوا شيعا
كل تفريق إلى الحشر يؤول
فلهذا سبحة ينشرها
مرشدا وهي خناق للعقول
ولذا زاوية يدعو لها
ولهذا نغمات وطبول
حاربوهم بسلاح العلم لا
تتقوهم، حاربوا كل جهول
إنهم أعداء دين المصطفى
فاحذروهم فهم الداء الدخيل(3)

---

2) من مواليد فاس عام 1324هـ ـ 1907م.

3) الأدب العربي في المغرب الأقصى، لمحمد بن العباس القباج، مطبعة فضالة، المحمدية، 1400هـ ـ 1979م، الجزء الثاني، ص16.

وإذا كان محمد المهدي الحجوي هذا يركز على استفحال ظاهرة الزوايا، وعلى انتشارها انتشارا تختلف طقوسه وممارساته، فإن شاعرا غيره، هو عبد الكريم سكيرج (4) يسير في النهج ذاته، بل يعلن عن اعتقاده بأن هذه الزوايا إنما هي مصدر الرزايا والشرور إذ يقول من قصيدة:

ما بال قومي لم ينهض بهم عمل
والناس كلهم بالعلم قد عملوا
تقاعدوا عن فنون نال غيرهم
تحصيلها وهم عن نفعها غفلوا
لكن رأيتهم وفي نحورهم
كم سبحة وهم بسردها اشتغلوا
هذا له خلوة وذا بخلوته
وذا بزاوية أخرى له خول
ما في الزوايا خبايا بينهم وجدت
بل في الزوايا رزايا عند من عقلوا
تكاثرت في نواحي القطر وانتشرت
على اختلاف شيوخ عندهم وصلوا (5)

ولعل مما كان يتطلب الإصلاح والتوجيه كذلك، سعيا وراء تحقيق هذه الوحدة المنشودة، وله علاقة بالجانب الديني، بعض التقاليد التي توارثها المغاربة، والتي كان منهم من يمارسها على أنها جزء من الدين، من شعوذة وترهات تفرض نفسها في مناسبات متعددة. وفي هذا المضمار نقرأ من شعر محمد بن إبراهيم(6) وهو يدعو إلى نبذ هذه الأعراف والعادات المشينة إذ يقول:

وما لي أرى هذي العوائد أصبحت
وأضرارها فينا تزيد وتعظم
فهل من دواء للعوائد إنها
إذا تركت في الجسم لا شك تعدم
أشذخ رؤوس كلما حان موسم
ونهش أفاع نهشهن محرم (7)

ولعل المسؤولية في هذا التدهور الديني يتحملها حماة الدين، على حد تعبير بعض هؤلاء الشعراء، الذين غفلوا عن تصحيح الوضع، واستغرقوا في سبات طويل كان عليهم أن يفيقوا منه، وإلا ازدادت الأمور تدهورا واستفحالا، كما جاء في قصيدة لمحمد السليماني (8) في الموضوع:

حماة الدين هبوا من سبات
فمركزنا يؤول إلى الخراب
تركنا الدين خلفا لا نبالي
ولم نترك لنا غير انتساب

---

4) من مواليد فاس عام 1322هـ ـ 1905م.
5) الأدب العربي في المغرب الأقصى، جـ ـ ص91.
6) من مواليد مراكش عام 1318هـ ـ 1901م.
7) شاعر الحمراء في الغربال، لأحمد الشرقاوي إقبال، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، ص121.
8) من مواليد فاس عام 1280هـ ـ 1865م.

يقـول الشامتـون هـم أضاعـوا
كتــابهم ويــاحســن الكتــاب
إلى أن يقول:
وهــذا يــا حماة الــدين منكـم
فكيـف جـوابكم يـوم الحســاب
بنـي العلـم الـرعـاة ألا أفيقـوا
فإن الشــاة في وسط الـذئاب(9)

2) الدعـوة إلى التمسك باللغة العـربية، وإحــلالها مكــان الصـــدارة مـــن بين الاهتمامــات والمشاغـل، بل اعتبــارها لغــة تجسد الشـخصية المغـربية، ولا سيما أنها منيـت في القـرون الأخيرة بنكســة خطيرة نتيجة التغلغل الاستعماري الذي جعل من أبرز أهدافه ومكوناته تجاوز اللغة القومية للبلدان المستعمـرة، وطعن هـذه البلدان في لغتها ورمز كيانها وإنسيتها.

ولعـل ممـا يحز في النفـــس أن اللغــة العربية ـ وهي تعـرف هذا الواقع المرير ـ قد مـرت منذ ظهورهــا بمراحل مـن القوة والاتسـاع جعلتها من أهـم لغات العالم، إن لم نقل أهمها وأبرزها.

فلعلها في العصر الجاهلي كانت لغة أدب يختارهــا المبدعون للتعبير عن مكنـوناتهم وهواجسهم، وفي عصر البعثة النبوية كانت لغــة دين، بها نـزل القـرآن الكريـم، وبها كانت الأحاديث النبوية الشريفة، وكانت في العصر الأموي لغــة سياسة، وذلك عنـدما عربت الــدواوين، وأصبحت اللغة العـربية فيهــا اللغــة الرسميــة، وكــانـت في العصر العباسي لغــة ثقافة، على اعتبــار أن تعلمها والإنتاج بها لم يبـق مقصورا على العـرب وحدهـم، بل تعداهم إلى الأجنــاس الأخرى من فـرس وغيرهم، فكــان منهم الشعـراء أمثــال بشــار وأبي نواس، وكــان الكتــاب أمثــال ابن المقفـع، وكان اللغـويون أمثــال الفيروزبادي واضـع القاموس المحيط، وغير هؤلاء كثير.

ولكن مــا إن أظل المجتمع العـربي عهد الانحطاط، حتــى وقعت اللغة العربيــة من مركـزها، وبدأ الضعف يـدب في أوصالها، يـزكيـه التغلغـل الاستعماري مـن جهــة، وانسياق بعض العرب مــع موجات اللغات واللهجات الأجنبية من جهة أخرى.

ولعلنــا مـن هذا الموقـع، نجـد بعـض الشعـراء الشباب في المغـرب ينـددون بهذا الانسياق، ويدعون إلى مقاومته بالعودة إلى اللغة العربيــة، رمز المجد والعزة والكـرامة، وسـلاح التحـدي والصمود في وجـه قوات الاحتلال والبغي.

فهـذا عــلال الفــاسي(10) وهـــو دون العشرين مـن عمره، يعلنهــا دعوة مـدوية فيقول:

9) أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، لعبد الله جنون، دار الرائد للطباعة، القاهرة، 1964 ، م ص60.
10) من مواليد فاس عام 1328هـ ـ 1910م.

فيالبنـي أمي انهضوا وتـداركوا
ذمـاء مـن المجـد العلي المؤثـل
فما المجد إلا في اللسان أصـوله
وهل أخـرس كالنـاطق المتـأفل
على لغة القـرآن جدوا وحصلـوا
تفـوزوا وتبقوا آخـرا مثـل أول
لسـانكـم عـز لكـم وحيـاتكـم
به فابتغوا عيشا بعز مهيكل (11)

وهـذا محمع القـري (12) يتحسر على انقضـاء عصر كانـت فيـه اللغـة العربيـة تعرف عزا وإقبالا فيقول:

ذهبـت ضحيـة الجهـل المردي
وكنـت أحـب مـن دل الفتـاة
ذهبـت ضحيـة الجهـل المعمـى
وكنـت أعـز مــن سعـد مـوات
مضــى لـك عصر إقبــال وعـز
صعدت بـه لأوج المكرمـات (13)

ولعـل هـذه الـدعـوة إلى إحيـاء اللغـة العربيـة وتداركهـا، لم تكن وقفـا على فئة مـن المغـاربة دون غيرهـا، وإنما كـانـت تنطلق مـن مختلف جهـات المغرب، شمالا وجنوبـا، وشرقا وغـربا، ممـا يؤكـد مرة أخرى أن هـذه اللغة تعتبر رمـزا لتوحيـد الأمة وتـلاحم عناصرها وفئـاتها. وفي هذا المجال، الـذي لم تغب أهميتـه عن شعـراء المغرب الشباب آنئذ، نضيف إلى النموذجين السابقين نمـوذجا للشـاعر محمـد المختار السوسي (14) الـذي لا يرضـى بدوره عـن واقع هذه اللغـة، وما آلت إليه مـن تجاهل وتجاوز فيقول:

فـأي لسـان أرتضيـه لنشرهـا
وألسننـا صيغـت مـن العجمات
تركنـا بها كنزا نفيسـا فأقبلـت
على غيرهــا الأفكـار مبتـدرات
نمـد أكفــا قطـع اللــه راحهـا
إلى غيرها مـن اللغى السمجـات
ونترك منها روضة تخلب النهى
بطلعتها المخضلـة الزهـرات (15)

3) الدعـوة إلى التمسك بالعلـم وخوض مجالاتـه المتعـددة، بـاعتبـاره مـن أبـرز الأسلحة المعـاصرة التي ينبغـي أن يتسلح بها الإنسـان الحديـث لمواجهة التحـديـات وأسبـاب التخلـف والضعـف، وبـالتـالي مواجهة الاحتلال والغصب.

ولقد فتح شعراء المغرب الشباب أعينهم آنذاك على عالم غربي متحضر، متمكن من فـروع العلم وضروبـه، وكـذلك على عـالم عربي مشرقي قطع أشواطا مهمة في الميدان

11) ديوان علال الفاسي، جمع وتحقيق عبد العلي الودغيري، مطبعة الرسالة، الرباط، الجزء الأول، ص.48.
12) من مواليد عام 1317هـ ـ 1900م.
13) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، ص53.
14) من مواليد إلغ عام 1319هـ ـ 1902م.
15) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، ص62.

العلمي والثقافي، فكان كل ذلك دافعا لهم نحو الدعوة إلى العلم، والتمسك بأهدابه وفروعه، والنهل من ينابيعه الثرة الغزيرة. ولعلنا بالعودة إلى ما أفرزته قرائح هؤلاء الشعراء في هذا المجال، نجد هذه الدعوة تسير في أكثر من واجهة، وتضرب على أوتار متعددة مختلفة.

فتارة تأتي هذه الدعوة على شكل تمجيد العلم والتغني بمميزاته وإيجابياته، كما نقرأ من قصيدة لمحمد جنون (16) مطلعها:

أفيقوا من سبات طال جدا
وصونوا واحفظوا للمجد عهدا (17)

فقد نوه بالعلم أيما تنويه في مثل قوله:

أما علموا بأن العلم نور
يعم سناؤه سهلا ووهدا
أما علموا بأن الناس سادوا
وفاقوا وامتطوا بالعلم نجدا
أما شعروا بأن الجهل يردي
يرد الخير عن أهليه ردا (18)

وتارة أخرى تأتي هذه الدعوة على شكل مقارنة بين العلم ومنافعه، وبين الجهل ومضاره، على غرار ما جاء في قصيدة لأحمد سكيرج (19) في الموضوع:

فقوموا ناصحين لجاهليكم
وقولوا اسعوا لعلم باجتهاد
فلا تقفوا بجهلكم حيارى
وغيركم تقدم بالرشاد
فإن الجهل من أدعى البلايا
يؤول بذي الصلاح إلى الفساد
وإن العلم من أبهى المزايا
يسوق إلى السعادة والأيادي
فقوموا وانهضوا للعلم حتى
تروا نعم البلاد مع العباد
فما في العلم ضر لو علمتم
ولو لم تعلموا فالعلم هاد
وما في الجهل نفع لو عقلتم
وهل في الجهل نفع للبلاد
فإن لم تعلموا أنتم فهموا
بتعليم البنين بالاجتهاد
فمن علمت بنوه علت علاه
وفاق سواه من أهل الرقاد
دعوا عنكم تكاسلكم وقوموا
قيام المرشدين ذوي السداد (20)

وتارة ثالثة تأتي هذه الدعوة على شكل مقارنة بين الشعب المغربي الذي لازال يدعى إلى خوض غمار العلم والمعرفة، وبين شعوب أخرى تقدمت في الميدان أشواطا

16) من مواليد فاس عام 1316هـ - 1899م.
17) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج1، ص124.
18) نفس المصدر والقصيدة.
19) من مواليد فاس عام 1295هـ - 1879م.
20) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج1، ص59.

بعيدة، حسبما نقرأ لمحمد بن إبراهيم من قصيدة:

بني وطني إن الشعوب وأهلها
قد استيقظت طرا وأنتم نوم
مضى زمن الجهل الذميم زمانه
وهذا زمان آن فيه التعلم
فبالعلم شادوا في البحار مساكنا
وفيه مع الحيتان عاموا وعوموا
وبالعلم سارت في السماء ركابهم
وقد أسرجوا من الرياح وألجموا
وبالعلم إن كانوا جلوسا بمشرق
وفي الغرب من يبغي الكلام تكلموا
أتاكم زمان يطلب العلم منكم
بجد فإن لم تطلبوا العلم تندموا (21)

ولم تكن هذه الدعوة إلى العلم وقفا على الرجل وحده، بل كانت موجهة إلى المرأة كذلك، باعتبارها نصف المجتمع الذي لا يمكنه النهوض إلا بفعاليته ومشاركته. فإذا وجدنا محمد النميشي (22) يخاطب الشبان ويدعوهم إلى العلم في قوله:

العلم أجمل حلية الإنسان
فاسعوا إليه معشر الشبان
وردوا بشوق مترعات حياضه
متسابقين تسابق الظمآن
وتنافسوا في نيل كل فضيلة
وتشبثوا بأوامر القرآن (23)

فإننا نجد أكثر من شاعر يدعو إلى ضرورة تعليم المرأة، ورفع كابوس الجهل عنها، منهم عبد الكريم سكيرج الذي يتوجه بالخطاب إلى الآباء فيقول:

من موقظ الآباء من غفلاتهم
لتقر منهم أعينا أنجالها
أأب الفتاة إذا أبيت رقيها
يوما ستاتي ما به إذلالها
هي بنت صلبك إن تصلبها على
جذع الهوان أهنت حين تنالها
ماضر لو علمتها ما ينبغي
ليتم بعد جلالها إجلالها
وتكون عندك زهرة الدنيا التي
كملت وقد سلب العقول جمالها (24)

ومنهم علال الفاسي في قصيدة طويلة يستهلها بقوله:

نهضت تمد إلى المعالي سلما
وتود كالفتيان أن تتعلما
سئمت حياة الجاهلات وساءها
أن لا تنال من المعارف مغنما (25)

وفيها يدعو إلى تعليمها باعتبارها الشطر الثاني للحياة، الذي لا يمكن الاستغناء عنه إذ يقول:

---

21) شاعر الحمراء في الغربال، ص120.
22) من مواليد فاس عام 1308هـ - 1891م.
23) أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص62.
24) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، ص89.
25) ديوان علال الفاسي، ج1، ص93.

ربـــوا الفتـــاة على المعـــالي إنها
إن هـذبـت تنـح السبيـل الأقـومـا
لا تحسبـــوا أن الفتـــاة كمتعـــة
خلقـــت لنـــا كيما نلـــذ ونتعما
لكنهـا شطـــر الحيـاة فـــإن تـدم
في الجهل كانـت شطرها المتجهما(26)

ومنهـم أيضـا عبد القـادر حسـن(27) الذي يلح على ضرورة تعليم الفتـاة، مؤكدا دورهـا الفعـال في المجتمـع، إذ هـي عماد الشعـب في رفـع مستوى الأجيـال، وهـي معهد الطفـل وأستاذه وصديقـه المثالي في نفس الآن، يقول من قصيدة:

يـافتاة العـلا لأنت عماد الشـــ
ـعب في رفـع مستوى الأجيـال
أنـت للطفـل معهد لا يضـاهـى
يـدفـع النشء للعـلا والنضـال
فلتكـوني للطفـــل أمـا وأستـــا
ذا وكوني له الصديق المثالي(28)

4) الـدعــوة إلى التمسـك بـــالأخـلاق الفـاضلـة والسلـــوك الســوي المستقيـم، كواجهـة من واجهات الصمود والمقـاومة، وإيمانا من هؤلاء الشعـراء بأن قيمة الأمة في أخـلاق بنيها، وأن مجدهـا واستقـلالها رهينان بحسن سلوكهم، ونظيف تصرفهم وتعاملهـم، وكأنهم بذلـك يذكرون بـدعوة أمير الشعراء أحمد شوقي من قبل إذ قال:

وإنما الأمـم الأخلاق مـا بقيت
فإن هـم ذهبت أخلاقهـم ذهبوا

وهكـذا نجـد محمد المهـدي الحجـوي مثلا، يدعو أفراد الشعب المغربي إلى التزام النهج الصـواب، والتحلي بصفات الصـدق والإخـلاص للـوطـن، وتحمـل كـل أنـواع المشاق والمآسي مـن أجل غد أسعـد وعيش أرغد؛ يقول:

وإن حيـاة الشعب حسـن خلاقـه
بـه يـرتقـي لا بـــالنبـاهـــة والحذق
ولا ينفـع العلـم الـذي لا تقيمـــه
دعــائم أخـــلاق تقيـــه مـــن المحـــق
ومن شرف النفـس التسابـق للعلا
ومن كرم الخلق الثبات على الصدق(31)

وفي المضمار نفسـه نرى الشـاعر عبد الله الفاسي(32) وهو يدعو إلى التزام النهج ذاته، في محاولـة لتحديد المفهـوم الحقيقي للتمـدن والتطـور القـــائمين على سـلامـة الأخـلاق ونقاوة الخصـال لا على الأوهـام والأضاليل والمظاهر البراقة الزائفة؛ يقول:

26) نفس المصدر والقصيدة.
27) من مواليد عام 1334هـ ـ 1916م.
28) أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص160.
(29
(30
31) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، ص19.
32) من مواليد فاس في الفترة المدروسة.

إن التمدن من يجنيـه قد شرفت
منه المبادي فحاز القصد والوطرا
حسن السلوك بتهذيـب وتربية
وحب علـم أباد الجهل فانـدثرا
وحب عدل له الأعناق قد خضعت
مـع اتحاد ينيل النصر والظفـرا
هـذا التمدن حقـا إن عنيت بـه
لا غيره فاتـرك الأوهام والخورا
ليس التمدن ما يلهيـك عن عمل
يرقي البلاد ويعلي الفكر والنظرا
ليس التمدن بالتـزويق مسخرة
إن التمـدن مـا أولاك مفتخـرا
ليس التمـدن في لبس وفي نـزق
إن التمدن ما تحذو به الكبرا (33)

5) الـدعوة إلى التمسـك بـالوحـدة بين العنصرين المكونين للمجتمع المغربي، وهما العنصر العـــربي والبربـري. فمعلـــوم أن الاستعمار الفرنسي قد حـاول القضاء على هذه الوحدة بإحـداثه الظهير البربري عام 193 م، ولكن المقاومة المغربية لهذا الظهير كانت شاملة وقـوية، شكل شعراء المغرب لشبـاب أحد عنـاصرهـا الفـاعلة. وهكـذا صدرت عن هؤلاء الشعراء نصوص مؤثرة حماسية كلهـا تدعو إلى الوحـدة والتكتل، الإيمان بأن أفراد الشعب المغربي يكونون بنيانـا متراصا متلاحما، لا يمكـن تجزئته أو التفرقـة بين عناصره ولبناتـه، كما نقرأ للشاعـر محمد الحلـوي (34) وهـو يذكـر سكـان الأطلـس البرابـرة بشجـاعتهـم في مقاومـة الغزاة، وتعـاضدهـم مع العـرب الفاتحين مـن أجل وحدة المغـرب، وتشييد صرح حضـارته وتقـدمـه، وكـأنه بـذلـك يضرب المثل لمعاصريه من المغـاربة ليندمج البرابرة منهم والعرب ويـوحدوا صفوفهم لمواجهة قوى الاحتلال والبغي:

أبا الثلـج حـدث طـالما أنـت نـاطـق
بليـــغ ولقنـــي فـــإني شـــاعـــر
وأنت الصدى الحاكـي وإن بعد المدى
ورمـز لماض تـوجتـه المفـــاخـر
أشابت نواصيـك الخطوب وخضبـت
ربـــاك دمـــاء عطـــرتها الأزاهـــر
ربي أقسمـت أن لا تـذل جبـاههـــا
لطـاغيـة مـا عـاش فيهـا بـرابـر
إذا ركبـوا كـانوا ربـى تمتطـي ربـى
وإن طربـوا فالجود والحلم غـامر
تؤلفهم والفـــــــــــاتحين شمائل
وتـــربطهـــم والمسلمين أواصر (35)

وكما نقرأ لعلال الفاسي في أحد أناشيده الـوطنيـة حيث يـركـز على ضرورة هـذه

(33) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج1، ص36.
(34) من مواليد فاس عام 1340هـ ـ 1922م.
(35) ديوان أنغام وأصداء، لمحمد الحلوي، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1965م، ص30.

الوحدة، بل يؤكد حضورها واستمراريتها على امتداد الأجيال فيقول:

صـــوت ينـــادي المغـــربي
مــــن مـــازغ ويعـــرب
يحدو الشبـــاب المغـــربي
للمـوت مـــن دون الـوطـــن
لبيــك يـــاصـــوت الجدود
إنــــا لشعبنـــا جنــــود
كـــل يــرى حفــظ العهــود
في الـذب عن حـوض الوطـن
لا نـــرتضي بـــالتفــرقـــة
ولـــو علـــونـــا المشنقـــة
ولـــــو غـــدت ممــــزقـــة
أشـــلاؤنـا فـــدى الــوطـــن
فليغضـــب الخصـــم العنيـــد
وليرهـب الصـوت الشـديـد
لسنـــا نخـــاف أو نحيـــد
إنـــا خلقنـــا للـــوطـــن (36)

6) الـدعوة إلى التمسـك بحـب الوطـن والتعلق به وبذويـه، مهما كانت المحاولات الاستعمارية لإطفـاء هذه الشعلـة، ومهما كانـت الممارسات التي انتهجهـا المستعمر، وأبـرزهـــا نفــي هـذا الشـــاعـر أو ذاك، ومحاولـة إبعـاده عـن مـراكـز المقـاومـة الصاخبـة. وكنموذج لـذلك، نـورد أبياتـا لعلال الفـاسي قالها وهو منفي عـن وطنه المغرب، يؤكد فيها شديد حبه لهذا الوطن، وكبير شغفـه وتعلقـه بأهلـه ومـواطنيـه، وكأنـه بذلك يضرب المثل لغيره كـي يسلك مسلكه؛ يقول:

لــو خيروني بين الخلد في عـدن
مع ابتعادي عنكم يـابني وطني
وبين سكناي في ديـرانكم بلظـى
ما كنت أختار إلا في لظى سكني
نار الجحيـم إذا كانـت بربعكـم
يشب منهـا نعيم الـروح والبدن
وجنـة الخلد إن كـانت مجانبـة
لكـم تـدفـق لي بـالـوجـد والحزن (37)

وبنفـس الإيمان والثبـات يقـــول مــن قصيدة أخرى في الموضـوع:

ويـاوطني إن صرت عنـك مغربـا
فحبـك في قلبـــي يقيـم على المدى
لقيـــت بـــك الآلام لكننـــي على
هواك مقيـم مخلص لـك في الفدى
وحسبـــي هنـاء أن أكون معـذبـا
لتنعـم بالعيـش الهنيء وتسعـدا
ولابـــد مـــن يـــوم نحقـق منيـــة
فنحظى بعيش في ظلالك أرغدا (38)

ويصل التمسـك بحب الـوطن بشعـراء المرحلـة إلى استرخـاص النفـس في سبيـل

36) ديوان علال الفاسي، ج1، ص74.
37) المختار من شعر علال الفاسي، إعداد اللجنة الثقافية لحزب الاستقلال، مطبعة الدار البيضاء، 1976م، ص53.
38) المختار من شعر علال الفاسي، ص77.

الـذود عنـه، والتضحية المطلقـة مـن أجـل سعادتـه وكرامته، كما عبر عن ذلـك محمد المهدي الحجوي إذ قال:

وأعظم آمـال البـلاد رجـالها
وأصدقهم من قام يدعو إلى الوفق
يقدس لـلأوطـان كل حقـوقهـا
ويفدي منـاها بالتغـرب والشنق
فيا مرحبا بالخطب جاء يدوسنا
إذا كان بعد الخطب تظفر بالحق
وفي الخطب للإنسان ألـف مزية
وللدهـر غايات هنالـك في الخلق
وإن عرف الغواص في اليم جوهرا
تحمل أخطار الـزوابع والعمق(39)

ولم يقتصر الشعـراء الشبـاب في هـذا الموضوع على نموذج أو نماذج قليلة، وإنما فاضت قرائحهـم بنصوص كثيرة، وسالت عواطفهـم عبر قصائد متعـددة تزكـي هذا الارتباط المتين بالوطـن، والاستعداد الكامل للتضحيـة من أجلـه، والذوبـان في خدمـة مصـالحه وأغراضه. وحسبنا أن نكتفي من هذا الفيض الغزير بـأبيات لعلال الفاسي - وما أكثـر نماذجه في هـذا الشأن — يقول فيها:

لذة العيـش حيـاة الـوطـن
وفـداه مـن صروف الـزمـن
هـو بغيـاي التـي أطلبهـا
وهـو لي كـل فخـار أبتنـي
لا يلـذ العيـش لي إن لم أكـن
خـادمـا فيـه بكـل المنـن
أنـا لـو لم أك مـن أبنـائه
كنـت أهـوى أن أراه وطنـي
أنـا لم أخلـق لنفسي إنما
أنـا مخلـوق لأجـل الـوطـن
فمتـى يقبـل أن يكـرمنـي
بفـداه مـن جميـع المحـن
أنـا لا أرجـو سـوى إرضـائه
فـرضـاه لي أحلى ثمـن(40)

ولا غـرابـة أن يكـون لعـلال الفـاسي وأضرابه مثل هذا الموقف الوطني الصادق، وأن يكـرسـوا كـل جهـودهـم لخدمتـه وتقريـره، وهو الشعـور الذي تـرعرع في ذواتهم منذ المراحل المبكرة من حياتهم، كما تشهد بذلك هذه الأبيـات من قصيدة قالها علال الفاسي وهو دون السابعة عشرة من عمره:

ولي أمـة غصبـت حقهـا
سـأخـدمهـا بسنـا الخدمـات
وأنفـخ في نفسهـا نهضـة
تـروق على سـائر النهضـات
وألقـي على نشئهـا نظـرة
تـرقـي البنين وتعلي البنـات

---

39) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، ص19.
40) ديوان علال الفاسي، ج1، ص78.

فتبلـــغ مـــا أبتغيــه لها
وما يـرتجيه جميع الحماة (41)

7) الــدعـوة إلى التمســك بـالحماس والصبر، وحث المغـاربة على الاستمـرار في مقـاومـة الاستعمار، فـلا يتسرب إليهـم الوهن والضعف، ولا يخذلهم اليأس والملل. وإذا كانت النصوص المرتبطة بهذه الدعوة كثيرة ومستفيضـة، فحسبنـا أن نشير إلى قول محمد المهدي الحجوي من قصيدة:

حرام على الحر الخضوع إلى الـرق
حـرام وأرض الله واسعـة الطـرق
حــرام على نفــس الأبي مــذلــة
وفي الذل موت للشهامة والخلق (42)

كما نشير إلى أبيات لأبي بكر بناني (43) يـذكــي فيهـا لهيــب الحماس في نفـوس المغـاربـة، ويستنهـض هممهـم لمواصلـة التحدي والصمود حيث يقول:

يا بنـي المغرب مـا هـذا الرقـاد
مـالكـم صرتم كـأمثـال الجماد
فـدعـوا النوم وقـومـوا للجهـاد
واســألوا اللــه انتصــار المسلمين
يـابني المغـرب مـا هذا الفتـور
أو لستـم ذلـك الشعـب الغيـور
طهـروا الأوطان مـن كل كفـور
واســألوا اللـه انتصـار المسلمين
يــابنــي المغــرب إن الـوطنــا
يرتجي من جمعكم طـرح الونى
فاحملوا الصمصام مع سمر القنا
واسألوا الله انتصار المسلمين (44)

وكأن مـوضـوع القصيدة هـو الشغـل الشـاغـل للشاعر، والإحساس الـذي يتملك نبضـات فؤاده، لـذلك نـراه يطنب في هـذا المعنـى، ويسترسل في إذكـاء فتيل النخـوة والحماس كقوله من نفس القصيدة:

يابني المغــرب هيــا للقتــال
واستعـدوا للـوغى قبـل النـزال
أنتـم واللـه شجعـان الـرجـال
واســألوا اللـه انتصـار المسلمين
يابني المغــرب هبــوا هبــة
واضربـوا وجـه فرنسـا ضربـة
ذكـرهــا يبقــى عليهـا سبــة
واســألوا اللـه انتصـار المسلمين
يابني المغـرب مــوتـوا شهــدا
لا تعيشـــوا تحت إذلال العــدا
مـزقـوا الكفــر وأشراك الـردى
واسألوا الله انتصار المسلمين (45)

---

41) المختار من شعر علال الفاسي، ص140.
42) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، ص18.
43) من مواليد الفترة المدروسة.
44) أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص68.
45) نفس المصدر والقصيدة.

8) الدعوة إلى التمسك بالعرش المغربي والجالس عليه كرمز للوحدة والتكتل، وعنوان على سيادة المغرب وكرامته. ولعل الكثير من القصائد التي أبدعها شعراء المغرب الشباب في هذا الموضوع، وخاصة منها العرشيات (46) كانت ترمي إلى دعم هذا الرمز، وتجميع قلوب المواطنين وأفئدتهم حوله، باعتباره محط آمالهم، والمحقق لطامحهم ورغائبهم.

وهكذا نقرأ مثلا لعلال الفاسي قصيدة عرشية نظمها عام 1934 م، يؤكد فيها حب الشعب المغربي لعاهله، وتمسكه بالعرش المغربي رمز كيانه ووحدته، وضامن عزته وكرامته، حيث يقول:

فلا غرو أن أضحى (47) هماما محببا
إلى أمه تحيا به ولها الفخر
إلى أمة تعنو له كلما رجت
كأن الغد الميمون في وجهه سطر
ترى فيه رمزا للأماني ومظهرا
لوحدتها الكبرى التي مسها الدهر
ولا غرو إن أبدت بعيد جلوسه
ضروبا من الأفراح يزهو بها الثغر
فما ذاك إلا ترجمان محبة
من القلب لاعيب عليها ولا هور (48)

كما نقرأ لعبد الله إبراهيم (49) قصيدة في هذا الباب نظمها عام 1947 م، مشيدا فيها بإخلاص الشعب المغربي لعاهله الذي يقود سفينته نحو شاطىء العزة والكرامة، يقول:

المغرب الأقصى حماس كله
يبغي العلا.................(50)
ويسير مندفعا كسيل جارف
لا يأبه النكبات والزلزالا
قده إلى المجد الأثيل وسر به
وافتح له للماثرات مجالا
تلقاه يصدق في اللقا ورجاله
تلقاهم عند الفدا أبطالا
والحب والإخلاص ملء قلوبهم
ونفوسهم لا ترتضي إذلالا (51)

وإلى هذين النموذجين نضيف نموذجا ثالثا للشاعر محمد الحلوي من إحدى عرشياته كذلك، كله تجسيد لتمسك المغاربة بعرش بلادهم، والتفافهم حول الجالس عليه، محط آمالهم، والساعي إلى

---

46) هي القصائد التي تقال بمناسبة الاحتفال بعيد العرش المجيد، انظر حولها مقالا بعنوان «فن العرشيات في الشعر المغربي» لصاحب هذا البحث، مجلة دعوة الحق، عدد 268، رجب 1408هـ - مارس 1988م.
47) الضمير يعود على جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.
48) ديوان علال الفاسي، ج1، ص106.
49) من مواليد الفترة المدروسة.
50) بقية الشطر غير موجودة في الأصل.
51) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، للدكتور إبراهيم السولامي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص114، نقلا عن جريدة العلم 18 نونبر 1947م.

بلورة مطامحهم وتحقيق أهدافهم وأمانيهم:

أبا النصر تمم ما ابتنيت فما بقي
لفوزك إلا قاب قوسين أو شبر
فحقق أماني أمة ضاق ذرعها
وأرهقها الحامي وأثقلها الإصر
تريد حياة تحت تاجك حرة
وتطلب حقا ليس عن نيله صبر
ستبذل في آمالها كل ما احتوت
يداها فإن عزت فأرواحها مهر
فقدها إلى الشط الأمين سفينة
تقاذفها في سيرها المد والجزر
وخضها فعين الله يقظى ونوره
دليل ونجواه المعونة والأزر(52)

ويبدو أن من شعراء المرحلة الشباب من حاولوا أن تصل أشعارهم إلى كافة طبقات الأمة على اختلاف مستوياتهم ومهنهم، فراحوا يتوسلون بأسلوب الأناشيد التي كانت هذه الطبقات المختلفة ترددها في كل محفل ومقام، معززة بألحان حماسية تزيد المستمع إليها تأهبا للاستمرار في ثباته وصموده حتى يتحقق الأمل في الحرية والانعتاق. ومن هذا القبيل نشير إلى نشيد لعلال الفاسي يحيي فيه العرش والجالس عليه فيقول:

يا مليك المغرب
يا ابن عدنان الأبي
نحن جند للفدا
نحمي هذا الملك
عرش مجد خالد
ما جد عن ماجد
قد بناه الأولون
في شموخ الفلك(53)

9) الدعوة إلى التمسك بالوحدة مع الأقطار الإسلامية والعربية كمصدر من مصادر استمداد القوة والمناعة، ومنبع من منابع التلاحم والتآزر؛ وهي الدعوة التي اتخذت واجهات متعددة، وأنماطا من التعبير متنوعة. فتارة تأتي هذه الدعوة على شكل استنهاض الشعوب الإسلامية من خمولها وغفوتها، وحملها على نفض غبار الكسل والتخاذل، كما جاء في إحدى قصائد علال الفاسي إذ يقول:

بني الشرق ما هذا الخمول وأنتم
أجل بني الدنيا أصولا سواميا
ألستم بني المجد الذي شاد صرحه
كنانة من قبل وعقبة ثانيا
بني الشرق هل من غيرة مضرية
تكون لداء قد تفاحش آسيا(54)

---

52) ديوان أنغام وأصداء، ص73.
53) أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص145.
54) ديوان علال الفاسي، ج1، ص55.

ويستمر الشاعر في هذا الموقف المشجع الحاث، مؤكدا أنه موقف لا يصدر عن رجل طاعن في السن أو مضطلع في ميدان القريض، وإنما هي دعوة لمقاومة التغلغل الغربي للعالم العربي والإسلامي تأتي من غيور لازال في مستهل العمر، مما يؤكد موقف الشعراء الشباب من الأوضاع المغربية والعربية عامة، يقول:

أهذا هو الغرب الذي تحمدونه
يبين لكم ما كان في النفس خافيا
ألا غضبة منكم عليه فإنني
عهدت لكم عزما يهد الرواسيا
ألا غيرة منكم على العرب إنني
رأى دمهم لازال فيكم ساريا
ألا حققوا فيكم رجائي فإنني
نصحتكم حبا لكم وتفانيا
وما أنا ذو الشعر الذي طار صيته
وردده من لايزال مناغيا
فآتي بالسحر الحلال تحديا
وأنظم من شعري عقودا غواليا
ولكنني طفل تسيل دموعه
فينظمها للقارئين قوافيا(55)

وتارة أخرى تأتي هذه الدعوة على شكل اهتمام بقضايا المشرق العربي، واعتزاز بما قد يحدث فيه من علامات الوحدة والصمود. وكنموذج لذلك، نشير إلى المظاهرات التي قامت بها الفتيات الفلسطينيات عام 1933 م، والتي ألهبت قريحة الشاعر الشاب إذذاك، علال الفاسي، فراح يتغنى بقيمة هذه المظاهرات، ومساهمتها الفعالة في تحدي العدو، ومواجهة تغلغله وتمركزه، إلى جانب اعتزازه بكونها مثلا يحتذى، وعملا بطوليا يستحق التقليد والاتباع؛ يقول من قصيدة:

إيه فتاة العرب في
كل المواطن والبلاد
مدي يديك وأنقذيـ
ـنا من مهاوي الازدراد
ولتشعرينا بالكرامة
في النفوس والاعتداد(56)

إلى أن يقول:

خطي لنا سبل النجا
ة وعلمي شكل الجلاد
ضمي الصفوف ووحدي
لا تختشي أهل العناد
لا تتركيها فرقة
ترمي بنا في كل واد
سيري إلى الميدان يحـ
ـدوك الثبات والاعتقاد
إنا جميعا جندك الـ
ـمعتز بالأم الجواد

---

55) نفس المصدر والقصيدة.

56) ديوان علال الفاسي، ج1، ص92.

فتقـــدمينـــا لـــلأمـــا

م لترفعـي علـم الجهـاد(57)

10) توجـه هؤلاء الشعـراء الشباب إلى المواطنين المغاربة عامة، وإلى الشباب منهم بصفة أخص، وهو توجه نصادفه في أكثر من قصيدة، وعند أكثر من شاعر، يحركه إيمان هؤلاء الشعراء بـأن الشباب مصدر قوة الأمة، ودرعها الواقـي إن جاد تكوينه وحسن سلـوكه، على غرار ما أكـده علال الفاسي عندما قال:

شبـاب البــلاد حيـاة البـــلاد

إذا مـا مشـى بسبيل الـرشـاد

وقـــام بنهضــــة شهـــم دری

طـريق النجـاة ومغزى المبـادي

ولم يتطـــــرف ولم يبتعـــــد

ولم يحذ حـذو شبـاب الفســاد

فـــإن كـــان ذاك فبشرى بـــه

وفخـرا يسجل في كـل نـاد(58)

فإذا خاطب الشاعر محمد الجزولي(59) شباب المغرب في نغمة حماسية فقال:

أبعـد العـز هـل تـرضـون ذلا

وهل تـرضـون بعد العلـم جهلا

فهلا يا شبـاب الغرب(60) هلا

خلقتـم منكـم نشئـا جـديـدا

أبعـد جـلالنا نـرضـى الهوانـا

أينعـــم في أراضينـــا ســـوانـــا

أيعلـو بـالمعـارف مـــن عـدانـا

ونبقـــى في جهـــالتنـــا خمودا

حنـانك يـا شبـاب الغرب هيـا

فـــإن رجـاءنـــا فيـك استتبـا

فأيقـظ من سبـات النوم قـوما

يكاد الجهل يجعلـه حصيدا(61)

حذا حذوه محمد المهدي الحجوي فقال من قصيدة:

أرجـــال الغـــد هبـــوا دفعـــة

واستعـدوا للقا الخطـب الجليـل

أرجـــال الغـــد هبـــوا دفعـــة

واطرحـوا قول حسـود وعذول

أرجـــال الغـــد هبـــوا دفعـــة

وانهضوا بـالأمر والعـبء الثقيل

أرجـــال الغـــد هبـــوا إنـــه

طال هذا الصمت والنوم الطويل

فعـزيـــز القـوم مـــن كـان إذا

قال قولا لم يكن غير فعول(62)

57) نفس المصدر والقصيدة.

58) ديوان علال الفاسي، ج1، ص163.

59) من مواليد الفترة المدروسة.

60) يقصد بشباب الغرب شباب المغرب (الغرب الإسلامي).

61) ديوان ذكريات من ربيع الحياة، لمحمد الجزولي، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971م، ص62.

62) الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، ص15.

ووقع عبد الله جنون (63) على النغمة ذاتها فقال:

إيه يا نشء البلاد المرتجى
يا رجالات الغد المنتظر
من لهذا الشعب في نكبته
من لهذا الوطن المحتضر
من له ينشله من هوة
زل فيها قدم المستبصر
أدركوه يا بنيه وبه
رمق قبل وقوع الخطر
أسرعوا لا تخلفوا الظن بكم
بملافاة انتشار الضرر
طالما استصرخكم مستنهضا
عزمات لم تلن من خور
إنكم عدته يوم اللقا
فادفعوا عنه جيوش الغير (64)

وإذا نوه محمد المختار السوسي بنخبة من شباب البلاد وهم يؤدون أدوارا تمثيلية على خشبة المسرح فقال:

شباب المغرب الأقصى يفيق
ليحيي المجد والحسب العريق
أراهم يطمحون إلى المعالي
وما يرقي البلاد وما يروق
ويجري في دمائهم شعور
تثور به الشراين والعروق
فيشتاقون للمجد المولي
ويذكرون والذكرى تشوق (65)

سايره علال الفاسي في نونيته الشهيرة التي مطلعها:

كل صعب على الشباب يهون
هكذا همة الرجال تكون (66)

فقد عقد كل أمل على هذه النخبة من مواطني المغرب، وفي مجالات شتى إذ قال:

يا شباب البلاد أحييتمونا
فلنا فيكم رجاء متين
ولنا في الشباب خير ظنون
حققت في الشباب تلك الظنون
أخبروا القوم أعلموهم بأنا
قد حيينا وأننا سنكون
قد بعثتم رجاءنا فأديموا
سيركم واعملوا لا تستكينوا
واحفظوا ما ورثتم من لسان
فهو روح الحياة والأكسجين
لغة العرب أتقنوها فمنها
كل ما تبتغونه يستبين
ودعوا كل من يريد عداكم
فهو ما عاش جاهل مجنون
ما يضير الشباب شيء إذا ما
رضي الشعب عنهم والدين

---

63) من مواليد فاس عام 1326هـ ـ 1909م.

64) مجلة المناهل، العدد 11، السنة 5، ربيع الأول 1398هـ ـ مارس 1978م، ص11.

65) أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص157.

66) ديوان علال الفاسي، ج1، ص39.

اعملوا واخدموا ولا تتوانوا
وأنا بالنجاح بعد ضمين (67)

ولا بدع أن يطول خطاب علال الفاسي لشباب المغرب، واعتماده على مؤهلاتهم وقدراتهم، وهو الذي سمى نفسه شاعر الشباب حينما قال في نهاية القصيدة:

ياشباب البلاد فيكم أحيي
هم ما علقت عليها الظنون
ياشباب البلاد فيكم أحيي
كل شهم بما يفيد الدين
فأنا شاعر الشباب أحيي
ـكم فيهتز قلبي المحزون
وأنا شاعر الشباب أحيي
ـكم وإني بحبه مفتون (68)

وإذا كان هذا الخطاب يصدر عن شعراء المغرب الشباب إلى شباب الأمة المغربية وسواعدها الفتية، فإنه أحيانا يتجاوز هذا النطاق الضيق ليصبح خطابا عاما يشمل شباب الأمة الإفريقية والعربية قاطبة، باعتبارهم جميعا رصيد الأمة وضمان تقدمها وازدهارها. وفي هذا المجال نكتفي بنموذجين اثنين للشاعر علال الفاسي، في أحدهما خاطب نخبة من شباب الجزائر، وهو يهنئهم بمرور عام على صدور مجلة الشهاب، وذلك عام 1345 هـ، حيث قال من قصيدة:

يانخبة من شباب القوم عارفة
معنى الديانة كوني أشرف النخب
دومي على بركات الله في عمل
ينال قومك منه منتهى الأرب
إني دعوتك للجلى فكوني لها
طول المدى عصبة من أعظم العصب (69)

وفي ثانيهما خاطب شباب إفريقيا بمناسبة انعقاد مؤتمر طلبة شمال إفريقيا في شتنبر من عام 1933 م بباريس، إذ قال من قصيدة:

إيه شباب العزم من إفريقيا
أحيوا لنا ماضاع منها أو نبا
فعليكم آمالنا معقودة
وجديرة أن لا يضيع وتذهبا
العلم نور فاقبسوا من نوره
قبسا يزيح عن البلاد الغيهبا
ولتفسحوا فيه المجال لفتية
الفكر منها ما يزال محجبا
هيوا لنا خير الوسائل وابحثوا
عما يقرب للفتاة المطلبا
إن ائتماركم إذا نفذتم
يولي البلاد من الفوائد أضربا (70)

---

67) نفس المصدر والقصيدة.
68) نفس المصدر والقصيدة.
69) ديوان علال الفاسي، ج1، ص44.
70) ديوان علال الفاسي، ج1، ص89.

وليس بدعا أمام كل هذه الواجهات المتعددة والخصبة في نفس الآن، أن نستخلص همة هؤلاء الشعراء الشباب، وذوبانهم في الهيام بوطنهم، وتضحيتهم بأسباب المتعة واللهو في سبيل خدمة هذا الوطن، وتوحيد صفوفه، وتحرير أراضيه، ودعم مشروعية عرشه، وكأن الشاعر عبد الله جنون لسان حالهم جميعا وهو يبدي شديد صموده وثباته، ويكرس كافة جهوده في سبيل إعلاء شأن وطنه، دونما طيش أو نزق:

ولي بين أضلاعي وبين جوانحي
فؤاد يرى في حادثات الدنى صخرا
أحمله ما ناء رضوى بحمله
فيحمله لا يستحس له وقرا
ويابى التصابي والتعلق بالهوى
لأنهما للهون كانا معاجسرا
فلا حب إلا للبلاد وأهلها
تخلل أنفاسي وأشربته خمرا
أرى أنني إن لم أعد بسعادة
على أمتي، ياحسرتا، مت مضطرا
وأني إذا حققت ما أبتغي لهم
كفاني بأن حققته ثم لا فخرا
فيا وطني لابت إلا محررا
ويا أمتي لقيت في سعيك البرا (71)

وهكذا إذن، تتضح مساهمة الشعر المغربي في مقاومة الاحتلال الأجنبي، وتتبلور الواجهات التي انطلق منها لدعم هذه المقاومة، كما تتضح ملامح الوطنية التي تحلى بها الشعراء الشباب في الفترة المدروسة، والشعور بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على كاهلهم لتخليص البلاد من براثين الاستعمار والغصب، وتوحيد صفوفها تحت قيادة العرش المغربي، رمز الوحدة والاستمرار، وضامن العزة والكرامة، ومحط الرغائب والآمال.

الرباط — عبد الجواد السقاط

71) ديوان لوحات شعرية لعبد الله جنون، دار كريماديس للطباعة، تطوان، المغرب، 1966م، ص22.

عظمة الرّجال تعكس شباب الأمّة عبر الأجيال

للأستاذ مصطفى بوذروة
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بالجديدة

إن التقدم الحضاري يفرض إقامة الاحتفال بذكرى المناسبات التي تخلد معالم التاريخ، حفاظا على رسالة الحاضر، لتبقى تلك الذكرى أمانة يتلقاها جيل عن جيل، ويتدارس أمرها، قصد ربط إشعاعها الماضي بالحاضر والمستقبل، وما خلفته من آثار وما عكسته من إيجابيات، رغم ما يحيط ذلك من المخاطر والتحديات، لتكون دروس الماضي سبيلا لتعبئة الطريق، ومنارا يلقي بإشعاعه نورا على الأجيال اللاحقة، حفاظا على تلك الذكرى التي أودعها الله فيمن أجراها على يده، لتبقى نبراسا يحرك المشاعر ويحفز القلوب، ويهز الوجدان، لنيل العلى وما يتطلع إليه الإنسان.

وجريا على تلك السنة الحميدة يحتفل المغرب كل سنة وفي تاسع يوليوز منها بعيد الشباب، عيد ميلاد جلالة الملك الحسن الثاني الذي سمي باسم جده الحسن الأول، تلمحا من طرف والده المنعم أن يكون امتدادا لشخصية جده التي تركت أثرها مسجلا على التاريخ بمداد الفخر والاعتزاز.

وعيد الشباب وإن كان يحمل في عنوانه الاحتفال بالشباب، فإنه يرمز بفضل مواهب جلالة الحسن الثاني إلى الاحتفال بجلائل الأعمال، وما أنجز من عظيم المكرمات، التي لولا قدسية النبوة لعد ذلك من قبيل المعجزات.

نعم، تلك الأعمال التي تتجلى في جميع الميادين التي تنهض بالدولة، سواء منها ما

يرجع إلى الجانب الاقتصادي والعمراني أو السياسي والاجتماعي.

كل ذلك أبت إرادة الله إلا أن تفتقه وتفجر طاقته على يد من كانت طلعته على البلاد ينبوع كل خير، ومصدر كل تقدم وازدهار.

هذا البلد الذي قيض الله له سليلا من حفدة الرسول عليه السلام، وهو جلالة الملك الحسن الثاني، المحروس بعناية الله، والمحفوظ بالسبع المثاني.

هذا الملك الذي تولى الملك وهو في ريعان شبابه سنة 1961 م والعالم يومئذ يموج بالمخاطر والهزات، ويثور في كل رقعة منه غليان ينذر بالرَّجَّات، ويتردى شرقه وغربه في الارتماء بين الإيديولوجيات، تلك الإيديولوجيات التي وإن تباينت شعاراتها، فقد اتفقت أهدافها خرابا ومعبرا.

فالاقتصاد العالمي يتأرجح بين الماركسية والرأسمالية، والعالم يتلظى بينهما مدًا وجزرا، وكلما لاح له بريق الاشتراكية الغِرِّيرَة إلا وجده سرابا، وإذا ما استدار وجهه إلى عالم الرأسمالية التي تملك مِقْوَدَ التسيير، وجَدَها مُمْعِنَةً في التعامل عن طريق الاستغلال والإسراف في التقتير.

وبجانب هذا وذاك، عالم الشمال والجنوب الذي وإن تباين اسما عنهما فإنه يتلاقى معهما في توسيع الهوة بين الجانبين، والسير بهما نحو التطاحن الطبقي بدون مين.

في هذا الظرف العصيب، تولى أمير المؤمنين عرش أسلافه الغر الميامين، والمغرب آنذاك مازال يضمد جراح الاستعمار، التي أثخنت جسمه بكل ما يعثره في سيره عن التقدم والازدهار، تاركا وراءه إرثا ثقيل العبء مليئا بالأخطار.

فالجيش الأجنبي مازالت أقدامه متوغلة في التراب المغربي يعفر وجهه بتهديد أمنه، وسلامة سيادته.

واقتصاد البلاد مازالت قواعده لم توضع بعد على أرصفته، والمغرب آنئذ يعيش منزويا على نفسه، حيث الأبواب مازالت موصدة عليه، فهو لم يتنفس بعد على روافد من يتعامل معه من الدول المتحكمة في الاقتصاد العالمي، والتي تقود العالم إلى السير في لجج بحره، والسباحة وراء تلاطم أمواجه.

ووحدة تراب المغرب مازالت مشطرة الأشلاء، مقدودة الجوانب والأجزاء، ومن بينها الأقاليم الجنوبية التي تمثل الصحراء.

وهناك جانب التعليم التربوي الذي يتأرجح بين الفرنسة والمغربة من جهة وقلة الأطر التي تسهر على إصلاحه وتعمل على تقويمه من جهة ثانية.

بالإضافة إلى اختلاف مشارب تلك الأطر التي تتباين اتجاهاتها من الحفاظ على الفرنسة، والجري وراء التجديد، ولو على حساب الأصالة التي تحافظ على شخصية البلاد، أو استعاضتها بالتعريب الذي يشخص كيان البلاد.

علاوة على جانب الإشعاع الروحي الذي أوشك أمره على الانهيار رغم تأثير المغاربة به، حيث يَلُفُّهُم بلفاف الدين، ويحفظ لهم مقدساتهم من كل ارتكاس ونكوص عن طريق الحفاظ على تعاليم الإسلام للأمة المغربية تربية، وطريقا، وسلوكا، ومنهجا.

هذه بعض الجوانب التي كانت تنيخ بالبلاد، وتحيطها بسياج من المشاكسات، معوقة لها عن السير نحو الركب الحضاري.

هذا الركب الذي لا يقوى على السير فيه إلا من اصطفاه الله، وهيأه للقيام بأعباء شعبه.

وبتوفيق منه سبحانه، وضع جلالة الملك الحسن الثاني قاطرة المغرب في طريقها السوي لتسير إلى الأمام، غير مبال بالعوائق التي كانت تدفع إلى الرجوع بالإدبار، ماسكا بعجلة التاريخ وواقيا لها من الوقوع في التردي والانحدار.

فما إن تربع جلالته على أريكة عرشه حتى ألقى خطابه التاريخي يوم ثالث مارس 1961 م من قصره العامر بالرباط على الأمة المغربية، جريا على تقاليد أسلافه الميامين، مجددا فيه الوفاء بالعهد الذي يربطه مع شعبه، ملتزما بعقد البيعة الذي يلزم الشعب بالطاعة والنصر، في المنشط والعسر، والذي يجعل الملك المبايع الرائد الأمين، والحارس على وحدة تراب البلاد، والساهر على مصالحها، اقتصاديا، وسياسيا، واجتماعيا، آخذا العهد على نفسه أنه سيواصل بناء ما خططه والده المنعم جلالة المغفور له محمد الخامس بالسير بالبلاد نحو الرقي والازدهار، والسلوك بها في الطريق الذي يبوؤها مكانة الصدارة بين مصاف الدول، ربطا لمستقبلها بماضيها، معيدا لها حرمتها التي كرسها التاريخ وجعلها سيمة لملوكها الأشاوس الذي يتصفون بالشهامة التي لا تبالي باقتحام الصعاب، لنيل العلى والابتعاد عن شره الذئاب.

وما هي إلا مدة وجيزة من توليته عرش أسلافه، حتى عمل على تطهير البلاد من رجس الأجنبي الذي كانت أقدامه تعفر وجه المغرب بتهديد سلامة أمنه، والتحكم في مصيره.

ثم توجه إلى تحرير الأقاليم الجنوبية، بدءا من طرفاية إلى سيدي إيفني، ثم العمل على تهييء الشعب داخليا، وتكوين المناخ الدولي بكل مهارة وحكمة لتحرير

الصحراء المغربية من يد الاستعمار الإسباني، الذي ظل يدعي أنها أرض إسبانية وجزء منها لا يتجزأ، اعتبارا لكون هذا المطلب هو قمة المطالب التي جعلها ملك المغرب على عاتقه، استجابة لرغبة الشعب من أقصاه إلى أقصاه، بالرغم عن كون قوة الشر والاستعمار متضامنة فيما بينها، متكالبة على غيرها، مما يتطلب التعبئة الشاملة، والحيطة الكاملة، لئلا تقع قضية الصحراء في متاهات الشعارات، وتنصهر في لظى الإيديولوجيات، تعتيما للحقيقة التاريخية، وتجنيا على القضية الوطنية الكبرى.

تلك القضية التي جعل الشعب المغربي منها بفضل عزيمة ملكه، وقوة شكيمته، ووفرة وطنيته، قضية موت أو حياة.

وبفضل الإلهامات الربانية، والفيوضات النبوية التي تلقي بظلالها على حفيد العترة النبوية جلالة الحسن الثاني، وما قام به شعب المغرب من وراء قيادته، خطت قضية الصحراء مراحل بالمنظمات العالمية، انتهت بها خاتمة المطاف إلى الوضع بين يدي محكمة العدل الدولية لتقول رأيها، حسما لما تدعيه إسبانيا من كونها كانت أرض خلاء، وأنها يوم أن دخلتها لم تكن تابعة لأية دولة.

فجاء رأيها مؤكدا لموقف المغرب من كون أرض الصحراء أرضا مغربية ماضيا، وحاضرا، ومستقبلا، وأن العلاقة التي تربط سكانها بالعرش العلوي قديما وحديثا هي علاقة البيعة.

فكان رأيها هذا هو القول الفصل دوليا، وبه مسك المغرب بقيادة ملكه مفتاح الصحراء التي أصبح أمرها إليه، وانطوت تحت لوائه إسوة لها بباقي الأقاليم المغربية عن طريق المسيرة الخضراء التي اعتبرت - بحق - معجزة القرن، ومفخرة العصر، التي سيظل الزمان يتغنى بها مدى الدهر.

وإن قضية الصحراء، وما واكب تحريرها من صعاب، لم تكن لتثني جلالة الملك الحسن الثاني عن الجوانب الأخرى التي، البلاد في أمس الحاجة إليها.

ففي الجانب الاقتصادي، فقد أحاط البلاد بسياج من السدود ليزدهر الجانب الفلاحي الذي هو أساس ثروة المغرب قديما وحديثا، وليؤمن لأرضه الإنتاج الذي لا يقتصر على حاجيات البلاد في نطاق الاكتفاء الذاتي، بل يتجاوزه إلى غزو الأسواق للعالم الخارجي، حاثا على مضاعفة الإنتاج الفلاحي، حتى يتم سقي مليون هكتار. وقد تم ذلك والحمد لله.

وإن حوامض المغرب وبواكره أصبحت تكتسح الأسواق العالمية بفضل ما تتميز به كما وكيفا، وتجلب للبلاد العملة الصعبة التي تسهل لها الاستيراد

الخارجي، مما أهل المغرب للمطالبة بالعضوية داخل السوق الأوربية المشتركة.

كما ربط المغرب مع دول العالم اتفاقيات أصبح عن طريقها يملك المتنفس الاقتصادي، يواجه به حاجيات البلاد، رغم ما ينقصها من عدم التوفر على الذهب الأسود الذي أصبح العملة الأساسية للتعامل الدولي.

ولكن ما حبا الله به شخصية جلالة الحسن الثاني من العبقرية والمواهب، وما يتسم به من الحكمة والوفاء بالالتزامات الدولية، وما يقوم به على الصعيد العالمي من الدعوة إلى الأمن والسلام، وما يتوفر عليه من بعد نظر، وما زود به البلاد من ركائز الديموقراطية، كل ذلك، عوض الله به لبلد المغرب ما افتقره من الذهب الأسود.

وقديما أقر علم الاقتصاد أن العنصر البشري يعتبر الركيزة الأساسية لتكوين رأس المال.

وبفضل مواهب جلالة الملك، وما فطر عليه من العبقرية النادرة، فإن المغرب، رغم افتقاده لتلك الثروة، ورغم تحمله تكاليف حرب الصحراء مدة سبعة عشر سنة، وما أصاب البلاد من سنوات الجفاف، لم يشعر أي مغربي بكل ذلك.

وحظي التعليم باهتمام جلالته بمراجعة برامجه، والسير بالبلاد وفق النهج اللائق به، من حيث تزويدها بالكليات التي تمثل مختلف الشعب تحت لواء الجامعات التي يزداد كمها حينا بعد حين.

وبالنسبة للإشعاع الديني الذي كان نوره ينبعث من القرويين بفاس، وابن يوسف بمراكش، والذي كاد أن يخبو منطفئا تحت مقولة إصلاح التعليم الأصيل وتغييره، بما كاد أن يقضي عليه لولا عناية الله به التي ألهمت جلالة الحسن الثاني الراعي الأمين، لشؤون الدنيا والدين، بفتح روافد تبقى تحتضن علوم الدين، فأنشأ دار الحديث الحسنية التي تخرج منها علماء عديدون.

كل هذا تم تحت المظلة التي أقامها جلالته، وسهر على إحيائها شخصيا بإحياء السنة الحميدة لأسلافه الميامين، من إقامة الدروس الرمضانية التي يتناوب على كرسيها وبحضرة جلالته العلماء.

وما خطاب جلالته أخيرا ليلة القدر لسنة 1411 هـ بقصره العامر من إعطاء أمره السامي بتكوين لجنة من العلماء يعهد إليها بالسهر على تكوين العلماء تكوينا أصيلا على غرار التكوين القديم، من الإحاطة بعلوم الشريعة الإسلامية، وما يتصل بها من الحفاظ على الأصالة المغربية، ليبقى حاضرها مرتبطا بماضيها.

لخير دليل على عناية جلالته بشؤون الدين عناية فائقة.

كل هذا من أجل الحفاظ على طابع هذا البلد، الذي ظل طيلة قرون قلعة للإسلام، ومنارا يستضيء به الأنام، دون أن ينال منه الزمن، أو تعصف بروحانيته التغيرات المتجددة في كل وقت وآن، بل ظل محافظا على أصالته الدينية: سنة، وعقيدة، ومذهبا.

هذه الأصالة التي حمته من الوقوع في متاهات الآراء والنظريات، وحفظت له قدسيته، وصانت وحدته من التفكك والانحلال، بفضل الالتفاف حول خليفة الله في أرضه بحكم البيعة والامتثال.

كل هذا بوأ البلاد مكانة الصدارة، بفضل ملك المغرب جلالة الحسن الثاني الذي شمر عن ساعده، وعقد العزم من أجل صيانة بلاده عن طريق الحفاظ لها على مقوماتها، وراهن الزمان بالتحدي من يوم أن آل إليه أمرها بجلوسه على عرش أسلافه وهو يومئذ مازال في عنفوان شبابه ونعومة أظفاره.

فمنذ ذلك الوقت وهو يخطط ويصمم، دون الاكتفاء بما يوفر للبلاد الحد الأدنى، بل يخطو بها إلى طلب ما هو أعلى، مرددا في خطبه التاريخية حكمته المشهورة: (الكمال لا حَدَّ له).

وهكذا دواليك، سيظل المغرب بفضل ملكه مستمرا في نهضته، شابا في سيره، كلما أنهى مشروعا إلا وشرع في تشييد غيره، طلبا للكمال، وصعودا إلى قمة المجد والسؤدد، جاعلا من خطواته خطوات الشباب الذي يقتحم المشاق دون ارتداد في سيره ولا إياب، محققا بذلك نظرة والده المنعم، حين تلمح فيه مواهب جده الحسن الأول وسماه باسمه، فحقق الله أمله، فكانت منجزاته لا تقاس بالعمر والزمن، بل ستظل مواهبه تعمل في كل زمن، ولا يزيدها مر الأيام إلا جدة ونضارة، ولا يوقفها عهد الشباب الذي تذهب مدته بمضي فترته، طاوية وراءها نضارة الشباب وغرة أيامه. فالمغرب — والحمد لله — سيظل شابا بفضل وجود جلالة الحسن الثاني، يحتفل كل سنة بعيد الشباب.

الجديدة ـ مصطفى بوذروة

آثار الوقف في الحياة المجتمعية بالمغرب عبر التاريخ

للأستاذ السعيد بوركبة
أستاذ بدار الحديث الحسنية بالرباط

يمكن معالجة هذه الآثار من حيث إعانة الإنسان، ومن حيث الرفع من مستوى حياة الموقوف عليه من الوجهة التنموية : علمية كانت أو فلاحية، أو عمرانية، ومن حيث إسعافه بالعلاج، كإسعاف غيره من الحيوانات، ومن حيث الدفاع عن الأوطان.

1 ــ آثار الوقف من حيث إعانة الإنسان :

تحتفظ الخزانات في المغرب بسجلات كثيرة، تتعلق بأوقاف تساند كثيرا من الناس، وخاصة الفقراء والمعوزين وذوي الحاجة.

ولذلك نرى منها ما جعل ريعه للمساكين، والأيتام، والأرامل وغيرهم... وقد وسع الواقفون على المحبس عليهم، فوقفوا حمامات وأرحية، وآبار، وسقايات للسبيل، كما وقفوا دورا للضيافة أو لإقامة حفلات الولائم بالنسبة لأعراس المقلين المقبلين على الزواج، إلى جانب ثياب وحلي يليق بالعرائس.

يضاف إلى ذلك مساعدة الأطفال الصناع الذين يكونون يشتغلون عند معلم ما، فتتكسر لهم بعض الأواني، ويخافون من عقاب معلمهم، فإذا بالمحسنين يقفون أوقافا خاصة بهذا، كما يقفون دورا للوضوء بالنسبة للنساء من أجل التطهر لأداء الصلاة.

إلى جانب هذا، جعلوا أوقافا خاصة بالغرباء، بغية تخليصهم مما يثقل كواهلهم من الديون التي في ذمتهم، كما جعلوا أوقافا، قامت وتقوم بدور فاعل في التآزر والتكافل المجتمعيين، حيث يلاحظ: أن الواقفين وقفوا كل أو جل ما يملكون على المعتوهين، والمقعدين، والزمنى

والمكفوفين... وان أوقاف أبي العباس السبتي في مراكش لأكبر شاهد ودليل على هذا...

فهذه المؤسسة، يلتجىء إليها المكفوفون، فيسعفون بما هم في حاجة إليه من أنواع الإسعاف والرعاية، كما نجد أوقاف سيدي علي بوغالب، تساند ملجأ كبيرا لأصحاب القروح والجراح.

وإذا كانت الأوقاف تخفف من ويلات الأمراض والعاهات، فإن هنالك أوقافا تتوفر على كثير من الأموال وضعت خصيصا لتسليفها من أجل المحتاجين بدون فائدة، ولا عوض، كانت هذه الأموال موضوعة بخزينة في قبة القيسارية بفاس، يستقرض منها المحتاج، ويعيد القرض متى وجد...

وإذا كانت هذه القروض في النقود، فإن هنالك قروضا أخرى في الطعام، وقفها أصحابها من أجل تسليفها للمزارعين المحتاجين إلى البذور، على أساس ردها إلى خزينتها متى تأتى لهم ذلك.

2 ـ آثار الوقف من حيث الرفع من مستوى حياة الموقوف عليهم من الوجهة التنموية:

إن رفع مستوى حياة الموقوف عليهم، يمكن تداولها من وجهات: التنمية العلمية، والفلاحية والعمرانية.

أ ـ الرفع من مستوى حياة الموقوف عليهم من وجهة التنمية العلمية (كجانب مجتمعي):

من الملاحظ أن الأوقاف الخيرية أو العامة. قامت وما تزال تقوم بدور فعال في تنمية الحركة العلمية، وتنشيطها في المغرب، سواى في المساجد، أو في المراكز العلمية الإشعاعية التي يتلقى فيها الطلبة أنواع العلم، وضروب المعرفة والبيان.. ومنها تخرج علماء أفذاء، يعتبرون قمما في مختلف المعارف والفنون.

ومن أكبر المساجد التي كانت زاخرة بالمعرفة في المغرب، ويؤمها الطلبة من مختلف الآفاق:

1 ـ **مسجد القرويين بفاس.**
2 ـ **مسجد ابن يوسف بمراكش.**

وهذان المسجدان هما المعبر عنهما فيما قبل بجامعتي: القرويين وابن يوسف... وهما أثران من آثار الأوقاف، وقد كان يتولى التدريس فيهما علماء كبار، عرفوا برصيدهم العلمي الواسع... وقد كانوا يعطون رواتب مهمة من طرف الأوقاف، تكفيهم مؤنة الحياة، كما كان الطلبة يتلقون منها منحا تساعدهم على الاغتراف من مناهل المعرفة، زيادة على السكن الذي يوفر لهم ــ مجانا ـ في مدارس، أو في فنادق مساعدة لها في السكن.

وتجدر الملاحظة إلى أن الدولة المرينية ـ وهي من الدول التي تعاقبت على حكم

المغرب ـ كانت تحرز على قصب السبق في إنشاء هذه المدارس والفنادق.

ومن بين المدن المغربية التي اشتهرت فيها هذه المدارس: مكناس، وفاس، ومراكش، وسلا.

ويجب لفت النظر إلى أن الملوك الذين اشتهروا في الدولة المرينية بإنشاء هذه المدارس هم:

- **أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني:**

بويع سنة 667 هـ وتوفي سنة 684 هـ ومدة إمارته كانت 17 سنة.

- **أبو سعيد عثمان بن عبد الحق.**

بويع سنة 710 هـ ومدة إمارته كانت 21 سنة.

- **أبو الحسن علي بن سعيد :** (1)

بويع سنة 731 هـ، وتوفي سنة 752 هـ ومدة إمارته كانت 21 سنة.

- **أبو عنان فارس بن أبي الحسن:**

وهذا أخذ البيعة لنفسه عندما طال مكث أبيه بتونس سنة 749 هـ وتوفي سنة 759 هـ ومدة إمارته، كانت حوالي 10 سنوات.

أما المدارس التي أسسها أبو الحسن، فمنها:

1 ـ **المدرس الفخمة بمراكش**، الواقعة قبلي جامع ابن يوسف المعروفة بمدرسة ابن يوسف، وتعتبر آية في الإبداع، نقشا وزخرفة وإتقانا في البناء.

2 ـ **المدرسة العظمى بطالعة سلا**، الواقعة قبلي المسجد الأعظم منها، بناها رحمه الله على هيئة بديعة، وصنعة رفيعة، وأودع جوانبها من أنواع النقش، وضروب التخريم ما يحير البصر، ويدهش الفكر، ووقف عليها عدة أوقاف...(2)

3 ـ **المدرسة التي بغربي جامع الأندلس بفاس**، وهو ما يزال ولي عهد أبيه أبي سعيد عثمان، وبنى حولها سقاية ودارا للوضوء، وفندقا لسكنى طلبة العلم، وجلب الماء إلى ذلك كله من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس، وأنفق على ذلك أموالا جليلة، تزيد على 100 ألف دينار،

---

1) وعنه قال العلامة المرحوم الأستاذ عبد الله بن العباس الجراري الرباطي: إنه ركب البحر لدى سنة 750 هـ راجعا من تونس، بعدما شحن أساطيله الستمائة بالأقوات، وكان الفصل فصل الشتاء، وأثر ما احتاجوا إلى الماء، فقصدوا مرسى بجاية، فمنعهم صاحبها (الحفصي) من الورود، وأوعز إلى سائر سواحله بطردهم، فلم يجدوا بدا من الإقلاع، ثم عصفت بهم الريح، وجاءهم الموج من كل مكان، وتكسرت الجفان، وغرق الكثير، وقذف الموج بأبي الحسن علي حجر قرب الساحل من بلاد ازواوة، عاري الجسد، وهو يشاهد مصارعهم إلى أن تداركه الله بجفن كان قد سلم، فبادر إليه أهله واحتملوه إلى مدينة الجزائر، ولما احتل بها، تمسك أهلها بطاعته. وقد أبان ـ المرحوم الجراري ـ بأنه هلك من كان معه من أعلام المغرب، وهم نحو: 400 عالم منهم، أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي، وأبو عبد الله محمد بن الصباغ المكناسي، والأستاذ أبو العباس الزواوي وغيرهم.. من تاريخه ج 3 ص: 81 ـ 82. وانظر في هذا أيضا الاستقصا ج 3 ص: 170 ـ 172.

2) انظر تاريخ الاستقصا... لأبي العباس أحمد الناصري، ج 175.

وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن، وحبس عليها رباعا كثيرة، ورتب فيها الفقهاء للتدرس وأجرى عليهم الإنفاق والكسوة، نفعه الله بقصده.(3)

4 ـ المدرسة الجديدة بمكناس.

وكان قد أمر قاضيه على المدينة أن يتولى الإشراف على بنائها، ولما تم البناء، جاء إليها من فاس ليقف عليها، ويرى عملها، وصنعتها، فقعد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها، ففرقها في الصهريج قبل أن يطالع ما فيها، وأنشد:

لا بأس بالغالي إذا قيل حسن
ليس لما قرت به العين ثمن(4)

وأما المدارس التي أنشأها ولده أبو عنان فارس، فهي:

1 ـ **المدرسة البوعنانية بفاس.**

2 ـ **مدرسة بحارة باب حسين**، من سلا، وقد حول إلى فندق.

وأما ما أسسه جده أبو سعيد، عثمان سنة 720 هـ في هذا الصدد، فهو:

1 ـ المدرسة التي بفاس الجديد، فبنيت أتقن بناء، وأحسنه، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم، وأجرى عليهم المرتبات، والمؤن في كل شهر، وحبس عليها الرباع والضياع، ابتغاء ثواب الله، ورغبة فيما عنده.(5)

2 ـ **المدرسة العظمى** بإزاء جامع القرويين بفاس.

وتعرف بمدرسة العطارين، وقد حضر أبو سعيد بنفسه في جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست، وشرع في بنائها بمحضره، فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول، بحيث لم يبن ملك قبله مثلها...(6)

ومما هو معلوم، أنه كانت هنالك كراسي علم، وقفت عليها أوقاف، تتناول تدريس مختلف ضروب المعرفة من تفسير وحديث وسيرة نبوية، وفقه ولغة عربية وبلاغة وغيرها، ضمانا لاستمرار أداء رسالتها... وقد تنسب بعض الكراسي منها لأفراد من كبار العلماء، مثل كرسي ابن غازي، وكرسي الونشريسي، وكرسي القيسي.(7)

ب ـ الرفع من مستوى حياة الموقوف عليهم من وجهة التنمية الفلاحية:

مما لا شك فيه، أن هناك كثيرا من الأراضي العارية الموقوفة على الغير، قد

---

3) الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى، ج: 3 ص: 111 ـ112.

4) الاسقصا في تاريخ المغرب الأقصى، ج: 3 ص: 176 ـ177.

5) نفس المصدر أعلاه ج 3 ص: 111.

6) المصدر السابق ج: 3 ص112.

7) انظر مجلة دعوة الحق العدد: 5، ص: 95 للأستاذ محمد المنوني وكذلك كتاب: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، للدكتور يوسف الكتاني ج ـ ص: 400 ـ410.

شجرت بمختلف أنواع الأشجار من أجل الانتفاع بغلاتها من طرف المحبس عليهم، إلا أنه يعوزنا ـ الآن ـ إعطاء إحصائية أو نماذج عنها، ولكنه يمكن الاسترشاد بما ورد من إحصاء في المخطط الثلاثي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب لسنوات: 1978 ـ 1980 ...

فقد جاء في هذا الإحصاء : أن الوزارة.. قامت بتشجير : 10,105 هكتار من أجل الاستفادة من غلاتها، كما قامت باستصلاح أرض شاشعة، تقدر بـ:9,356 هكتار، وها هي أسماء البلدان التي وقع فيها الاستصلاح والتشجير.(8)

أولا : بالنسبة لاستصلاح الأراضي :

1 ـ فاس : القرويين : 1700 هكتار، أحواز فاس: 830 هكتار، المارستان، 470 هكتار.

2 ـ وزان : 1100 هكتار.

3 ـ بني ملال، وأزيلال : 1060 هكتار.

4 ـ مكناس : 890 هكتار.

5 ـ مراكش الكبرى : 510 هكتار، والصغرى: 380 هكتار.

6 ـ منطقة بين صفرو وبولمان : 640 هكتار.

7 ـ تازة : 580 هكتار.

8 ـ الرشيدية : 630 هكتار.

9 ـ الصويرة : 400 هكتار.

10 ـ تارودانت : 120 هكتار.

11 ـ العرائش : 300 هكتار.

12 ـ القصر الكبير : 300 هكتار.

ثانيا ـ وبالنسبة للتشجير :

1 ـ الشاون : (الإقليم) 500 هكتار +400 هكتار = 900.

2 ـ زاكورة: 100 هكتار + 16 هكتار = 116.

3 ـ الحسيمة : 30 هكتارا.

4 ـ الرشيدية : 175 هكتار.

ج ـ الرفع من مستوى حياة الموقوف عليهم من وجهة التنمية العمرانية:

يمكن تناول التنمية العمرانية بالنسبة للأراضي الموقوفة في نطاق المخطط الثلاثي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لسنوات: 78 ـ 1980 في تجزئة الأراضي وتجهيزها، وبناء المؤسسات الدينية والمجتمعية، وبناء الأملاك ذات العائد.

ـ بالنسبة لتجزئة الأراضي وتجهيزها :

فقد قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتجزئة عدة أراض، وتجهيزها، توسعة على المواطنين في إيجاد أحياء سكنية وتخفيفا من الأزمة الخانقة بالسكان...

---

8) انظر خريطة استصلاح الأراضي وتشجيرها، كتاب الأوقاف في مواكبة مسيرة النماء، ص 82 ، لسنة 1398 هـ 1978 م

وتقدر الهكتارات التي جعلت في هذا السبيل بحوالي 642 هكتار موزعة على 28 بلدا...(9) **وفيما يلي أسماء البلدان التي وقدت فيها التجزئة مع محتواها من الهكتارات :**

1 ـ مراكش 200 هكتار.

2 ـ مولاي ادريس زرهون : 150 هكتار.

3 ـ سلا : 120 هكتار.

4 ـ مولاي بوسلهام : 35 هكتارا.

5 ـ القصر الكبير : 30 هكتارا.

6 ـ تازة : 17 هكتارا.

7 ـ بين إقليم تاونات وفاس : 15هكتارا.

8 ـ الشاون : 10 هكتارات.

9 ـ الحسيمة : 10 هكتارات.

10 ـ الناظور : 10 هكتارات.

11 ـ وجدة : 10 هكتارات.

12 ـ الرباط : 6 هكتارات.

13 ـ سطات : 6 هكتارات.

14 ـ وزان : 6 هكتارات.

15 ـ البيضاء : 4 هكتارات.

16 ـ تطوان : 4 هكتارات.

17 ـ تارودانت : هكتار.

18 ـ زاكورة : هكتاران.

19 ـ طنجة : هكتار.

20 ـ سيدي سليمان : هكتار.

21 ـ صفرو : هكتار.

22 ـ الجديدة : هكتار.

23 ـ بني ملال : هكتار.

ـ بالنسبة لبناء المؤسسات الدينية والمجتمعية:

أما بالنسبة لبناء هذه المؤسسات، فيمكن تناولها، بناء على الخريطة التي توضح مواقع البناء من خلال المخطط الثلاثي لوزارة الأوقاف(10) كما يلي:

المؤسسات الدينية (المساجد):

أوضحت الخريطة أن الأقاليم التي بنيت فيها هذه المؤسسات تعد بـ: 13 إقليما، وهي كما يلي:

1 ـ إقليم طنجة : مسجد.

2 ـ إقليم الحسيمة : مسجدان.

3 ـ إقليم الناضور : مسجد.

4 ـ إقليم وجدة : مسجد.

5 ـ إقليم تازة : مسجدان.

6 ـ إقليم تاونات : مسجدان.

7 ـ إقليم فاس وصفرو : 4 مساجد.

8 ـ إقليم بولمان : مسجدان.

9 ـ إقليم الخميسات : 3 مساجد.

10 ـ إقليم بنسليمان : مسجد.

11 ـ إقليم بني ملال : مسجدان.

12 ـ إقليم الرشيدية : مسجدان.

13 ـ إقليم تارودانت : مسجد.

---

9) انظر خريطة الأراضي وتجهيزها... خلال المخطط الثلاثي لوزارة الأوقاف 78 ـ 1980 في كتاب الأوقاف في مواكبة مسيرة النماء، ص: 155 إعداد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لسنة 1388 هـ/ 1978.

10) انظر كتاب : الأوقاف في مواكبة مسيرة النماء، أعلاه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص: 156 سنة 1398 هـ/ 1978م

المؤسسات المجتمعية :

وأما المؤسسات المجتمعية، فقد اكتفت الخريطة بمؤسستين:

1 ـ عبارة عن مركز ثقافي بطنجة.

2 ـ عبارة عن مأوى للمكفوفين بمراكش، ويقع هذا المأوى في مساحة هكتار من أجود أراضي الأوقاف بلغت قيمته : 350 مليون سنتيم...

ونعود إلى الكلام عن المؤسسات الدينية (المساجد) نظرا لما لها من أهمية كبرى في الحياة الإسلامية.

فهذه المؤسسات كانت وما تزال في ازدياد مستمر منذ عهود الإسلام الأولى إلى عصرنا هذا..

وإذا أردنا أن نعطي عنها نظرة قبل المخطط الثلاثي لـ: 1978 ـ 1980 لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فإننا نلاحظ أن المخطط الذي كان قبله مباشرة من 1973 ـ 1977 ، كان يعرف أهم المؤسسات الدينية... وقد خصص لبنائها في هذه الفترة اعتماد مالي قدره: 85.850.000.00 درهم رصد بشكل رئيسي لمشاريع ذات أهمية وطنية.

وقد قامت الوزارة في إطار ما خصص لها من اعتمادات بإنفاق ما قدره: 12.039.095,54 درهم لإنجاز المشاريع الآتية أو الشروع فيها:

- مسجد القاعدة الجوية بالقنيطرة.
- مسجد الطوبة بوجدة.
- مسجد الحي الجامعي بالرباط.
- مسجد محمد الخامس بطنجة.
- مسجد السلام بسلا
- مسجد بمدينة العيون.
- مسجد لبروفيل بالكابون
- مسجد بداكار، عاصمة السينغال.
- مسجد بنواكشوط، عاصمة موريطانيا.

إلى جانب إنجاز 77 مسجدا بمختلف أقاليم المملكة المغربية، وقد تطلبت اعتمادات مالية، قدرها: 22.109.151 درهم، كما أنها قامت بترميم وإصلاح عدة مساجد أخرى، بلغت تكاليفها 8.191.927 درهم.(11)

بناء الأملاك ذات العائد :

وقد استطاعت وزارة الأوقاف أن تستثمر أموالها في مشاريع هامة تعود بالنفع الجزيل على المواطنين ومن بين هذه المشاريع:

تشييد عمارات سكنية تشتمل على 308 دار، وعلى 103 متجر، وبناء 11 حماما، و3 أفران وطبقات خاصة بالمكاتب 45، وقاعتان للسينما، و3 متاجر، ومطعم.

وهذه الطبقات وما بعدها هي ما يدعى بالمركب التجاري المسمى بالأحباس في الدار البيضاء.

---

11) انظر الأوقاف في مواكبة مسيرة النماء ص: 85 ـ 86.

وقد أنشـىء بمقتضى اتفاقية أبـرمت بتاريخ 15 أبريل 1975 ، بين صنـدوق أبي ظبي لـلإنماء الاقتصادي العـربي، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميـة، حيث تعهد الصندوق بتمويل هذا المشروع فوق أرض تملكهـا وزارة الأوقـاف. بشـارع الجيـش الملكي بـالدار البيضـاء، مساحتهـا: 5.000 متر مـربع بـواسطـة قـرض طويـل المدى بدون فائدة.

ويشتمل المشروع على بناء ثـلاثة أبراج مسدسـة الزوايـا، ومسندة بنـواة رئيسية تضمـن صـلابـة المجمـع إزاء الـزلازل، وتتكون الأبراج الثـلاثة بالتتابـع من 20 و 14 و 11 طبقة أرضيـة، وطبقتين سفليين مخصصة كلها للمكاتب.

أما المطعـم فيشمل مسـاحة 1300 متر مـربـع، وأمـا قـاعتـا العـرض السينمائي فتتكون إحداهما من 330 مقعدا وثانيتهما من 430 مقعد، ممـا يجعل المجمـع برمتـه يتكون من 16000 متر مربع.

وقد كانت التقـديرات الأولية للمشروع، تبلغ: 830.000.000,00 درهـــم، في حين لم تتغير قيمة القرض المتفق عليه.(12)

ـ بنـاء أو المساهمة في بنـاء مساجـد بالخارج:

وقـد سـاهمت الأوقـــاف المغـربيـة في زخـرفـــة مسجـد النيلين (بــأم درمـان) بجمهـوريـــة السـودان، كما سـاهمت في زخـرفة المركـزين الإسـلاميين في كل مـن بروكسيل ببلجيكا، وجنيـف بسويسرا. مع تجهيز مسجـد سيول بكـوريا الجنـوبية، ومسجد لندن بـأنجلترا بمنبرين، يجسمان روعة الفن المغربي الأصيل.(13)

3 ـ آثـار الأوقاف من حيـث إسعاف الإنســان الموقـوف عليـــه بــالعــلاج أو إسعاف غيره من الحيوان والطيور:

أ ـ إسعاف المرضى من الإنسان :

من الغني عـن البيان، أن الأوقاف أدت أدوارا عظيمة في مكافحة كثير من الأمراض لدى الإنسان، وينفيها عنه أكثر من إنشاء مستشفيات، ومصحات ـ تخفـف عنه من بلوائهـا، سواء كانت تلـك المستشفيات، أو تلـك المصحـات، تتعلـق بعـلاج أمـراض عضوية،أو بعلاج أمراض نفسية أو عقلية.

فالبنسبة للامراض العضوية، قد أسس لها مستشفيات ومصحـات، وأرصدت لها أوقاف كثيرة، تجعلها تقوم بواجبها أحسن قيام، مـع تيسير الأطر التي تعنـى بعلاج المصابين، أو بالتخفيف عنهم مما يحسون به من آلام.

وبالنسبة للأمـراض النفسية أو العقلية أو العصبيـــة، تـدأب على معـــالجة كـــل الأمـراض المستعصية، ومحاربـة مختلـف العقـد التـي يمكـــن أن تكمـن في نفسيـة الإنسان، وتسيطر بالتالي على إدارته.

12) انظر : كتاب الأوقاف في مواكبة مسيرة النماء ص: 145.

13) انظر : نفس المرجع أعلاه ص: 86.

وهـــذه المستشفيـــــات العقليـــة أو البيماريستانات، قد عـرفها العالم العربي في أبعد عصوره، ومن بينـه: المغرب، فقد أنشئـت فيــه هـذه البيماريستـانــات، وخصصـت لها أوقــاف تجعلها تقــوم بمهامها أحسن قيام.

ويرجع إنشاء البيمارستانات في المغرب إلى عهـد الدولـة الموحديـة التي بـرزت في غضون القـرن 6 الهجري، وقـد استمرت هـذه البيماريستانـات حتـى آخـر الدولـة المرينيـة، وكان العهـد المريني زاخـرا بهذه المصحات، وملوكه يتنـافسون في كل أنواع البر والإحسان.

فقـد أورد الـدكتـــور عبـد الهادي التازي(14) أنه كان للسلطـان أبي الحسن المريني فضل تجديد الماريستـان في مدينة، فـاس، واقتفـى أثره السلطـان أبـو عنـان المرينـي في العنـاية بـه، والتحبيـس عليـه، فكان قـدوة لعدد مـن المحسنين والموسرين الـــذيـــن أشفقــت قلــوبهم على الأسرى والمنكـوبين، فقـدمــوا العطـاءات الجزيلـة المتوالية، فلم تمر مدة حتى كان للمارستان نظارة على حدة، تتعهـد المصابين والمتعبين بأمراض نفسية، والمحرومين والغرباء.

وممـا تجدر ملاحظتـه، أن إنشاء هـذه البيماريستـانات غـالبـا مـا يكون خـارج المدينة بعيدا عن الناس، بينما المستشفيات، التي تتعلق بـالأمراض العضوية، غـالبا ما تكون في المدينـة إلا أن البيماريستانـات لا تقـل جـودة وإتقـانــا وحسنــا عــن المستشفيات، وقـد تكثر هـذه المستشفيات والبيماريستـانـات، أو تقل حسـب أهميـة البلد، ومكانته العلمية والإدارية، وقد كانت فاس، ومـراكش من بين البلـدان المشهورة بهذه المصحات، ويعـرف منها الآن بفـاس سيدي فرج الكـائن بالعطارين عنـد سوق الحنـاء، ولم يكن هـذا المستشفـى خاصـا بالإنسـان، بل كـان يشمل حتـى الحيوان والطير، ومن بين الطيور التي كـانت تعالج فيه طيور اللقلاق، ويسمى عندنا بالدارجة (بلأرج)، وكـانت لـه أوقاف خـاصة بـه، أضـف إلى ذلـك، أنـه كانـت فيـه أوقـاف خـاصـة بـالموسيقيين الـذيـن يعـزفـون للمرضى كل أسبـوع ليخففوا عنهم الآلام، كما كان ينفق من أوقافـه ما يتطلبه غسل الموتى الغرباء، وتكفينهم وإقبارهم.

ومن بين المدن المغـربية التـي اشتهرت بهذه البيماريستانـات مراكش ـ الـرباط ـ سلا ـ مكناس ـ تازة ـ وآسفي.

أمـا مراكـش، فكــان بماريستـــانها. بالطـالعة مـا بين حومـة سيدي إسحـاق وازبـرط، وحـارة السورة، وقـد حـول إلى مصنع للنجارة منذ مدة.

وأمـا الربـاط، فقـد كان بماريستـانها قرب سوق الصباط ما بين مطبعة المعارف ومدارس محمـد الخامس، وقـد تحول إلى دار القرآن، وينسب هـذا البيماريستان إلى السلطان المريني عبد العزيز الأول...

---

14) في كتابه القيم: جامع القرويين ج 2 ص:457.

وأما سلا، فقد كـان بيماريستانها قرب فنـدق أسكور في حـي باب حسين، وكـان يعالج المرضى والمعتوهين.

وأمـا مكنـاس، فقـد كـان يعـرف بيماريستانها في حي الحمام الجديد.

وأما تـازة، فقد كان يعرف مستشفـاها بمستشفى أبي عنان..

وأمـا آسفي، فيقـول عـن مستشفاهـا لسان الـدين بـن الخطيب، أنـه يرجـح أن يكون مـن تأسيـس أبي عنان، وقـد دمره الغزو البرتغالي بصفة نهائية.

ب ـ إسعاف المصابين من الحيـوان والطير:

إن الـواقفين لم يقتصروا في وقـف أمـوالهم على إسعـاف الإنسـان فحسـب، وإنما زادوا فـوقفوا أمـوالهم على إسعـاف المصابين من الحيوان والطيور على اختلاف أشكالها، وتباين أجناسها.

ويتعهـد الأطباء البيطـريـون بعلاجهـا وإسعـافها عنـدما تصـاب بمرض مـا أو تنكسر أضلاعها، أو أجنحتهـا، بل أحيطت بمـزيـد مـن الرعـايـة والاهتمام، بصفـة ملحوظـة، حتى في توفير القـوت لها، حيث خصـص ريـع عدد مـن الفـداديـن لشراء الحبـوب لتغذيتهـا، ولتغـذيـة الحيوانـات العجماء، التي لاتملك التعبير عن حاجاتها.

بالإضافة إلى ذلك، جعلت ثقب كثيرة في أسوار المدينـة وغيرها مـن أجل تسـاكنها وتوالدها.

4 ـ آثار الأوقاف من حيث الدفاع عن الوطن مما يتهدده من مصائب:

مما لاريب فيه، أن الأوقاف العامة كان لها دورها الأكبر في الدفاع عـن الوطن مما يتهدده مـن ويلات، خاصـة عندمـا تكون الدولـة في حاجة إلى الأمـوال... ولهذا نجد الأوقـاف تسهـم بحـظ وافـر في تجهيـز الجيـوش، وشراء الأسلحـة والمعـدات الحربية، وهكـذا نجد التـاريخ يحدثنـا أن المنصور السعدي استعان بأموال الأوقاف لتسيير حملـة عسكريـة لقمع تمرد نشب داخل البلاد، وقـد بلغت تكـاليف ذلـك: ثمانين ألف دينار.(15)

ولا يفـوتنـا بهذه المناسبـة، أن نـذكـر بمسـاهمة الأوقـاف في حـدث المسيرة الخضراء، تلكـم المسيرة الخالـدة المظفـرة، التي استرجع المغرب صحراءه على إثرها.

فقد غذتها الأوقـاف بما لايقل عن 205 من العلماء والوعاظ والمرشدين كما طبعت المصاحف القرآنية التـي جعلها المتطوعون سلاحهم الـوحيد. من أجل مـا سبق ذكره عـن الأوقـاف، يتجلى لنا مـالها مـن آثـار جليلة في الحياة المجتمعية، واعتبرت ـ بحق ـ أداة صادقة للضمان المجتمعي...

وهكذا عرف الإسلام الضمان المجتمعي على أوسـع نطـاق، ونـادى إليـه في أكمـل صوره، وفي أرقى مظاهـره، قبل أن يعرفه الغرب منذ عدة قرون..

---

15) انظر كتاب : جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي ج 2 ص 476 وكذلك كتاب: الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى ج ص: 160.

وأختم هـذا البحث بالقصيدة الشعـرية التي جادت بها قريحة العلامة الأديب عميد كليـة الشريعـة بفـاس، ورئيـس المجلـس العلمي بها الحاج أحمد ابـن شقرون حين قال:

أصخ تـدر ما أسدى أخ الذوق مـن جدا
وفي حبـس يستحســن السبـق للخير
إذا عطـب اللقلاق يـومـا، فإنـه
بمال من الأوقاف يجبر من كسر
وإن لم تجد أنثى مكانا لعرسها
فدار من الأوقاف تنقـذ من فقر
وإن لم تجد عقـدا لجيد، فـإنـه
يعار من الأوقاف، يوصل للخدر
وإن جن مجنـون، فإن عـلاجه
بمال من الأوقـاف يصرف للغير
تعالج موسيقى دماغا من الأذى
بها يعزف الفنان مبتسم الثغور
وقـد وقفـوا جبر الأواني، ربما
يهشمها طفـل، فتقطع مـن أجر
ولكن بمال الوقف يـأخذ غيرها
بلا عوض منه، فيسلم من خسر
وقد وقفوا دار الـوضوء لنسوة
يـردن صلاة في حيـاء وفي ستر
وقد وقفـوا وقفا يخص مـؤذنا
يؤذن للمرضى، بعيدا من الفجر
ليكشف عنهـم من كثافة غـربة
حجاب ظـلام الليل، والسقـم والوتـر
مبرات أوقـاف الألى قصـدوا إلى
معان مـن الإحسان جلـت عن لحصر

ومجمل القول: إن للأوقاف الإسلامية بـالمغـرب، أثرا كبيرا في الحيـاة المجتمعيـة استطاعت أن تؤدي خدمات جلى لكثير من المحتـاجين والمعوزيـن، والأيتام، والأرامـل، والزمنى والمقعدين وغيرهم.

وحتى لا أطيـل في الكلام، أذكـر بقول مولانا رسول الله ﷺ:

«نضر الله امرءا سمع مقالتي، فوعاها، فأداهـا كما سمعها، فرب مبلغ أوعـى من سامع، وحامل فقه إلى من هو أفقه منه».

ونظـرا لما لهذه المنقبـة الكبرى، وهـذه المكرمـة العظمى، لمن يسمع كـلام رسول اللـه ﷺ وعلى آلـه وسلم فيعيـه، ويبلغـه لغيره كما سمعه، فإني أعود فـأذكر بقول النبي الكريم:

«إذا مات الإنسان انقطـع عمله إلا من ثلاثة أشياء: صدقـة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صـالح يدعو له».

الرباط ـ السعيد بوركبة

المغرب قلعة حصينة في وجه الاستعمار والصليبية

للأستاذ مولاي مصطفى بن أحمد العلوي
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بمكناس

في عدد سابق من المجلة العزيزة «دعوة الحق»، تحدثت عن موقف المغرب شعبا وقيادة في وجه الصليبية والاستعمار لعدة قرون، خصوصا بعد وقعة وادي المخازن الشهيرة، والتي انهزمت فيها الصليبية الحاقدة، وقتل فيها ثلاثة ملوك، وعنها بدأ اليأس يساور الصليبيين من غزو المغرب، وسلخ سكانه من عقيدتهم ودينهم الإسلام، بعد زهاء ألف سنة من تاريخ الحضور الإسلامي بالمغرب، منهجا للحياة بكل جوانبها، طاعة لله وحبا في دينه، وامتثالا لكتابه العزيز القرآن الكريم، واهتداء بهديه في جميع شؤونه، عقيدة وعبادة وسلوكا ومعاملة. مصداقا لقوله تعالى:

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات﴾، وقوله تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**.

وقوله سبحانه: **﴿فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾**.

وهكذا وقف المغاربة في وجه الصليبية التي كانت تزحف على الثغور الشاطئية قصد غزوها عسكريا، والتحكم فيها، ولكنها كانت دائما تصطدم فيها بمقاومة قوية في جميع الأماكن والأزمان، الأمر الذي أكسب الشباب المغربي منعة، والبلاد حصانة من الغزو لعدة قرون، بعد انتهاء الوجود الإسلامي في الجارة الأندلس العزيزة، والتي خلف الوجود الإسلامي في ربوعها آثارا إلى نهاية القرن التاسع، أي أزيد من سبعة قرون، ولا تزال مآثرها شاهدة على ما بلغته الحضارة العربية الإسلامية في تلك الربوع التي دخلها الإسلام عن طريق المغرب العزيز منذ القرن الثاني للهجرة المحمدية، وبقيادة رجل المغرب طارق بن زياد، والذي خلد اسمه على أقرب جبل من المغرب العزيز،

الذي هو الحارس على المضيق الفاصل بين التراب المغربي في طنجة والأندلس السليبة، فسمي «جبل طارق».

لقد ظل الصليبيون يتزايد حقدهم على ثبات شعوب شمال إفريقيا على إسلامهم إلى أن بدأ الضعف يبدو على الخلافة العثمانية التي كانت الجزائر وتونس من مشمولاتها. فزحف الفرنسيون على ولاية الجزائر سنة 1830 ميلادية، واحتلوا الولاية من حدود تونس إلى حدود المغرب، وقال قائدهم وهو يرفع الراية الفرنسية على صومعة أحد مساجد العاصمة الجزائرية.. قال: «الآن انتصر الصليب على الهلال» ذاك ما زعمه واعتقده، وقد ظل قومه وهم الصليبيون الحاقدون يعملون على سلخ السكان عن عروبتهم ودينهم الإسلام، وبكل الوسائل، وفي مقدمتها اللغة، فقد فرضوا التعليم باللغة الفرنسية، وهمشوا اللغة العربية وحذفوها كلية من التعامل بالإدارة، وسائر أنواع التعامل، ولا يخفى أن ذلك أشد أنواع المكر في محاربة مميزات البلد وسكانها، فانتقال المجتمع من التعامل بلغة إلى لغة أخرى يبعدهم عن كل خصائصهم في السلوك والأخلاق وكل مميزاتهم. فأهم مؤثر في أي مجتمع هو اللغة، خصوصا إذا فرضت في كل مستويات التعليم والتربية وسائر المعاملات، ثم اكتسحوا بعد ذلك ولاية تونس سنة 1880 م، ولكن تحت مظلة الحماية، وباسم إدخال النظام، ومساعدة الإقليم على الدخول في نطاق النظم، العصرية والتقدم، وفرضت أيضا لغة المحتلين ونظمهم وسائر مميزاتهم.

وبعد نحو ثلث قرن من تاريخ بسط النفوذ العسكري والسياسي باسم الحماية على الشقيقة تونس، جاء دور المغرب الأقصى فبدأ الزحف في هاته الفترة سنة 1900 م.

ولم تمض عشر سنوات حتى تمت عدة اتفاقات بين دول الغرب الصليبية على احتلال المغرب بأية صفة، وبما يقتضيه الحال، وبعد مؤتمر الجزيرة الخضراء قريبا من جبل طارق، اضطر المغرب إلى قبول الحماية الفرنسية ببعض الشروط، والتي أخل بها الحامون منذ البداية، لكن عقد الحماية، لم يؤثر على الشعب المغربي ولا على ملكه الذي أمضاه مكرها، فالملك عبد الحفيظ سرعان ما بدأ يعارض مخالفة شروط الحماية التي من أهمها: أن الحماة لايباشرون الحكم المباشر، ولا يتدخلون في الشؤون الدينية. وانتهى به الأمر إلى التخلي عن العرش، وترشيح أخيه يوسف رحمهما الله.

أما الشعب، فإنه استمر يقاوم، ولم يبسط الحماة سلطتهم على أية بقعة أو قبيلة في المغرب ـ شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ـ إلا بالحروب، واستعمال القوة،

الأمـر الـذي أذاق المحتلين مـرائر الحروب التـي استمرت أزيـد مـن ثلـث قرن مـن 1901 م إلى1934 م.

وقـد كتبوا عـن حروبهم هـاته لبسـط الحماية على أطراف البلاد، وسجلوا أسماء المئات من ضبـاطهـم وجنـودهم الـذيـن سقطوا في ميادين القتال، وتـركوا أزيد من مـائة نصـب تذكـاري في مختلـف أنحـاء البلاد، وقد قسموا المغـرب إلى عدة أقسام عملا بالحكمة المشهورة، والتي أوصى بها أحد زعماء الصليبيـة «فرق تسـد»، وذلك على غـرار مـا فعلوه فيما سمـوه بتقسيـم تركة الرجل المريض، وهم يقصدون يومئذ الخلافـة العثمانية في عهـد آخـر خلفائهـا المرحوم عبد الحميد، الذي سـاوموه ماديا بالتخلي عـن بلاد الشام، قصد منـح جزء منها للصهـاينة «فلسطين» فـأبى وامتنـع قـائلا: إن بـلاد المسلمين ليسـت ملكـي الخاص، أو كما قـال رحمه اللـه، وفعـلا طبقوا مؤامرتهم بتحريـك النعرات القومية بين أقطـار الشرق الأوسـط، ممـا سجلـه التاريـخ، وتمزق به ذلـك الجزء الكبير من الخلافـــة العثمانيـة، والتـــي ظهـر أثـر الصليبيين فيـه بسيطـرتهم على كثير مـن بلاد العروبة والإسلام.

أما في المغرب فقد جـزؤوه إلى مقاطعات سبع، ومنحت أجزاء منه لاسبانيا، وأعطي لكل جزء اسم خـاص، وصفة خاصة، كما سلف توضيحـه في مقال سابق، وبـالرغم من كـل ذلك، فإن الصليبيين المستعمـرين لم يـذوقوا طعـم الـراحة كما يقـال في أي جـزء مـن أجزاء المغـرب الأقصـى مـدة استيـلائهـم عليـه، فما إن أتموا الغـــزو العسكري، وطبقـوا الحكم المبـاشر على كل الأجزاء، حتى بـدأ شكل آخر من المقـاومة. فقبيل انتهـاء المقاومة العسكريـة التي أبلى فيها أبطـال المغرب وقادته البـلاء الحسن حتى ظهـر في سياسة المحتلين نوع جـديد مـن المكـر والكيـد، ذلـك هـو التقسيـم العنصري القبلي، فتجلى ذلـــك في الظهير البربري الذي صدر عام 1930م والذي يثير نـوعـا من العنصريـة القبليـة بين سكـان المغرب المسلمين والذين امتزجوا بشريا بعد أن ربطهـم الإسـلام الحنيـف بعقيـدة التوحيـد والعبادة والمعـاملة طـاعة للـه في كتابـه المبين وسنة رسـوله الأمين، وظلـوا مستمسكين بهاته الـوحدة أزيد من ثـلاثة عشر قرنا (1300 سنة)، عمـلا بقول اللـه تعالى لرسوله: ﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليـك، إنـك على صراط مستقيـم، وإنـه لذكر لك ولقومك، وسوف تسألون**﴾.

وفعلا، فقـد قاوم الشعب المغـربي بكل شرائحه هذا الكيد وهـذا المكر الصادر عن تـآمر على وحـدة الشعب والأمـة، فقامـت المظاهـرات، وكان رد الفعل عنيفا مـن لدن الحماة الطغـاة، فتمت المحـاكمات والنفـي

والتشريد، ولكن ذلك لم يزد الشعب المسلم إلا تمسكا بعقيدته وشريعته.

ونتج عن ذلك تكوين جماعة سياسية لها رجال من مختلف القبائل، عرفت بكتلة العمل الوطني، وأصبحت تخاطب الحاكمين الصليبيين في المناسبات، وتطالب بوضع حد للتصرفات التي ليست في صالح الأمة المسلمة: فكانت المطالب المستعجلة في عام 1934 م، وهي السنة التي انتهى فيها زحفهم على آخر المعاقل للمقاومة بالأطلس الصغير في تخوم الصحراء المغربية بالجنوب.

وهكذا، لم ينقطع أمر المقاومة العسكرية حتى نشأت المقاومة السياسة، التي تطورت بتشكيل الحزب الوطني، والحركة القومية، بزعامة كل من الأستاذين علال الفاسي، ومحمد حسن الوزاني وذلك سنة 1936 م، ولم يمهلهما الحاكمون لحظة حتى أبعد بعض زعماء الحزبين، وقامت المظاهرات والاعتقالات، وأبعد علال إلى الكابون، ومحمد حسن الوزاني إلى قرية بالأطلس المتوسط حيث عاش تحت الإقامة الإجبارية عدة سنوات.

وتطورت الأحداث، وقامت الحرب العالمية الثانية، وانعقد مؤتمر الحلفاء بالدار البيضاء، وحضره ملك المغرب محمد الخامس طيب الله ثراه إلى جانب زعماء بريطانيا وأميريكا وفرنسا سنة 1943 م،

وفي نهاية السنة، أعد رجال المقاومة السياسية الناشئة عريضة المطالبة باستقلال المغرب وإنهاء الحماية، وذلك باتفاق سري مع الملك المجاهد محمد الخامس قدس الله روحه، وقدمت له وللمقيم الفرنسي وبعض قناصل الدول الأخرى، وكان رد الفعل الصليبي عنيفا أيضا على هاته الحركة رغم ظروف الحرب، ولكنها كانت منطلقا من محاولة إصلاح إلى إنهاء الحرب العالمية.

وكانت زيارة الملك لطنجة سنة 1947 م، ولفرنسا 1950 م، ثم انفجر الوضع في 1953 م، الذي تسبب في إنهاء الحماية سنة 1955 م، بعد ثوران الشعب بجميع فئاته عندما اعتدي على رمز سيادته وعرشه محمد الخامس، وخضع الخصم وانصاع للتفاوض على أساس رجوع ملك الأمة الشرعي والاعتراف بالاستقلال، حيث أصبحنا أحرارا في اتخاذ المواقف، واختيار الآراء، التي نراها صوابا في مختلف المسائل التي تتعلق ببلدنا، وتعرض لمجتمعنا، ولله الحمد.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

الرباط ـ مولاي مصطفى بن احمد العلوي

عناية الملوك العلويين بسوس والصحراء

للأستاذ
الحسين
وكاك
رئيس
المجلس
العلمي
الإقليمي
بتزنيت

عناية الملوك العلويين بالمغرب معروفة ومشهورة، فجهادهم لصالح أقاليمه ووحدة ترابه مشكور ومذكور، والسبب في ذلك يرجع إلى تشبتهم بأسلوب البيعة الذي هو الأسلوب الإسلامي المجرب في الحياة. فالتزامهم بهذا الأسلوب جعلهم يهتمون بالوطن والمواطنين، ويبذلون جهودا متواصلة لحمايته ووحدته، وإسعاد سكانه، فكل من قرأ تاريخهم، وتصفح أعمالهم، يعرف العجب العجاب من أمرهم، ويدرك أنهم اختيروا من الله لهذا الشعب حتى يعيش دائما سعيدا مومنا بربه، محبا للشرف وأهله، مقدرا للعلم وفضله، مضحيا بالنفس والنفيس في سبيل عزته وسيادته.

فبفضل جهادهم المتواصل، ويقظتهم المستمرة، توحد هذه الوحدة الممتازة في أسلوبه الوطني والديني، وأصبح ذلك الشعب الذي أكرمه الله بإحساس مرهف، ووعي ذكي، وإقبال فريد على المكرمات، بحيث لا يقبل أن تنفصم عروته، ولا يتحمل أن تهان كرامته، ولا أن تمزق وحدته، لأنه تعلم من دينه ومن مدرسة نبيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، أن النجاح في الحياة منحصر في الاعتصام بحبل الله، والطاعة لأمراء المومنين الذين يقدرون المسؤولية حق قدرها، وينتظرون الجزاء من الله الذي يعين الحماة المخلصين، وينصر القادة الذين يترجمون لشعوبهم بأعمالهم

اليومية، وتنقلاتهم التفقدية، وتضحياتهم المثالية، ورسائلهم التوجيهية، تعاليم المدرسة النبوية التي تبعد الوهن عن النفوس، وتركز الوحدة في القلوب، وتجمع شمل المسلمين، وتوحد صفوف المومنين، وتمكنهم من أعدائهم المتربصين.

وإذا كانت زيارة مولانا أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله لمدينتي: «السمارة» و«أسا»، قد أوحت إلي بإلقاء نظرة عجلى حول عناية الملوك العلويين بالصحراء المغربية، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو ذلك العمل الوطني الهائل الذي أنجز في عهد المولى إسماعيل رحمه الله في إطار تلك العناية بالصحراء المغربية، وبمدينة «السمارة» بالخصوص، ويتعلق الأمر بالرسوم العدلية الثلاثة التي عثر عليها بعض الباحثين أيام عرض ملف الصحراء المغربية على محكمة العدل الدولية بلاهاي.

فالرسم الأول منها: يتعلق بما أنجزه السيد أحمد الصنهاجي عامل السلطان المولى إسماعيل على الصحراء، من تنظيم البريد بين الداخلة والعيون والسمارة بواسطة الجمال العشرية المعروفة عندهم، والتي أهدى نوعا منها قبائل «أسا» لمولانا الحسن الثاني نصره الله.

أما الرسم الثاني: فيتحدث عن قيام عامل المولى إسماعيل بشراء مكان لبناء «السمارة» من القبائل المالكة للأرض، والتي يوجد بعضها مقيما في أراضي هشتوكة بسوس، وهذا الرسم مخاطب عليه من طرف قاضي تارودانت.

أما الرسم الثالث: فهو يسجل دعوة عامل السلطان المولى إسماعيل جميع القواد التابعين له بالصحراء ليحضروا في عملية تجديد دار المغرب الموجودة بالضفة الشمالية لوادي السنيغال، والتي أسسها المنصور الذهبي رحمه الله.

وإن دل هذا شيء، فإنما يدل على العناية التي تعطى لشؤون الصحراء منذ القديم من طرف ملوك المغرب، فقد شاء الله أن يعيد التاريخ نفسه، وأن تمكن الأقدار مولانا الحسن الثاني من تحمل المسؤولية العظمى في قيادة المغرب نحو العزة والوحدة، اقتداء بآبائه وأجداده، الذين أدوا الأمانة، وأخلصوا دينهم لله، وحافظوا على وحدة الوطن واستقلاله، وبذلوا النفس والنفيس في سبيل تقويته وإعلاء شأن سكانه.

لقد أبى — أعزه الله — إلا أن يكون عرشه فوق ظهر جواده مثلما كان عليه جده المولى الحسن الأول رحمه الله، وأن يتفقد شؤون الوطن باستمرار وإخلاص، وأن يعمل المستحيل في سبيل وحدته، وتركيز دولته وتنمية موارده، برورا من جلالته بعهد الله، وإنجازا لما وعد به أمام

والده محمد الخامس طيب الله ثراه، من خدمة وطنه، وإعلاء كلمته، وجعله في المستوى الذي يليق به بين الناس أجمعين.

وإذا كانت الأسباب التي جعلت المولى الحسن الأول رحمه الله يقوم بزيارتيه التاريخيتين لسوس والصحراء هي نفس الأسباب التي جعلت مولانا الحسن الثاني أعزه الله يخصص لهما اهتماما بالغا، وعناية فائقة، ويفرد مدينتي «السمارة» و«أسا» بزيارة خاصة، فإن النجاح سيكون إن شاء الله من نصيب الثاني، كما كان من نصيب الأول، لأن كلا منهما يقدر المسؤولية حق قدرها، ويعد للأمر عدته، ويستعمل الأسلوب الموصل للغاية، والمحقق لمدلول البيعة التي تلزم المبايعين ـ كسرا ـ بالوفاء والولاء والمبايعين ـ فتحا ـ بالذود والحماية، ويدعو الطرفين إلى التعاون الحق والمستمر، والعمل المتواصل لتأليف القلوب، وتوحيد الصفوف، وجمع الشمل، وإصلاح ما أفسده المغرضون، ومن فضل الله على الشعب المغربي أن اختار أسلوب البيعة لتدبير شؤونه، وتنظيم أموره، هذا الأسلوب الذي حماه ويحميه من التمزق والضياع، ومكنه ويمكنه من قادة مخلصين عبر عصور تاريخه المجيد، هذا الأسلوب الذي جعل ملوكه ملتزمين دائما بالدفاع عن عنصرين اثنين: عنصر السيادة والحدود والمكتسبات، وعنصر الملة والدين والمروءة والأخلاق، لأنهم يلقبون شعبيا ودستوريا بأمراء المومنين، ولأنهم يراعون شؤون الإمارة، ويحافظون على شؤون الإيمان حتى تتعادل الكفتان، وتسير الدولة في نظام وانتظام، محافظة على دنياها، ومهتمة بأمر دينها، وهذا الواجب المزدوج هو الذي جعل ملوكه يسهرون على الدين، كما يسهرون على الدنيا، ليبقى المغرب كما كان دائما بلد الإسلام والفضيلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

والالتزام بمدلول البيعة، هو الذي جعل من المولى الحسن الأول ذلك الملك المجاهد والمجدد لدين الله، فمنذ أن استخلف، لم تشغله ــ كما قال فيه أبو عبد الله أكنسوس ــ شؤون الخلافة المترادفة آناء الليل وأطراف النهار، ولا ما في قصوره السلطانية من الحدائق والأزهار عن وظائف الدين وأسباب اليقين، وأنه يجد لها في خلواته لذة وحلاوة.

فقد دعاه الواجب إلى زيارة سوس والصحراء سنة 1399هـ، بسبب ما يحاوله الجيش الإسباني إذذاك، من تملك بعض المراسي هناك، بعد انعقاد الهدنة معه عقب حرب تطوان. ورغم بعد عهد السوسيين والصحراويين بإجراء الأحكام السلطانية فيما بينهم على مقتضياتها ـ كما يقول المؤرخون ـ فقد وجدهم على

أحسن الأحوال، الشيء الذي مكنه من أن يطيل مقامه بينهم، بحيث نزل أولا في ضواحي (زاوية كلو)، وقضى فيها يوما كاملا، ثم انتقل إلى (امزاورو) قرب مدشر (زاوية سيدي عبد الرحمان) بنفس القبيلة، وأقام فيها سبعة أيام، استقبل خلالها الأشراف والفقهاء والمرابطين والأعيان والأشياخ، وأصلح دار المخزن بتزنيت، وعين القضاة والعمال، وكلف خليفته باتخاذ مرسى للوسق والوضع في (أساكا) بأيت باعمران، وتفقد رعاياه المخلصين في وادي نول وصحراء كلميم، وقد عبر عن مظاهر الطاعة والولاء والإخلاص والتعلق بالعرش العلوي المجيد التي أظهرتها القبائل في الكتاب الذي بعثه لولاة المغرب والذي يقول فيه:

«هذا وقد نصبنا قائدا من قواد جيشنا السعيد، مختارا من ذوي الرأي السديد، وأقمناه بقصبة تزنيت محل المخزن في القديم، بقصد أن يكون إعانة لسائر عمال القطر السوسي من وادي الغاس إلى منتهى وادي نول وكلميم، يتفاوضون معه فيما عسى أن يعرض لهم من المهمات، ولا سيما إذا كان المخزن بعيدا عن هذه الشرفات بعدما عرفناهم بأنا أقمناه مشرفا للتفاوض معه، وبصيرة على ما قصدنا من فتح تلك المرسى، إيثارا للنعمى، ودفعا للبؤسى».

وقد أبى جلالته إلا أن يعيد الكرة مرة أخرى، ويزور «سوس» وما وراءها من عرب معقل وسائر قبائل الصحراء في سنة 1302هـ، حينما سمع أن بعض التجار الأوربيين قام بتسور على مرسى طرفاية، ووصل يده في البيع والشراء ببعض القبائل، قاصدا البناء بالمحل المذكور.

وقد شاهد خلال زيارته الثانية هذه في سوس والصحراء من مظاهر الترحيب والطاعة والإخلاص والولاء ما عجز عنه الواصفون، وقد دعاه تعلق القبائل بجلالته، وتشبثهم بعرشه وتعبيدهم لكافة الطرق لسلوك الجيش السعيد أن تجاوز إلى صحراء كلميم، حيث وفدت عليه هناك أشياخ عرب معقل وكبراؤها، خاضعين مطيعين فرحين بمقدم السلطان ووطئه بلادهم، حتى أنهم قد اتخذوا موضع خبائه الذي كان مضروبا به مزارا يتبركون به إلى الآن، إذ لم يكونوا هم ولا آباؤهم من قبل رأوا سلطانا بأرضهم، ولا سمعوا بوصوله إليها، وأجروا خيولهم وأبلهم بمحضره، ولعبوا عليها بالبارود، إذ عادة عرب الصحراء أن يتسابقوا على الإبل كما يتسابقون على الخيل. (1)

1) الاستقصاء : ج 7 ، ص : 171.

وقد استطاع جلالته خلال هذه الزيارة، وبعون الله عز وجل أن يطهر الشواطىء الصحراوية من الدخلاء، ويغير ما أحدثوه في مرسى طرفاية، وينظم مرسى أساكا، ويرتب الحاميات، ويرفع رايات الأمن في القبائل والطرقات، ويجدد الدين والمروءات، ويعمم الخير والبركات، وينشر الفضائل والمكرمات، ويعلي منار العدل والحريات.

وبهذا الجهد المبذول، والعمل الموصول من المولى الحسن الأول، ربطت أطراف المغرب برباط الإخاء والإسلام، وعبدت طرق الهداية والسلام، وحبب إلى القبائل التغني بأمجاد العرش العلوي المجيد، والإقبال على الأخوة والتعاون والتآزر والجهاد على الدوام، ووحدت الأنظار والحضارات، وركزت القيم والأصالات.

وعلى هذا المنوال، سار أولاده وأحفاده من بعده، وخاصة مولانا محمدا الخامس طيب الله ثراه، ووارث سره مولانا الحسن الثاني نصره الله؛ فكل واحد منهم حافظ على العهد بالأسلوب المناسب لعصره، واعتبر الوحدة الوطنية أمانة في عنقه، وقاوم المغرضين والمرجفين بما يراه مفيدا في حماية دينه ووطنه، وناهيك بمحمد الخامس طيب الله ثراه الذي ضحى بعرشه وفلذات أكباده في سبيل حرية المغرب واستقلاله، وأعظم بمدرسته التي تخرج منها الحسن الثاني الذي يستظل الوطن اليوم بظله، ويعتز بإنجازاته ومسيراته، هذا الملك الذي ضرب الرقم القياسي في زياراته وتفقداته، وخصص لأقاليم سوس والصحراء وحدها ما يركز الوحدة الوطنية التي هي الشغل الشاغل لآبائه وأجداده، ويذكر السكان بتنقلات جده المولى الحسن الأول، الذي عرف عنه أن عرشه على ظهر جواده، وأن حب المغرب احتل شغاف قلبه، وآلى إلا أن يموت مجاهدا في سبيل وحدته، وتجديد دينه، وحضارته.

لقد حقق الله في الحسن الثاني ما تمناه والده محمد الخامس في وصيته حين قال له رضوان الله عليه:

«فكن ياولدي خير خلف لخير سلف، وليكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته أمرا يقتضيه منك شرف المسؤولية، وتفرضه عليك تقاليد الأسرة في آن واحد».

إن شرف المسؤولية، والالتزام بمدلول البيعة، هو الذي جعل الحسن الثاني لا يعرف الخلود إلى الراحة، ولا يفكر إلا في المغرب وعظمته ووحدة أراضيه، وعزة سكانه، وتجديد دينه بهمة لا تعرف الملل، وعزيمة لا يتطرق إليها الكسل، لقد أشرب في قلبه حب المغرب، وقرر أن يصل سواد ليله ببياض نهاره في العمل على نفعه،

والسعي في جلب الخير إليه، فتراه يتنقل داخلا وخارجا في سبيل خدمته وحمايته، مضحيا بالنفس والنفيس في سبيل وحدته وإسعاده.

فمنذ أن ولاه الله مقاليد هذه الأمة، التزم بحفظ الدين، وحمى حرية المواطنين، ودافع عن مصالح العرب والمسلمين، وبذل كل الجهود ليكون عند حسن ظن والده، وليعمل على تتميم رسالة أسلافه في المحافظة على الأمانة، والدفاع عن الأصالة، واتباع السنة والديانة، وتكريم الإنسان بالشورى والديمقراطية، أخلص لنصيحة والده، فبقي مشغول البال بجمع شمل الوطن وتحرير أجزائه، وتقوية مركزه، وتنظيم شؤونه، وبناء مصالحه وتحصين ثغوره، واسترجاع مراسيه، والتنقل بين أطرافه وأقاليمه، مقتديا بجده المولى الحسن الأول الذي كابد ما كابد في حله وترحاله، وقاسى ما قاسى في تحرير شواطئه وصحرائه.

وإذا كان المولى الحسن الأول قد سور تزنيت التي تعتبر المركز المخزني منذ القديم، وأصلح فيها دار المخزن، وعين فيها واليا يشرف على أقاليم الصحراء. وإذا كان محمد الخامس رائد الاستقلال طيب الله ثراه قد حرر طرفاية، واختار تزنيت لتكون من بين المدن التي يعين فيها خليفته، مثل فاس وتطوان، ومراكش، لأنها المشرفة على تسيير المراكز الصحراوية المغربية إذذاك.

فإن الحسن الثاني ـ أعزه الله ـ قد جددها ونظمها، ولقبها بالمدينة السلطانية، وجعلها عمالة من العمالات التي أحدثت في المغرب الجديد تقريبا للإدارة من المواطنين، وتنفيذا لوصية والده رحمه الله، قام بواجبه في تحرير سيدي إفني بقبائل أيت باعمران المجاهدة، والمخلصة للعرش العلوي المجيد.

وإذا كان المولى الحسن الأول رحمه الله قد زار كلميم، وبنى بها مركزا مخزنيا، ونصب فيها عددا من القواد على القبائل الصحراوية التي اهتبلت بزيارته أيما اهتبال.

وإذا كان محمد الخامس طيب الله ثراه قد زارها بعد الاستقلال، واستقبل هناك استقبالا منقطع النظير، وجدد الروابط التي تربط تلك القبائل المجاهدة بالعرش العلوي المجيد، فإن مولانا الحسن الثاني قد اعتنى بها اعتناء فائقا، وفسح لها المجال لتصبح من العمالات المهمة، وأصلح دار المخزن بها، واتخذها قصرا ملكيا ينزل فيه كلما دعته الضرورة لتفقد شؤون الدولة هناك، وقد أطلق عليها اسم «باب الصحراء» إبرازا لأهميتها، واعترافا من جلالته بما قامت وتقوم به من أعمال تركز الوحدة الوطنية بين المواطنين.

وكما جهز المولى الحسن الأول الشواطىء الصحراوية بمرسى «أساكا» و«طرفاية»، فإن مولانا الحسن الثاني قد جهز هذه الشواطىء بمرسى «سيدي إفني» بأيت باعمران، ومرسى طانطان، وزود المراسي الأخرى بطرفاية وبوجدور والعيون والداخلة بكل ما تحتاج إليه.

ومنذ الفتح الرباني الذي أحدثته المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء، أنشأ ـ أعزه الله ـ عمالات أخرى في السمارة والعيون وبوجدور والداخلة، وأطرها بمختلف الأطر الضرورية، لجعل الحياة فيها متطورة التطور الذي يقتضيه العصر الحديث.

وللدور الوطني الذي قام ويقوم به سكان زاوية «أسا» على مر العصور، أبى مولانا الحسن الثاني خلال زيارته التاريخية لمدينة «أسا» إلا أن يحرك الحياة في جبال «الوارقزيز» المجاهدة، ويحدث هناك عمالة أخرى تحمل اسم «عمالة أسا» و«الزاك»، إكبارا للبطولة التي أظهرها السكان ضد أعداء الوحدة الوطنية، وتقديرا لصمودهم وإخلاصهم وولائهم للعرش العلوي المجيد.

وفي ساحة اللقاء في مدينة «أسا» تفضل مولانا الإمام وتقبل الهدايا من القبائل الصحراوية التي أكدت بالمناسبة تعلقها بالعرش العلوي المجيد، وولاءها للجالس عليه أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله.

تزنيت ـ الحسين وكاك

قبسُ النّبوة يا ضياء بلادي
يا فرحة الأجدادِ والأحفادِ
يا صاحبَ العرشِ الذّي يسمُو بنا
طولَ الزمّانِ لقمّة الأمجادِ
فاسلمْ رعاك الله يا رمزَ الوفا
للملّة السّمحاء خيرِ عمادِ



فمرحى بعيدك عيد الشباب

للشاعر أحمد الجمالي

غدوت طروبا وفي فرحة ... تهز فؤادي وذاكرتي
تذكرني مولدا عن لي ... يشع ضياؤه كالنجمة
تذكرني مولدا قد غدا ... أجل المواسم للأمة
لتبدي تعلقها بالذي ... تميز بالعقل والحكمة
تغني له أغنيات الهوى ... متيمة به في غبطة
تزف التهاني بعيد الشباب ... لمن هو أغلى من المقلة
لقائدها «الحسن» المفتدى ... زعيم التحرر والنهضة
ومن جاد هذا الزمان به ... لخير العروبة والملة
أيا ملكي أنت لنا ... تضيء على الشعب كالشمعة
فمرحى بعيدك عيد الشباب ... وعيد التفاؤل والبهجة
فمنذ صباك وأنت تسير ... بعزم وحزم وجدية
ليصبح شعبك خير الشعوب ... ويسمو لواؤه للذروة
تعز البلاد وتسعدها ... وتحفظها من لظى الفرقة
فوحدت شعبك كيما تراه ... قويا شديدا وفي عزة
لتجمع شمل البلاد التي ... تحن دواما إلى الوحدة
تفاءل شعبك لما رآك ... مليكا غيورا على الأمة
فأجلسك الشعب عرش الفؤاد ... وأسكنك اليوم في المهجة !!
فأنت له قائد ملهم ... بعيد الرؤى صائب النظرة !!
هنيئا له بك يا ابن الرسول ... مليكا لبيبا وذا خبرة
فكم صنته من صنوف الشقاء ... وويل البلابل والفتنة !

وأنقذته من شرور اللئام   وهول الحروب المدمرة !
وكم قدته نحو نيل المنى   وقدمت للشعب من خدمة !
وجاهدت في الله حق الجهاد   فكنت له أحسن القدوة !
حياتك ياسيدي لا تقاس   بمر السنين أو الساعة
ولكن بما لك من منجزات   عن الوصف والحصر قد جلت
مسيرة شعبك أبدعتها   بغير سلاح ولا ضجة
فكانت لرائد وحدتنا   دليل المهارة والحنكة
أثارت عزائم كل الشباب   وجو التفاؤل والبسمة
وعلمت الشعب كيف الفداء   وكيف الخلاص من الربقة
فأمسى التآلف في أرضنا   شعار المواطنة الحقة
وصحراؤنا رجعت للحمى   وللوطن الأم في سرعة
غدا سنشاهدها خرجت   تقول : «نعم» وبحرية
لتبدي تعلقها للورى   بمغربها الحر في ثقة
فكم عبرت عن تشبثها   بعرش حوى كل مكرمة !
وكم هتفت بالمليك الذي   يبادلها أعظم المقة !
وكم خرجت لزيارته   لتعلن عن واجب البيعة !
غدا يصبح الحق مؤتلقا   وتطوى الأباطيل في حفرة
فعد يا أخي لتقول : «نعم»   ولا تبق نفسك في حيرة
وعد يا أخي لذويك ولا   تعش أبدا حالة الغربة
وصافح أخاك الذي طالما   أراد لقاءك في لهفة
يعانق فيك أخا غره   بريق الأكاذيب والخدعة
وبارك لشعبك وحدته   تعش بينه في طمأنينة
ولا ترتبك أبدا يا أخي   وفكر لحينك في العودة
فعد يا أخي للمليك الذي   حباك بعفو ومغفرة
يبدد عنك صنوف الشكوك   ويرفع شأنك للقمة
هو «الحسن الثاني» من همه   صلاح العروبة والإخوة
يوفق بينهمو كلما   بدت بينهم سمة الغلظة
ويرشد من زاغ منهم عن الصـ   ـواب وحاد عن الخطة
يوحد صفهمو كي يرى   تمسكهم بعرى الوحدة
وكلهمو عرفوه مليكا   كريم الطباع أخا نجدة

أدامـــــــــــــــــــــه ربي للمسلمين منـــــــار الهدايـــــــة في الحلكـــــــة
وعـــــاش لشعبـــــه كنـــــزا ثمينـــــا ورمـــــز الشهـــــامـــــة والغيرة
وأبقـــــاه ربي أبـــــا للحمـــــى ومنبـــــه عطـــــف ومـــــرحمة
وعـــــاش «الأمير محمـــــد» في ســـــلامـــــة عيـــــش وفي صحـــــة
وبـــــارك إلهي للعـــــرش في «الـــــرشيد السعيـــــد» وفي العترة

الدار البيضاء ـ أحمد الجمالي

من عيد العرش إلى عيد الشباب

فلتحيى دولة الشباب

للشيخ محمد المكي الناصري
رئيس المجلس العلمي الاقليمي للعدوتين
عضو أكاديمية المملكة المغربية
الأمين العام لرابطة علماء المغرب

عندما كنا في سن الشباب ـ نحن «جيل محمد الخامس» ـ كنا نتمتع بطاقة قوية من «الإيمان» الإيمان بالله، والإيمان بالوطن، والإيمان بالنفس، وكنا مومنين بمقدساتنا إيمانا لا يداخله الشك، ولا يزحزحه الواقع المؤلم الذي كانت تعيشه إذذاك بلادنا، ويعيشه معها العالم الإسلامي أجمع، الرازح تحت أغلال الاستعمار، وكنا نحس بقدرة خاصة على الابتكار في كثير من تصرفاتنا العامة، ولا سيما في المجال الوطني، الذي كان مجالا بكرا، والذي كان لايزال صفحة بيضاء، خالية من كل وسم أو رسم.

ولقد أحسسنا بجاذبية قوية تجذبنا نحو عاهلنا الشاب الذي تربع على العرش في مثل سننا، وهو من جيلنا، سنة 1927، وأعني به أبا المغرب الجديد المرحوم محمد الخامس، طيب الله ثراه، فقد كنا وقتئذ نعد العدة للمستقبل القريب والبعيد: كنا نكمل دراساتنا في الداخل والخارج، وكنا ننمي تجاربنا ونوسع آفاقنا في الشرق والغرب، وكنا مثل «الكتيبة الأولى» يستعد أفرادها لتدشين المعركة الحاسمة، ولم يخطىء حدسنا ولا إلهامنا ـ بفضل الله وحسن توفيقه ـ عندما أدركنا أن عاهلا شابا مثل محمد الخامس لابد أن يكون في باطنه أقرب الناس إلينا، وأقوى الناس إحساسا بمشاعرنا، ولم يخطىء حدسنا ولا إلهامنا عندما أيقنا أن العواطف الوطنية التي تتأجج في نفوسنا إنما هي صدى طبق الأصل لنفس العواطف الوطنية التي تتأجج في نفس

عاهلنا المفدى، فنحن كلنا من جيل واحد، ونحن كلنا قد شاهدنا مصرع الحرية في بلادنا، ونحن كلنا نحس أننا مكبلون بأغلال الاستعمار، ونحن كلنا نحس أكثر من ذلك، إحساسا واضحا وعميقا، بأن الاستعمار يحاول أن يعزل بعضنا عن بعض، ويحاول أن يشوه بعضنا لبعض، ويحاول أن يضرب بعضنا ببعض...

وهاهنا تفتق خيالنا الشاب عن مشروع وطني مثير، هو مشروع في ظاهره صغير، وفي باطنه كبير: مشروع لم يعرفه المغرب في عهد الاستقلال السابق، ولم يعرفه المغرب خلال اثنين وعشرين عاما منذ الاحتلال اللاحق، هذا المشروع هو ابتكار أول عيد قومي تتركز فيه معاني القومية، ويتجلى فيه استمرار الوجود المغربي، وخلود الشخصية المغربية، ولم يكن هذا العيد إلا «عيد العرش» المجيد.

نعم قررنا بوحي من ضمائرنا، وبإلهام من إيماننا، أن نسن هذه السنة الوطنية الحميدة، فأعلناها واثقين مطمئنين، غير خائفين ولا مترددين، وكانت مفاجأة كبرى لفلاسفة «السياسة الأهلية» ورجال سلطة الحماية الأجنبية، وشرعنا نحتفل بعيد العرش في جرأة جنان، وقوة إيمان، وإن كان لسان حال كل منا لايزال إذذاك يقول: «لا أملك إلا نفسي وأخي» وأقبل الشعب المغربي الوفي الأبي، يقتفي خطوات شبابه المستنير، معجبا بحسن البداية، واثقا بحسن المصير.!

وبعدما وقع رجال السلطة في حيص بيص، وتداولوا الأمر بينهم طويلا، لم يسعهم إلا أن يعترفوا بعيد العرش مرغمين، لكن على شريطة أن لا تنشد فيه الأناشيد، وأن لا تلقى بمناسبته الخطب، وأن يكون خاليا من كل المظاهر الوطنية، التي يحرص عليها الشباب، وصدر قرار وزيري بالجريدة الرسمية يسجل هزيمة الحماية الأجنبية أمام الشعور الوطني الملتهب، الذي أوقدته الشبيبة الوطنية.

ومضت الأيام تلو الأيام، والأعوام تلو الأعوام، فلم يلبث هذا الوليد الصغير الذي ولد على يد ثلة من شباب الجيل أن أصبح أكبر عيد قومي مغربي في هذه البلاد، ينتظره الشعب على أحر من الجمر، بفارغ الصبر، فيه يتلقى الشعب من عاهله المفدى «وحي الساعة»، ويأخذ عنه إشارة التعبئة والنضال، وأصبحت «خطب عيد العرش» التي يلقيها «أبو المغرب» رحمه الله جارية على الألسنة مجرى الأمثال، يومن بها كل شاك ويهتدي بها كل ضال.

وكان هذا التدبير المحكم الذي أوحت به فكرة الشباب، من «جيل محمد الخامس»، تدبيرا حاسما في سير الحركة الوطنية، فقد التحم بفضله العرش بالشعب، ممثلا في شبابه الأوفياء الأبرار، التحاما تاما لم يعد

في إمكان الاستعمار أن يخرق فيه خرقا، ولا أن يفتح فيه ثغرة أو شقا، فقد عرف محمد الخامس - رضوان الله عليه - أن جيل الشباب الذي هو منه وإليه يقاسمه مشاغله وهمومه، ويتجاوب معه كامل التجاوب، لأن الشعور واحد، والهدف واحد، والوطن الذي يومن به الجميع ويتفانى في خدمته الجميع واحد، ولقد استمر هذا الالتحام القائم بين العرش والشعب يقود خطواتهما في الداخل والخارج طيلة مراحل الحركة الوطنية كلها، إلى أن تحققت بفضله الحرية والوحدة والاستقلال لهذا الوطن المكافح، فكان هو مفتاح النجاح وطريق الفلاح، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ولعل البعض يتساءل: لماذا أطلقنا على هذا العيد المبتكر اسم «عيد العرش» بدلا من «عيد الجلوس» المتعارف عليه في البلاد الأخرى ذات الأنظمة الملكية؟.

والجواب عن ذلك: أننا كنا نريد أن نعيد إلى أذهان المواطنين في الداخل، وإلى أذهان الأجانب في الخارج، وإلى دهاقنة الاستعمار الذين ينكرون وجود الدولة المغربية من الأساس: أن للمغرب شخصية قوية لا تفنى، وأن له دولة باقية لا تزول، وأن له عرشا عريقا لا يبلى، وأن نذكر الجميع بأن العرش المغربي يرقى إلى أقدم العهود التي عرف التاريخ فيها هذه البلاد، وهو يمثل الأمة المغربية، ويمثل الدولة المغربية، عبر القرون والأجيال، خير تمثيل، والعرش العلوي المجيد هو الوارث الأمين لأمجاد العرش المغربي المتسلسلة، الحفيظ عليها والمعتز بها، فإذا احتفلنا بعيد العرش نكون قد احتفلنا في آن واحد بالأمة المغربية، والدولة المغربية «وبالمغربي الأول» الجالس على عرش المغرب الخالد.

هذه قصة «عيد العرش» الذي ابتكره الشباب الوطني، والاحتلال جاثم على صدر هذه البلاد، فما هي قصة «عيد الشباب»..؟

بمجرد ما عاد سيد البلاد محمد الخامس إلى وطنه وعرشه متوجا بتاج النصر وأكاليل الغار، ومعه سيد شباب المغرب، صاحب السمو الملكي أمير الأطلس مولاي الحسن، فكر في ابتكار عيد وطني جديد يضاف إلى «عيد العرش» الذي هو أول الأعياد الوطنية، ولم يغب عن ذاكرة جلالته، لحظة واحدة، كفاح شباب جيله، وتضحياتهم إلى جانبه ومن خلفه، وجهادهم معه في الداخل والخارج، ورأى أن أحسن هدية يهديها إلى أولئك الشباب الأوفياء الأبرار، وإلى الجيل الذي يخلفهم ويحمل المشعل معهم وبعدهم - جزاء وفاقا - هو تأسيس عيد وطني ثان باسم «عيد الشباب» يكون عودا على بدء،

ويصبح توأما لعيدهم الوطني الأول، وتتويجا للمرحلة الحاسمة التي أبلوا فيها ـ تحت قيادة جلالته ـ البلاء الحسن.

وكيف لا وقد عرف جلالته وسمو عهده، خلال سنوات الكفاح المرير من أجل الحرية والانعتاق، ما تستطيع أن تحققه طاقة الشباب المتدفقة من معجزات، وما تستطيع أن تتخطاه من العقبات، وما تستطيع أن تنتصر عليه وتهزمه من الدسائس والمؤامرات.

وكيف لا وقد شاهد جلالته عن كثب ـ وهو مع شباب جيله، وسمو ولي عهده، في خضم المعركة ـ مبلغ البذل والعطاء الذي يمكن أن يقدمه الشباب في سبيل وطنهم الخالد، ومبلغ التضحية والفداء الذي يمكن أن يصرفه الشباب في سبيل عاهلهم المجاهد، ومبلغ الولاء والوفاء لملكهم القائد الرائد، في السراء والضراء، والشدة والرخاء.

«عيد الشباب» إذن تتويج لجهاد الشباب، وسام من العرش أهداه العرش لشباب الأمة، تكريما له ولها، وعنوان بارز على الأمل العريض والقوي في عطائه المتواصل، لبناء المغرب الموحد الحر المستقل، من أجل مجد العرش وعزة الشعب!

وإذا كان الشباب الوطني من «جيل محمد الخامس» أنشأ أول عيد وطني على شرف العرش، تجديدا للتعلق به على مر الأعصار، وتحديا لدهاقنة الاستعمار، فها هو العرش يبادر، بمجرد استرجاعه لسيادته وحرية وطنه في فجر الاستقلال، بإنشاء عيد وطني على شرف الشباب، كل الشباب، السابق منهم واللاحق، تقديرا لإخلاص الشباب، واعترافا بمكانة الشباب.

ولا يكتفي العرش بإنشاء هذا العيد، بل يميزه على غيره بشرف أصيل وعريق، إذ يجعله مرتبطا بحياة الأسرة الملكية الشريفة نفسها وبحياة أميرها الشاب، ويختار محمد الخامس لموعد هذا العيد ميلاد وارث سره وفلذة كبده، وولي عهده المؤتمن على عرش المملكة من بعده، مولاي الحسن بن محمد، الذي سيبايع بعد والده باسم «جلالة الملك الحسن الثاني»، وكان ذلك الاختيار من جلالة والده ـ رضوان الله عليه ـ تأكيدا للأواصر المتينة، التي يجب أن تبقى حية راسخة بين «إمام الأمة» الجالس على عرشها، وبين شبابها في كل جيل، وإيمانا منه برسالة الشباب الدائمة والخالدة.

وأنشأ جلالته، لمعالجة شؤون الشباب ومتابعتها يوما بيوم، وزارة مستقلة هي وزارة الشبيبة والرياضة، وأحدث بجانبها مجلسا أعلى للشباب، ودعا إلى تولي منصب «أول وزير للشباب» وطنيا مناضلا أصيلا، وأستاذا مشاركا جليلا، جمع بين حيوية الشباب وحكمة الكهول،

هو أستاذ الحماسة والكياسة، وحسن التدبير والسياسة، سيادة الأستاذ أحمد بن سودة، فكان عنوانا جميلا لوزارة الشباب، كأجمل عنوان لأجمل كتاب، وأعطى لها من حماسته وفتوته العطاء المستطاب.

وتربع الأمير الشاب مولاي الحسن الذي ارتبط بعيد ميلاده عيد الشباب، على عرش المملكة، خلفا لوالده العظيم، فواصل رعايته للشباب، وفتح في وجهه جميع النوافذ والأبواب، وتسلق الشباب الحي الطموح في العهد الحسني الزاهر مدارج الرقي، علميا وإداريا ورياضيا، مدنيا وعسكريا، وما كاد الحسن الثاني ينادي شباب بلاده للمسيرة الخضراء حتى هب من كل صوب وحدب، من المدن والقرى، تلبية لنداء ملكه القائد الرائد، واكتشف الجميع في الداخل والخارج ما لايزال يتمتع به شباب المغرب من روح التضحية والمغامرة والانضباط، والتجاوب التام بينه وبين عاهله الجالس على العرش، وقد ظل هاجس الشباب يراود سيد البلاد الحسن الثاني في كل حين، وكلما تعرض الشباب لأزمة من الأزمات، واهتدت «العبقرية الحسنية» إلى إنشاء هيأة وطنية دائمة تهتم بحاضر الشباب ومستقبلهم، وتعمل على حل ما قد يتجدد من مشاكلهم أو يعترض طريقهم، بطريقة علمية ومنهجية، حرصا على أن يكونوا سعداء، بقدر ما هم أبرار أوفياء (المجلس الوطني للشباب والمستقبل).

ذلك أن الحسن الثاني ــ بما له من علاقة وثيقة مع شباب بلده منذ فجر حياته، وارتباط عيدهم المجيد بعيد ميلاده السعيد ــ يعتبر بحق أعمق من يشعر بمشاعر الشباب، من قادة العالم، وأدق من يحس بأحاسيسهم ويتجاوب معهم، وأسرع من يستجيب لرغباتهم، وأقدر من يعمل على تحقيق أمانيهم، وأخلص من يفكر فيهم وفي مستقبلهم، وأشد الناس فرحا واعتزازا بكل خطوة ناجحة يخطونها في حياتهم.

فما على شباب العهد الحسني من «جيل الحسن الثاني» ــ إلا أن يواصلوا مسيرة «جيل محمد الخامس»: مسيرة المحبة الصادقة والولاء، وحسن العهد والوفاء، وجمع الشعب والعرش على كلمة سواء، وكما كنا نحن ــ جيل محمد الخامس ــ عبارة عن «أوركسترا» واحدة يسود نغماتها التناسق والتناسب، ويطبع مساعيها طابع التعاون والتقارب، تحت قيادته الفنية الحكيمة، ينبغي لجيل الحسن الثاني الذي يرتبط عيده بعيد ميلاده السعيد أن يظل محافظا على ما بينه وبين عاهله من الثقة والتجاوب، ويضرب المثل لغيره بالمزيد من التكاتف والتحابب، وبذلك تتحقق المعجزة تلو المعجزة على يد الشباب،

وننشد معهم ومع جميع المعجبين والأحباب، ذلك النشيد الوطني الخالد، الذي كنا ننشده في حفلاتنا ومهرجاناتنا، فيثير كامن الحماس فينا وفي جماهير شعبنا: (لتحي دولة الشباب، فهي حياة المغرب).

أطال الله عمر أمير المومنين الحسن الثاني حامي الشباب وراعيهم الأعلى، وحفظ سمو ولي عهده الأمير سيدي محمد، قدوة الشباب المثلى.

الرباط ـ محمد المكي الناصري



عيد الشباب
هو الشباب المثالي في الإسلام

للأستاذ المهدي الوافي
أستاذ محاضر بكلية الحقوق بمراكش

إن الموضوع الذي أحاول معالجته بهذه المناسبة :

«عيد الشباب» هو : «الشباب المثالي في الإسلام» ذكرت فيه نماذج من شباب الإسلام المثالي من الرعيل الأول، مقتصرا فيه على المجالات التالية:

أ - **في مجال الهجرة.**

ب - **في مجال التكليف بمهمة سامية.**

ج - **في مجال العلم والفتيا.**

وأعقبت ذلك ببحث :

- **الشباب في عصرنا أحوج ما يكون إلى التربية الإسلامية:**

والهدف من ذلك هو ربط الحاضر بالماضي في ميدان تربية شباب الإسلام المعاصر بالمنهج الذي تربى به شباب الإسلام المثالي في عصر الوحي، ألا وهو المنهج التربوي الذي خططه الإسلام للسمو بالإنسان إلى أعلى الدرجات.

وفيما يلي نتناول الموضوع بتفصيل - على سبيل التعاقب - كالآتي:

الشباب المثالي في الإسلام:

تربى الشباب الإسلامي في أحضان الإسلام، متشبعين بمبادئه وشعائره ونظمه، وفق نظامه التربوي الذي خططه للرفع من مستوى الإنسان، والسمو به إلى أعلى الدرجات، وإسعاده في الدنيا والآخرة. وبذلك نشأ مثالا حيا للسلوك الإسلامي، ومحلا للقدوة الحسنة في مختلف المجالات التي نقتصر على بعضها فيما يلي:

أ - **ففي مجال الهجرة :** نجد مصعب بن عمير الذي كان «فتى مكة شبابا

وجمالا...»، والذي كان محبوبا عند والديه، والذي كانت والدته كثيرة المال، تكسوه أحسن الثياب وأرقه. نجده يسارع إلى الإسلام، ويتعرض للسجن من طرف أبويه وقومه إلى أن هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة.

ونجد عبد الله بن عباس، وأخاه الفضل، يهاجران إلى المدينة عام الأحزاب، فيلفيان رسول الله ﷺ في الخندق. وكان عمر عبد الله خمس سنوات، وعمر أخيه الفضل ثلاث عشرة سنة.

ونجد زيد بن حارثة ـ بعد استقرار رسول الله ﷺ بالمدينة ـ يرافق أهل بيته ﷺ.

وقد خرج زيد مع مولاتنا فاطمة، وأم كلثوم، وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن. وصحب زيدا في الرحلة: أم أيمن، وأسامة.

ب ـ وفي مجال التكليف بمهمة سامية:

نجد مصعب بن عمير يهاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى لتعليم الناس القرآن، والصلاة بهم، وتفقيههم في الدين. وقد اشتهر هناك بالمقرى، وأسلم على يديه خلق كثير من سكان المدينة في طليعتهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير «وكفى بذلك فضلا وأثرا» ـ حسب قول النووي ـ.

ومصعب أول «من جمع الجمعة بالمدينة».

شهد بدرا وأحدا، وبه استشهد، «ومعه لواء المسلمين» عن أربعين سنة «أو أكثر قليلا».

كما نجد علي بن أبي طالب حين يهاجر رسول الله ﷺ، يكلفه بالإقامة بمكة المكرمة حتى يؤدي الودائع التي كانت عند رسول الله ﷺ. ومن أجل ذلك عرف علي بالأمين.

وقد بعثه ﷺ ـ وهو شاب ـ قاضيا إلى اليمن، داعيا له بهداية قلبه وتثبيت لسانه.

وكان علي يكتب عهود رسول الله ﷺ «إذا عهد، وصلحه إذا صالح».

ونجد زيد بن ثابت الذي أسلم ـ وهو ابن إحدى عشرة سنة ـ حين مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة يكلف من طرف رسول الله ﷺ بأسمى مهمة، ألا وهي كتابة الوحي، فقد كان ـ هو وأبي ـ «يكتبان الوحي بين يديه ﷺ، ويكتبان كتبه إلى الناس، وما يقطع، وغير ذلك».

وكان يكتب الرسائل النبوية إلى الملوك أيضا.

وأعطاه النبي ﷺ يوم تبوك راية بني النجار وقال: «القرآن مقدم».

وبعد رسول الله ﷺ، كتب زيد لأبي بكر، كما كتب لعمر، وولاه عثمان على بيت المال، وكان يستخلفه إذا حج.

وكان مع عمر حين قدم الشام «وهو الذي تولى قسم غنائم اليرموك».

وقد أمره أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بجمع القرآن في المصحف، فكتبه بيده، وقال له أبو بكر: «إنك شاب ثقف لا نتهمك». واختاره عثمان «على رأس الجماعة التي عهد إليها ضبط القرآن وترتيبه في المصحف العثماني الذي بعث بصور منه إلى الأقطار الإسلامية» واستعمله عمر على القضاء، وكان يستخلفه في كل سفر يسافره، «ويوجهه في الأمور المهمة».

وحين اختلف عمر وأبي في نخل حكما زيدا فحكم بينهما. ونجد عمر وابن حزم الذي استعمله رسول الله ﷺ سنة عشر على نجران لتفقيههم في الدين، وتعليمهم القرآن، وأخذ صدقاتهم، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة.

ونجد عتاب بن أسيد أميرا على مكة ومعه معاذ بن جبل، يعلمهم الفقه والسنن. وكان عمر عتاب إذذاك قريبا من عشرين سنة.

وبقى عتاب أميرا على مكة منذ أن ولي من طرف رسول الله ﷺ إلى أن توفي عتاب. وكان وفاته في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق.

«وكان عتاب خيرا، صالحا، فاضلا».

ونجد معاذ بن جبل، الذي شهد له رسول الله ﷺ بأنه أعلم أمته بالحلال والحرام، وشهد له عمر بالمهارة في الفقه، وشهد له ابن مسعود بأنه «كان أمة، قانتا لله، حنيفا، ولم يك من المشركين».

نجده يصبح إمام قومه - وهو شاب - في حياة رسول الله ﷺ، وقد بعثه ﷺ «قاضيا على اليمن، وأميرا، وجابيا للصدقات».

ج - **في مجال العلم والفتيا :**

نجد زيد بن ثابت الذي كان أحد الأذكياء وأعلم الصحابة بالفرائض بشهادة رسول الله ﷺ، وشهادة عمر أيضا. نجده في عهد عمر، وعثمان، لا يقدم عليه أحد في القضاء والقراءة، والفرائض، والفتيا.

وكان يعتبر من الراسخين في العلم.

«وكانوا يقولون: غلب زيد بن ثابت الناس على اثنتين: القرآن، والفرائض».

وقد بلغ مرتبة الاجتهاد وكمال القدرة على استنباط الأحكام، وتكوين رأي في كل ما لم يرد فيه أثر.

وقد بنى الإمام مالك مذهبه في الفرائض على قول زيد، إلا في أربع مسائل.

وحينما توفي، قال عنه ابن عباس: «هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير»، وقال أبو هريرة: «اليوم مات حبر هذه الأمة».

ونجد علي بن أبي طالب الذي كان من جلة الصحابة ضمن الصحابة الذين كانوا

يمارسون عملية الإفتاء في عهدهﷺ. وقد سجله ابن حزم ضمن الصحابة السبعة المكثرين في مجال الفتيا الذين يمكن أن يجمع لكل واحد فيها مجلد ضخم.

شهد له عمر بقوله: «علي أقضانا»، وقال له - وقد جمع الناس ومعهم علي ليستشيرهم - «قل، فأنت أعلمهم وأفضلهم»، وشهد له ابن مسعود بأنه «أعلم أهل المدينة بالفرائض» وقال فيه ابن عباس: «أعطي علي تسعة أعشار العلم وإنه لأعلمهم بالعشر الباقي»، وقالت فيه عائشة - رضي الله عنها -: إنه «أعلم من بقي بالسنة».

وكان بالإضافة إلى مهارته في الفتيا والقضاء، عالما بكتاب الله، فقد جاء عنه: «والله مانزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلام نزلت، إن ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا ناطقا».

الشباب في عصرنا أحوج ما يكون إلى التربية الإسلامية:

طالما أن الشباب هو عمدة الأمة، وقلبها النابض، وعدتها في تحمل المسؤوليات في المستقبل، فهو جدير بأن يربى على المنهج الإسلامي التربوي، حتى يكون أمثلة حية للسلوك الحسن، والقدوة الصالحة، لمن بعده من الأجيال؛ ولكن يكون في المستوى المطلوب، والنموذج الصالح للفرد الذي يتوخاه الإسلام، والمثال الحي الذي ينشده، ولا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه التيارات الأجنبية والمذاهب الهدامة، ينبغي العناية بوسائل الإعلام التي لها انعكاسات سلبية بما تنشره من أفكار هدامة، وتيارات أجنبية منحرفة، وأفلام خليعة...

ولنحاول أن نجعل من وسائل الإعلام - سواء منها المرئية والمسموعة والمكتوبة - وسائل لإصلاح الشباب وإبعاده من التردي والسقوط فيما لا يرضى عنه الله ورسولهﷺ.

ويضاف إلى ذلك، الرجوع إلى رسالة المسجد كما كانت في الإسلام، والتركيز على مشاكل الشباب، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها سواء في خطب الجمعة، أو الدروس الوعظية، أو المحاضرات.

وتجدر ملاحظة مراعاة القدوة الحسنة، سواء في البيت أو في المدرسة، أو في المسجد، أو في المجتمع، لما لها من تأثير إيجابي في مختلف مجالات الدعوة إلى الله، وعلى العكس من ذلك، القدوة السيئة التي لها انعكاسات سلبية، وردود فعل سيئة من طرف المدعوين إلى الله. وينبغي لفت النظر إلى أنه ينبغي الابتعاد عن جميع الأساطير والخرافات التي ألصقت بالإسلام من طرف الجاهلين به وأشباههم حتى لا ينفر الشباب مما يدعون إليه، كما

ينبغي لفت النظر أيضا إلى تلقينهم مبادىء الإسلام الصحيحة التي بني عليها الإسلام كرفع الحرج، ومراعاة مصالح المكلفين، وغيرهما، كما ينبغي تحسين أسلوب دعوة الشباب بالحكمة والتبصر وعدم استعمال الغلظة. وأجدر بنا أن نسلك مسلك القرآن الكريم في أسلوبه في الترغيب والترهيب.

قال فضيلة الشيخ نديم الجسر:

«ومن أسباب إصرار الشباب على ترك الشعائر: التقنيط. فالشبان، بحكم مرح الشباب وفورته وجموحه ولهوه، لابد أن تكون لهم في حياتهم مزالق إذا اتفق لأحدهم أن أسرف على نفسه، ثم سمع من الوعاظ أهوال المنذرات، **تكونت في صدره عقدة القنوط.** فازداد إمعانا في الإسراف.

ولو أن الوعاظ اتبعوا نهج القرآن في الترغيب، والترهيب، لفتحوا لذلك الشاب في جدار يأسه كوة ينفذ منها إلى الأمل، ويخرج منها إلى التوبة، وقد علم ربنا وخالقنا، وهو أحكم الحاكمين، ما يترك التقنيط في نفوس المذنبين المسرفين، ففتح لهم بحكمته باب الأمل، والخروج من سجن الذنوب على مصراعيه، بقوله تعالى:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾.

وأضاف فضيلة الشيخ:

«ومن عقدة القنوط» تتكون عند الشاب المسترسل في الإلحاد والفساد، لذة التنفيس عن نفسه بثلاث طرائق: طريقة الجدل في الإلحاد، وطريقة الاستهزاء بالشعائر، وطريقة جر الرفاق الزملاء إلى الإنزلاق».

ويجمل بي أن أختم هذا المقال بأهم توصيات المؤتمر الأول بالنسبة لتربية الشباب كالآتي:

بشأن تربية الشباب يرى المؤتمر مايلي:

أولا : ان التربية الدينية، وإشاعة الإيمان والخير في القلوب، هي خير ما ينقذ الشباب مما صار إليه البعض من انحراف وانحدار.

ثانيا : وإن انحراف الشباب، وتركهم شعائر الدين، مرض نفسي، يعالج بالرفق والعطف والنصح الذي يصل إلى أعماق النفس، وذلك اتباعا لأسلوب القرآن.

ويوصي المؤتمر بما يلي:

1 ـ تعريف الشباب بالأمجاد التاريخية للإسلام والعروبة، حتى يزدادوا ثقة بدينهم، وتمسكا بمبادئه السمحة القويمة.

2 ـ إعداد جيل كامل واسع الثقافة من رجال الدين، يتولون تهذيب الشباب، وقيادتهم على الأساس التربوي السليم.

3 ـ جعل التربية جزءا أساسيا من مناهج التعليم في جميع معاهد المعلمين

والمعلمات، أيا كانت المواد التي يتخصصون في تدريسها.

4 ـ أن يكون لوسائل الإعلام نصيب مثمر في توجيه الشباب، وتكوين رأي عام سليم في الإذاعة، ومجلات الشباب، والندوات العامة، والصحف والقصص، وغير ذلك من الوسائل الإعلامية، حتى يمكن اتقاء الأضرار الناتجة عن دعوات الانحراف والمجون التي تظهر في بعض وسائل النشر والإعلام.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مراكش ـ المهدي الوافي



دار الحديث الحسنية

وكيف ينبغي أن تكون

للدكتور يوسف الكتاني
رئيس شعبة التفسير والسنة والأصول
بكلية الشريعة - جامعة القرويين

في غمرة الإنبعاث والصحوة التي تعيشها الأمة الإسلامية جمعاء، والتي تستحثها إلى اكتشاف ذاتيتها، والتشبث بهويتها، والعودة إلى أصالتها، والتمسك بمقوماتها الأساسية، كم هو جدير بالمسلمين اليوم وقد بدأوا يعيشون عصر نهضتهم، أن يأخذوا بوسائل البعث الإسلامي، ويكفوا عن الجري وراء كل أجنبي، وذلك بالرجوع إلى دينهم الحنيف، وكتابهم الكريم، وهدي نبيهم العظيم، ليبنوا ويجددوا على هداه دولهم ونظمهم وحياتهم.

وفي غمرة احتفالاتنا بعيد الشباب المجيد، نغتنم مناسبة هذا العيد الوطني، لننشر صفحة رائعة من صفحات عهدنا ونتحدث عن درة فريدة في جبين أمتنا، المجيدة، ونباهي بمعلمة حضارية فكرية إسلامية من معالمنا العتيدة، تلك هي دار الحديث الحسنية، التي تنفرد بلادنا من بين بلاد العالم الإسلامي بوجودها فيها، ومكانتها المتميزة من دون سائر المؤسسات الثقافية العليا، وذلك من حيث تخصصها، ومناهجها، وعطاؤها، وآثارها.

لذلك ينبغي قبل أن نعرف بها، وبالمراحل التي مرت بها، وبخريجيها، ورسائلها، وأطروحاتها، وبآفاقها ومستقبلها، أن نتحدث عن الهوية الأساسية لبلادنا، والبواعث الداعية لإنشائها، والأسباب الرامية إلى قيامها.

ينص الفصل الأول من الدستور المغربي على أن المغرب دولة دينها الإسلام، ولغتها العربية، وهو تقرير لما

جاء في الفصلين المماثلين له في الدستورين السابقين.

إن ما سجله الدستور المغربي في فصوله المذكورة ليس إلا تأكيدا لحقيقة قائمة، وهوية ثابتة، عرفها المغرب، وعاش عليها، وبها، منذ الفتح الإسلامي في النصف الأخير من القرن الهجري الثاني، على يد الفاتح الأعظم المولى إدريس الأكبر سنة 172هـ، ومنذ ذلك التاريخ الخالد، أصبح الإسلام هوية المغرب الثابتة، ونظامه العام الدائم، ودينه الوحيد الذي عاش عليه، وتمسك به، وقامت أنظمته وقوانينه وأعرافه وحياته عليه، من دون تبديل أو تغيير إلى اليوم، وسيبقى على ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد عرف خلفاء المغرب وملوكه منذ الفتح الإسلامي هذه الحقيقة الكبرى، فآمنوا بها، واعتزوا بالإسلام، وحكموا بنصوصه، والتزموا بأوامره ونواهيه. وحملوا الرعية على ذلك فيما يسنون ويخططون، وفيما يبرمون وينقضون، في سلمهم وحربهم، وفي سياستهم وحكمهم، وفي علاقاتهم مع الأفراد والجماعات، ومع الشعوب والأمم، حتى اشتهرت بلادنا في مقدمة الدول الإسلامية الأصيلة التي تعتز بعقيدتها وكيانها الإسلامي.

ومن هذا المنطلق أيضا، كان ملوك المغرب وخلفاؤه يجعلون من العلماء وزراءهم ومستشاريهم ومساعديهم، يرجعون إليهم في النوائب والمهمات، كما يعتمدون عليهم في التشريعات والتخطيطات، وهكذا لم يخل بلاط مغربي أو قصرملكي، من علماء من بين المقربين للملوك ومستشاريهم ووزرائهم، واشتهر كثير من أولائك العلماء ممن عرفوا بالإخلاص في النصح والثبات على المبدإ، واستهداف المصلحة العليا للبلاد، فيما يفتون به أو يشيرون من رأي، وذلك طوال تاريخنا من دون استثناء، بل إن دول المغرب المتعاقبة على حكمه وفي مختلف العهود، قامت وتأسست على يد علماء صلحاء، وملوك عظماء، كانوا يتقدمون المحاورات والمناظرات، ويشاركون في التصنيف والتأليف، أمثال المولى إدريس بن عبد الله أحد رجال صحيح البخاري، وإدريس الأزهر الذي أدخل مذهب مالك إلى المغرب وأقامه ونشره، وعبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية، والمهدي بن تومرت عظيم الموحدين وداهيتهم، وأبي عنان المريني، والمنصور الذهبي، والمولى علي الشريف، ومحمد بن عبد الله، والحسن الثاني عالم ملوكنا، ورائد نهضتنا المعاصرة حفظه الله.

وهكذا لم يكد يمر على الفتح الإسلامي بضعة عقود، حتى تأسست جامعة القرويين في مدينة فاس 245هـ/ 859م،

والتي تعتبر أقدم جامعة سبقت الأزهر الشريف بأكثر من قرن من الزمان 358هـ/969م، ولم يمض على إنشائها وقيامها سوى فترة يسيرة، حتى اكتمل نشاط هذه الجامعة العتيدة، واستقطبت العلماء والدارسين والباحثين من سائر أصقاع الدنيا، من الشرق والغرب، من إفريقيا وأروبا، ومختلف بلاد العالم، منذ ذلك التاريخ، أصبحت جامعة القرويين المعلمة الثقافية الأولى، لا في المغرب فحسب، بل لقد امتد إشعاعها ونورها حتى شمل أغلب ربوع الدنيا، بشهادة البعيد قبل القريب، وأخذ يتخرج منها العلماء والباحثون، ويعودون إلى أوطانهم لينشروا فيها العلم والمعرفة.

وقد استمر إشعاع القرويين العلمي والفكري، واستقطابها لرجال الفكر والمعرفة، قرونا متصلة، وأحقابا متعاقبة، إلى أن ابتليت بلادنا بالاستعمار، شأنها في ذلك شأن بقية البلاد الأخرى المستضعفة، فاتجه إليها، وسلط معاوله وسهامه لهدمها، والقضاء عليها، وتقليص دورها، وإفراغ محتواها، بعدما وجدها قلعة العلم، وموئل الوطنية، ومنطلق الكفاح والجهاد، حتى جعل نشاطها يفتر، وإشعاعها يخبو، ولكنه لم يستطع أن يطفىء شعلتها، أو يوقف نشاطها، إذ كان حتف الاستعمار وهزيمته، عن طريق القرويين التي سماها «البيت المظلم»، بكفاح علمائها ورجالاتها وطلبتها.

ولذلك بادر محمد الخامس بمجرد عودته من المنفى، وبعد إعلان استقلال البلاد إلى إصلاحها، وتجديد أنظمتها وربوعها، ورفع ألويتها، واعتنى بأساتذتها وطلابها، وأقام لها الذكرى الألف والمائة، وترأسها بنفسه، واستدعى لها رؤساء جامعات الدنيا، تأكيدا لاعتزازه بها، واعتماده على دورها، واستمرارا في المحافظة على وجودها وقيامها.

وجاء الحسن الثاني، وبويع بالملك بعد والده، فجعلها محط عنايته ورعايته، وتابع برنامج والده في ذلك، ورأى أن أكبر دعم لها ولدورها، هو إنشاء دار الحديث الحسنية، كمعهد عالي للتخصص في العلوم الإسلامية، وخاصة في السنة وعلومها.

بواعث وأسباب إنشائها

لقد كان تأسيس دار الحديث الحسنية أحد التطلعات الطموحة للحسن الثاني، الذي أبى إلا أن يعلن عن إنشائها في إحدى المجالس الحسنية في شهر رمضان سنة 1384هـ/1964م، ليربط بينهما، ويجعلهما معلمتين ثقافيتين متكاملتين متميزتين في عهده الكريم، وذلك بما وفر لها من إمكانات، ولما أحاطها به من كريم

العناية، وعظيم الرعاية، حتى قرن اسمها باسمه، وجعلها جوهرة عهده.

ولذلك تضمن الخطاب الملكي بمناسبة تأسيسها، المرامي والأهداف، والبواعث والأسباب الرامية إلى قيامها، لما لاحظه جلالته من أن العلوم الإسلامية أخذت تقل وتنحسر، وأن جيل العلماء والشيوخ أخذ في التضاؤل والزوال، وأن شبابنا يعوزه التوجيه الصالح في الدراسات الإسلامية خاصة.

هذا بالإضافة إلى ربط الحاضر بالماضي، وذلك بإحياء وتجديد الدور العلمي الذي قام به المغرب خلال تاريخه الطويل، حتى يستعيد دوره الحضاري والاشعاعي، لا في إفريقيا فحسب، بل في العالم الإسلامي، ناهيك وأن فتوحاتنا العلمية لم تكن تقل أهمية وتأثيرا عن فتوحاتنا السياسية، وهذه مسؤولية تاريخية وحضارية أراد جلالته أن تقوم بها دار الحديث الحسنية، وتتشرف بتحملها.(1)

فلنستمع إلى جلالته وهو يحدد في خطابه التاريخي تلك الأهداف والأسباب قال:

«لقد كانت أمنية عزيزة علينا هاته التي نحققها اليوم بتدشين دار الحديث الحسنية، في هذا الحفل الذي يضم طائفة من علمائنا، ونخبة من حملة مشعل الهداية بيننا، منذ أن ولانا الله مقاليد هذه الأمة، ونحن بحكم التربية التي أنشأنا عليها والدنا المقدس، نعمل لتستمر الهداية الإسلامية تنير بإشعاعها الخالد هذه الديار، باذلين في سبيل ذلك كل نصح وتوجيه، ومحصنين مقوماتنا الروحية التي نعتز بها من كل زيغ وتضليل وتحريف، مؤمنين بأن لاصلاح للأمة الإسلامية إلا بما صلح به أولها.

وقد أثبت التاريخ أن المغرب حافظ على أصول ذلك الهدي، واحتضنه وحمله في أمانة إلى مختلف الآفاق، ثم انتصب عليه قيما حفيظا حتى ابتلي العالم الإسلامي بالنكسة، التي تلقاها لحسن الحظ أجدادنا المقدسون في هذا الوطن العزيز.

وإن فتوحاتنا العلمية لا تقل شأنا عن فتوحاته السياسية، فما أكثر أولائك العلماء المغاربة الذين أسهموا في الحضارة العربية الإسلامية بالنصيب الأوفى، وما أوفر من ظلوا منهم عبر التاريخ الطويل يضربون أكباد الإبل في طلب العلم، أو تلقينه مهما بعدت بهم الدار، أوشط بهم المزار. وإن تراثنا الإسلامي والمغربي منه بصفة أخص، لخليق أن يحملنا على الاعتزاز به، ومن أجل ذلك، فنحن

1) انظر تفصيل الموضوع في كتابنا (معالم إسلامية) ص55 ومابعدها.

مدعوون للمحافظة عليه، وشمله بمزيد العناية التي تقيه خطر العفاء والاندثار، مع جعله في ذات الوقت مسايرا لمتطلبات القرن العشرين، ومواكبا سير الحضارة العصرية».

ثم أضاف جلالته يقول:

ونحن موقنون بأن الدروس العلمية التي عرفتها حلقات الدراسة في أول جامعة عالمية هي جامعة القرويين، التي حج إليها الرواد من جميع أنحاء المعمور وحتى من أروبا، كانت في بعض عصورنا الذهبية عصارة ما انتهى إليه الفكر البشري، الذي تلاقح بمختلف نتائج الحضارات، بيد أن عملا تجديديا كان لابد أن يصاحب ذلك التراث ليتطور وينمو، ويثبت على مر الزمان أمام مختلف التيارات الفكرية والاكتشافات العلمية.

ولكي يستمر هذا العمل، وضمانا لانتشاره وازدهاره، ندشن في هذه الليلة المباركة دار الحديث الحسنية، التي ستضم ثلاثين طالبا سيتخصصون في الدراسة الإسلامية، وسيلمون بفن الحديث متنا وسندا ورواية، ويتخصصون في كل ما يقوي مداركهم، وينمي معلوماتهم في هذا الفن الأصيل، ليكونوا علماء لن تكون مهمتهم الوعظ والإرشاد، ولكن علماء يكونون الإطارات التي تعادل في كفاءتها واطلاعها، من عرفه المغرب من علماء مرموقين في هذا الميدان، أصبح عددهم يتضاءل بكل أسف، ونأمل أن يملأ خريجو دار الحديث فراغهم».(2)

دار الحديث قلعة السنة ومنارها

وهكذا أراد الحسن الثاني أن تكون دار الحديث الحسنية معلمة فكرية، تصل الحاضر بالماضي، وتجدد ما اندثر من العلوم الإسلامية أو كاد يضيع، وتحقق التكامل المعروف في تاريخنا بين المعارف الإنسانية، وليكون تأسيسها وإنشاؤها علامة على التجديد والتطوير، والعودة إلى الريادة التي عرفتا بها في تاريخنا، في مجالات العلوم وخاصة الإسلامية، إن الحضارة الإسلامية لم تزدهر ولم تستمر، إلا لكونها سادت فيها العلوم الكونية إلى جانب العلوم الإسلامية، يكمل بعضها بعضا، ويفتح هذا في آفاق المعرفة الإنسانية ما يسد في وجه ذلك، فالعصر الذهبي لبغداد هو الذي كان يضم أكثر عدد من الفقهاء، والمحدثين، والفلاسفة، والأطباء، والأدباء، كأحمد بن حنبل، والقاضي يحيى بن أكثم، والفيلسوف

2) انظر الخطاب الملكي بمناسبة تأسيس دار الحديث الحسنية نشرة دار الحديث ع1 ص8. 10 سنة 1396 ـ 1976م.

يعقــوب الكنــدي، والطبيب جبرائيل بـن بختشيوع، والجاحظ عميد الأدب العربي.

وهو لقرطبة ذلك الذي كـان يجمع بين ابن حزم الفقيه، وابن عبـد البر المحـدث، وابن مسرة الفيلســوف، وابـن القــاسـم الزهراوي الطبيب، وابن عبـد ربـه الأديب. وهــو لمراكش ذلك الـذي كـان يشتمل على القاضي عياض، وابن القطان المحدث، وابن طفيل الفيلســوف وابـن زهــر الطبيـب، والجراوي الأديب، ومن هنــا رام الحسـن الثاني من تأسيس دار الحديث، وصل مـا انقطع بسبب التخلف والاستعمار، وإحياء ما اندثر بسبب الجمود والجحود، وإعادة الازدهــار إلى مختلف العلـوم كـونيـة وإسلامية، وليجعل من هذا المركـز العلمي الجديد، عاملا من عوامل التقدم العلمي في بلادنا، ومنارا يهتدي به المسلمون في كافة بـلاد العـالم الإسـلامي في علـوم الـدنيـا والدين، فقد جرى النـاس على أن ينظـروا لعلم الحديث نظرة دينية بحتة، وهم لذلك يقصونه من الحساب إذا ذكـروا العـوامل التي أدت إلى نهضة العالم الإسـلامي، مع أنه جماع المعارف الإسلامية.(3)

ولتكون دار الحديث جامعـة علميـة في مظهـر معهـد عـال لإحيـاء السنـة، ونشر كتبها، وتحقيق ذخائرها، ولإعادة مجدهـا واعتبارها، ولوصل ما انقطع من سند هذا العلم الشريف والأصل الكريم.

ولتكـون رائدة التجـديـد والإصــلاح، وخلق روح يتجاوب صداها في كل أقطـار المغرب العربي، بل في كل بلد إسلامي.(4)

ولتكون كلية خاصة بـالحديث الشريف وعلومه، تحقيقا لأمنية المتمني وطلبة الرائد للدين(5) ولتوجد الفئة الجديدة من العلماء التي تملأ الفراغ، ويزول بوجودهـا مشكل الازدواج.(6)

ولتكون الشعلة المضيئة، والعلم الموجـد الذي يرجى أن تزداد قوته وإشعـاعـه في الخافقين.(7)

ولتكــون صلــة وصل، وصرح فكــر إسلامي مستنير.(8)

---

3) راجع خطاب الأمين العام لرابطة علماء المغرب المرحوم الأستاذ عبد الله كنـون ـ نشرة دار الحديث ـ ع1 ص11 ـ 13.

4) انظر تصريح الدكتور الحبيب بلخوجة ص75 من النشرة.

5) راجع كلمة الشيخ أبي زهرة في السجل الذهبي لدار الحديث.

6) انظر تصريح الشيخ مصطفى الزرقا في السجل المذكور.

7) راجع كلمة الدكتور محمود حب الله في السجل الذهبي.

8) انظر كلمة الأستاذ عبد الله التل في السجل الذهبي.

ولتجعل من السنة أساس الحياة وقاعدتها، وإعداد جيل من العلماء يضطلع بعبء التوعية الإسلامية.(9)

دار الحديث في تاريخ الإسلام

ولبيان المكانة المتميزة لدار الحديث الحسنية، ولمعرفة الدور البارز لها من بين جميع دور الحديث التي عرفها تاريخنا الإسلامي، والمؤسسات الفكرية المعاصرة، نرى أنه لابد من الإلمام والإشارة إلى أهم دور الحديث التي قامت في ربوع العالم الإسلامي: ودور الحديث عبارة عن مدارس خاصة لتعليم حديث رسول الله، والتفقه في فنونه وعلومه، على يد شيوخه ورجاله وكبار رواته، ولم يعرف تاريخ الفكر الإسلامي هذه المدارس إلا في النصف الأخير من القرن السادس الهجري، وكان سبب ظهورها وتأسيسها هي الخلافات المذهبية التي أخذت تنمو وتتسع بسبب التطور الفكري أولا، وبما تعرض له الجناح الشرقي من العالم الإسلامي من هزات عنيفة على يد الأتراك والبويهيين، مما سهل على المغول والتتار غزو بغداد، الأمر الذي أدى إلى الفوضى والخراب في سائر المجالات، وما تلى ذلك من حركات الخوارج والعبيديين في الجناح الغربي مهد للغزو الصليبي.(10)

وهكذا وجد المسلمون أنفسهم في مواجهة الغزو الصليبي، مما دعاهم إلى إعداد العدة العسكرية للقضاء عليه ووقف زحفه، كما وجدوا أنفسهم في مواجهة تيار الشيعة الباطنية الزاحف، الأمر الذي كان السبب المباشر لإنشاء معاهد علمية خاصة، للحفاظ على السنة وحمايتها من عبث الغزاة الزاحفة، ومقاومة تياراتها وطغيانها، كما تمثلت الغاية من إنشائها في:

- الرغبة في إنعاش الثقافة الإسلامية في مناهجها.
- وبعث روح الحماس والجهاد في نفوس المسلمين لمقاومة الأعداء.
- وطرح ما كان ران عليها من غبار التكاسل والتخاذل.(11)

وهكذا عرف تاريخ الفكر الإسلامي في النصف الأخير من القرن السادس الهجري، ظاهرة جديدة أضعفت بعض الشيء الرحلة في طلب الحديث، ذلك أنه حتى أوائل القرن، لم يعرف المجتمع الإسلامي مدارس خاصة لتلقي الحديث، وكان الطلبة يضطرون إلى الارتحال

9) راجع تصريح الشيخ محمد المبارك في نشرة دار الحديث.
10) انظر تفصيل الموضوع (دور الحديث وأثرها في حفظ العلم) مجلة دار الحديث ع2 ص153 و154 سنة 1401هـ - 1981م).
11) (تاريخ التربية الإسلامية) لأحمد شلبي ص99.

والتجوال لطلب الحديث، وروايته وتعلمه، شأنهم في ذلك شأن المسلمين منذ ظهور الإسلام، حيث كانوا يتعلمون السنة ويأخذونها من صاحبها، ثم من صحابته وتابعيهم بعد تفرقهم وانتقالهم إلى البلاد والأمصار.

وإنما عرف تاريخنا قبل منتصف القرن السادس الهجري مدارس متخصصة في الفقه ومذاهبه، وآراء المجتهدين، أسست في كل مكان، لتزويد جهاز الدولة بالقضاة والمتشرعين.(12)

وهكذا تأسست في مختلف الأقطار الإسلامية دور للحديث عرفت واشتهر منها:

1) **دار الحديث النووية:**

وهي أول دار الحديث أنشئت بدمشق سنة 569هـ، أنشأها نور الدين محمود بن أبي سعيد الزنكي، وكان ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق وأحد حفاظ الإسلام، من شيوخ هذه المدرسة التي كانت منظمة تنظيما خاصا.(13)

2) **دار الحديث الكاملية :**

وقد تأسست هذه الدار بالقاهرة سنة 622هـ، بأمر الملك الكامل ناصر الدين الأيوبي، وكان الحافظ عمر بن الحسن المشهور بابن دحية أول أساتذتها وشيوخها.(14)

3) **دار الحديث الأشرفية :**

وقد تأسست بدمشق سنة 626هـ، وقد عين الحافظ ابن الصلاح أول شيخ لها، كما عرف من بين أساتذتها الإمام محيي الدين النووي، شارح صحيح مسلم، المتوفى سنة 676هـ، وقد انفردت هذه الدور الثلاثة بالأسبقية التاريخية، والشهرة العريضة في العالم الإسلامي، ثم أنشئت بعدها دور للحديث الشريف في كل من مصر، والشام، والعراق، وتركيا، وكانت تسير على منوالها وتقتفي أثرها، وتطبق برامجها، وذلك مثل النبيهية، والسكرية، والظاهرية، والمستنصرية، والسليمانية، وغيرها.(15)

ولم يقتصر تأسيس دور الحديث على الملوك والأمراء، بل شاركهم في ذلك العلماء

---

12) (علوم الحديث ومصطلحه) للمرحوم الدكتور صبحي الصالح ص73 و74.
13) انظر (الخطط) للمقريزي 211/4.
وراجع (دور العلم عند العرب) لوستنفلد.
14) علوم الحديث ص 74 نقلا عن (الخطط) للمقريزي.
15) راجع في الموضوع (تاريخ التربية الإسلامية) ص98 وما بعدها.
و(دور الحديث وأثرها في حفظ العلم) ص154 و155.

والموسرون والـوزراء، وسـواهـم ممن لاحظتهم العناية والتوفيق.

كما أن هذه الدور لم تقتصر على خدمة الحديث ونشر علومه، بل قامت بدور فعال بالأمر بالمعـروف والنهي عن المنكـر، وإرشـاد المسلمين وتـوجيههم، وتكـوين الأطر الصالحة للـدفـاع عن مقدسـاتهم، وكسر شـوكـة أعـدائهم، ونشر مكـارم الأخلاق بين مجتمعاتهم.

كما نلاحظ مزيـة أخـرى امتـازت بها دور الحديث، وهي سكنى بعض الأساتذة والشيوخ فيها، من أجل التفرغ للتـدريس، والقرب من الطلبة، وقد اشتهر ممن كانـوا يسكنون بها:

الإمـامـان ابن تيميـة، وابن رجب في «السكرية»،(16) وابـن دحيـة في «الكاملية»،(17) والحافـظ المزي في «الشقشقية»،(18) والإمام النووي، والشيخ تقي الدين السبكي «بالأشرفيـة»،(19) وما أجمل أن نـردد هنـا البيتين الشهيريـن اللذين أنشأهما السبكي، وكـان يـرددهما دومـا تعبيرا عن حبـه للحـديث الشريف، وفرحته بـالسكنى بـدار الأشرفيـة وسط طلبتها قال:

وفي دار الحديث لطيف معنـى
على بسـط أصبـو وآوي
عسى أني أمس بحـر وجهـي
مكانـا مسـه قـدم النـووي(20)

المراحل التي مرت بها دار الحديث

لقد مر على إنشاء دار الحديث الحسنية أكثـر من عقـدين من الـزمن، قطعتهـا في جهاد مستمر كبير، وعطـاء علمي غـزيـر، مستمدة عزمها وتطلعها من عزم منشئهـا وتطلعه العظيم، ومتحدية في سبيل الغايات والنتائج العراقل والصعوبات، ومتطلعة إلى شم القمم، وعظيم العلياء، لتستعيد السنـة الشريفة مكانتها السامية في حياة المسلمين، وتستعيـد مجدهـا التليـد في التشريـع والسيادة.

وهكـذا يمكننـا أن نقسم المراحل التي مرت بها دار الحديث إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى :

وهي مـرحلـة التأسيس والإنشـاء، وتبتـدىء منـذ تـدشينهـا بـالقصر الملكي بالربـاط في إحـدى الـدروس الحسنيـة في رمضان سنة 1384هـ/ 1964م، وقـد

---

16) مجلة المجمع العلمي بدمشق / المجلد 12 ص442.
17) (المفاخر السنية) لعبد الله الهلالي ورقة 31 (مخطوط).
18) (دور الحديث) للأستاذ الحسين وجاج ص157 و158.
19) المرجع السابق ص 158.
20) (طبقات الشافعية) 5/ 165.

استمرت هذه المرحلة منذ إنشائها إلى أبريل سنة 1977م.

وتميزت هذه الفترة بإنشاء كرسيين أساسيين في الدار هما:

- كرسي الدراسات العليا في علوم القرآن والحديث.

- وكرسي الدراسات العليا في الفقه وأصوله وأصول الدين.

وقد تخرجت في هذه الفترة حوالي عشرة أفراج حصلت على شهادات دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية، ونوقشت فيها أربعة وثلاثون رسالة دبلوم في مختلف التخصصات، قرآنا وسنة وفقها وأصولا، وقد بلغ عدد رسائل الدبلوم في موضوع الحديث وعلومه، عشرة، بنسبة الثلث من مجموع الرسائل المناقشة، وهي أربعة وثلاثون رسالة دبلوم، وقد كان موضوع أول رسالة نوقشت بدار الحديث بتاريخ 29 أبريل 1970 «البينات أو رسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية».(21)

كما امتازت هذه الفترة بمشاركة عدد من خريجي دار الحديث الحسنية، في إلقاء دروس حسنية أمام صاحب الجلالة، تكوينا للخريجين، وتنويها برسالة الدار ودورها.

المرحلة الثانية :

وتبتدىء هذه المرحلة منذ أبريل 1977م إلى مايو 1987م، وتعتبر فترة التنظيم، واستكمال تأسيس، وإنشاء بقية مرافق الدار، وأسسها، ومعالمها.

وقد كانت هذه المرحلة غنية بعطاءاتها، وبما بلغته الدار من نتائج يفتخر بها تاريخنا الفكري، ويمكننا أن نذكر هنا بعض ما امتازت به هذه المرحلة:

- إنشاء دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية، حيث نوقشت أول دكتوراه في الحديث، في موضوع أبي عبد الرحمان بقي بن مخلد القرطبي، شيخ الحديث في الأندلس بتاريخ 1978/7/18م، وقد كان هذا الحدث فريدا ليس بالنسبة للدار وخريجيها، بل بالنسبة لبلادنا التي عرفت في هذا التاريخ أول دكتوراه في العلوم الإسلامية، كانت إيذانا بالفترة الذهبية التي ابتدأتها دار الحديث في مسيرتها، والعلامة المتميزة في تاريخنا.

وقد بلغ ما نوقش من أطروحات في هذه الفترة خمسة عشر أطروحة، كان عدد الأطروحات في موضوع الحديث وعلومه سبعة، هي نسبة ممتازة تبلغ نصف عدد مجموع الأطروحات، كما نوقشت في هذه المرحلة خمسة وأربعون رسالة دبلوم في

---

21) راجع تفصيل ذلك في كتابنا (معالم إسلامية) ص57 وما بعدها.

الدراسات العليا، بلغت نسبة الرسائل في موضوع الحديث ثمانية، مما يجعل مجموع رسائل الدبلوم المناقشة إلى اليوم بدار الحديث الحسنية أكثر من مائة رسالة في مختلف مجالات التخصصات الإسلامية.

كما امتازت هذه المرحلة بإنشاء مجلة دار الحديث الحسنية، وهي مجلة جامعية أكاديمية، صدر العدد الأول منها سنة 1399هـ/ 1977م، وبلغ مجموع الأعداد الصادرة منها إلى الآن ثمانية أعداد، ونستطيع أن نباهي من هنا بهذه المجلة العتيدة التي استطاعت أن تثبت وجودها وترسخ أقدامها، وتحافظ على مستواها، وتصحح على قصر عمرها إحدى مصادر البحث العلمي والأكاديمي في بلادنا، لشدة إقبال الباحثين والدارسين عليها، لا في بلادنا فحسب، بل من مختلف بلاد العالم الإسلامي.

كذلك امتازت هذه المرحلة بإنشاء جناح جديد بدار الحديث على الطراز المغربي الأصيل، يضم قاعات الدراسة، وغرف الأساتذة، والخزانة، وقاعات المناقشة والمحاضرات، والمسجد، وهي الإنشاءات الجديدة التي كانت الدار في مسيس الحاجة إليها.

كما امتازت هذه المرحلة واكتملت بصدور المرسوم المتعلق بتحديد نظام الدراسات والامتحانات بالدار، وقد كان صدور هذا المرسوم نهاية للمعاناة، ولكثير من الصعوبات والعراقل التي حاولت وقف مسيرة الدار لمدة تجاوزت ثلاث سنوات.

النطق الملكي بداية المرحلة المقبلة

المرحلة الثالثة :

فتبتدىء في رأينا منذ النطق الملكي يوم 26 رمضان 1411هـ، في ليلة القدر، ولدى اختتام الدروس الحسنية، حيث ألقى جلالة الملك كلمة توجيهية ذات مرامي ومعاني، نبه فيها العلماء إلى ضرورة الالتزام بالتقاليد المرعية التي عرفتها بلادنا، وحافظت عليها في سنة الدروس الملكية، وقيامها على الكتاب والسنة، وانطلاقها من نبعهما وبنائها على أساسهما، وخاصة علم الحديث الذي هو جماع المعارف الإنسانية، واتباع طرق الاستنباط، ومناقشة الآراء، وعرض القضايا التي تدعو إلى التفكير والتدبر والتقدير.

وتوجه بالحديث والتشجيع إلى خريجي دار الحديث والدارسين بها، ودعاهم إلى الإقبال على المشاركة في الدروس الحسنية، وتطبيق مناهج علماء المغرب والسير عليها، ولكونهم ينتسبون إلى دار هي أحق بخدمة الحديث ونشره بين الناس.

يقول جلالة الملك في كلمته التوجيهية:

«وقد ذكرنا سادتنا العلماء الأساتذة المحترمين بالتقاليد المرعية في هذا الباب، والتي فتحنا عليها أعيننا، ألا وهو أن صحيح البخاري يختم في آخر رمضان بعد ثلاثة أشهر من التدارس كل سنة، فتعقد مجالس برئاسة السلطان أو الملك كل عشية وطيلة الأشهر الثلاثة، كانت الدروس والمناقشات تروج أمام العلماء.

وقد حضرت في نقاشات حادة جدا حينذاك، ومن ثم وجدت في نفسي - وذلك قبل البلوغ الشرعي - ميولا عظيمة إلى علم الحديث، لأن هذا العلم يلم بجميع أنواع المعرفة الشيقة، التي يتطلع لها أو إليها كل ذي فكر يريد أن يزيد في معلوماته حقبة بعد حقبة، فلذا طلبت منكم معالي العلماء أن تسيروا على نهج أسلافكم ومن سبقكم وأساتذتكم ومشايخكم.

ثم وجه جلالته الحديث للعلماء خريجي دار الحديث الحسنية خاصة فقال:

«فرجائي منكم معالي العلماء والمشايخ، أن تبنوا دروسكم المقبلة للسنة المقبلة إن شاء الله على هذا المنهاج، وخصيصا الذين يتابعون دروسهم أو دراستهم في دار الحديث الحسنية، فمع الأسف منذ ثلاث سنين أو أربع سنوات، لم أر خريجا واحدا من دار الحديث الحسنية، أتى ليلقي الدرس أمامنا، وما وضعت دار الحديث إلا لحفظ الحديث وطرقه والتطرق إليه كما يجب، وكما ينبغي.

نحن في ليلة القدر، فهذا الكلام ليس لوما ولا مؤاخذة، لكن هو تشجيع لخريجي دار الحديث **﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾**(22) حتى نرى على الأقل غرسنا يانعا ومبشرا بالخير».(23)

وهكذا أبى جلالة الملك في ختام الدروس الحسنية وعلى الملإ جميعا، وأمام الأمة المغربية كلها، أن يعطي لدار الحديث كامل اعتبارها، ويقدر خريجيها وعلماءها التقدير اللائق بهم، ويضعهم أمام مسؤولياتهم، باعتبارهم خلفا وامتدادا لسلف صالح، من جيل الشيوخ والعلماء الذين شرف بهم تاريخنا الفكري والحضاري، وكانوا سلسلة ذهبية تطوق جيدنا، باعتبارهم الأمل والمناط لتحقيق إحياء السنة ورفع أعلامها، وإعادة أمجادنا العلمية التي عرفها تاريخنا، واعتز بها، فلنكن في مستوى المسؤولية التي حملنا إياها قدرنا، وشرفنا جلالة الملك

22) سورة الضحى - الآية : 11.

23) انظر نص الخطاب الملكي كاملا في جريدة الميثاق الوطني ع3224 بتاريخ 28رمضان 1407هـ/ 27 - 5/ 1987م.

بحملها، حتى نكون جميعا دارا وخريجين في مستوى طموح بلادنا وملكنا.

ومن هنا ينبغي أن يكون النطق الملكي بداية مرحلة جديدة في مسيرة دار الحديث الحسنية، ونبراسا يضيء لها معالم المستقبل، ومنهاجا تتحقق على هديه الخطوات المتوثبة والمنتظرة منها، لتواكب تطور البلاد، وتحقيق آمال المغاربة وملكهم فيها.

الخطوات المقبلة

ومن أجل ذلك كله، نرى آفاق مستقبل دار الحديث من خلال الخطوات التالية:

- مراجعة مناهج دار الحديث التي لم تراجع مراجعة تواكب تطورها، وتحقق غاية إنشائها، ومقاصد مؤسسها، وذلك بتخصيص شعبة للسنة وعلومها، من شأنها التوسع في الحديث وعلومه وكتبه، باعتبار الدار دار حديث أولا وأخيرا وقبل كل شيء.
- جعل الكتب الستة في الحديث وشروحها، ومسانيد الأئمة الأربعة، وكتب الرجال والطبقات، والجامع الكبير، وأمهات كتب المصطلح، والجرح والتعديل، والتراجم، والمشيخات، كتبا أساسية مقررة في هذه الشعبة، إذ لا يتصور أن يتخرج الطالب من دار الحديث وهو لا يلم بهذه الأمهات الضرورية، ولا يعرف شيئا عنها، ولم يدرسها، وهي الأدوات الضرورية لمن يريد أن يتعلم الحديث، ويدرسه، ويتفقه في فنونه.
- اعتبار تلك الأمهات هي المنهج الدراسي لطلاب شعبة الحديث، لا الاعتماد على الملخصات كما هو الوضع السائد الآن.
- السعي لإنشاء كرسي الحديث بجامع السنة، ونقل بعض دروس الحديث حول البخاري ومسلم والموطإ إلى الكرسي نفسه، لما في ذلك من إحياء لطريقة علمية تفيد الأساتذة والطلاب، وتعيد لكتب الأمهات في الحديث قيمتها واعتبارها، كما وجه جلالة الملك أخيرا إلى ذلك، وألح عليه في نطقه الملكي في رمضان.
- إقامة ندوات دورية للفكر الإسلامي، للتعريف بأئمة المسلمين وعلمائهم وروادهم وخاصة في مجال الحديث الشريف، لما في ذلك من إثراء للفكر، وحوار ومناقشة كانت أساس مناهج دور الحديث، وسلوكها المستمر، وسنتها المتبعة، وحتى لا يبقى نشاط الدار محصورا في الدروس والمحاضرات المعتادة.
- زيادة العناية بكتب التراث الحديثي عموما والمغربي منه بصفة خاصة، إذ أن نسبة رسائل الدبلوم في الحديث لا تساير غاية إنشاء الدار ومقاصدها، مما يدعو إلى توجيه الباحثين والدارسين إلى هذا التراث

الحديثي الضخم، الذي تزخر به خزائننا ومكتباتنا، وفي صدارته الشروح المغربية لصحيحي البخاري ومسلم، وشروح الموطإ، وغيرها من كتب الحديث، مما لم يبصر النور إلى الآن على نفاسته وندرته وقيمته العلمية، مثل كتاب (النامي في شرح الموطإ) للعلامة الداودي المغربي، و(النهر الجاري في شرح البخاري) للشيخ محمد سالم المجلسي في سبع مجلدات، و(الفجر الساطع على الصحيح الجامع) للفضيل الشبيهي في أربع مجلدات، و(إكمال المعلم في شرح فوائد مسلم) للقاضي عياض، وسواها كثير من عيون تراثنا الخالد.

- إصدار دليل علمي أكاديمي دوري يعرف بالدار، ومناهجها، وكراسيها، وأساتذتها، وطلبتها، وبالأخص رسائلها وأطروحاتها، فلم تعرف الدار إلى اليوم دليلا علميا بهذا المعنى، مما يعتبر ضرورة حيوية للتعريف بمسيرة دار الحديث، وعرض نتائجها، والتخطيط لآفاقها، ويكون صلة وصل بينها وبين الجامعات المختلفة، والمعاهد المتخصصة، والمراكز الثقافية الكبرى.
- انتخاب مجلس للدار تطبيقا لمقتضيات الفصل الخامس من ظهير تأسيسها، وكما هو الشأن القائم في مختلف المؤسسات التعليمية والجامعية ببلادنا، وذلك ضمانا لحسن سير الدار، وتحقيق أعظم النتائج، وإشراك الطلبة إلى جانب الأساتذة في تدبير شؤونها ومراقبة خطواتها، وهو نهج الشورى والديمقراطية الذي اختارته بلادنا، ورضيه جلالة الملك، وأقره ودعا إليه، وخاصة للمؤسسات الجامعية والثقافية.

آفاقها ومستقبلها

إذا كان الأمل معقودا على دار الحديث الحسنية وخريجيها في إحياء العلوم الإسلامية، وتأصيل الدارسات الإسلامية، وتكوين جيل من العلماء الأكفاء، يربطون الحاضر بالماضي، ويعملون على نهضة الإسلام ورفع شأن المسلمين.

وإذا كانت طلائع الخريجين أخذت تتقدم الصفوف، وتستقطب الاهتمام بما تبدع وتحقق، وما تقوم به من نشاط في مجال الدعوة، ونشر وتحقيق في مجال الثقافة والفكر، حيث ألقى خريجوها في سنة واحدة حوالي خمسمائة درس ومحاضرة وندوة، في مختلف جهات المملكة، تطوعا وبدون مقابل أو جزاء، سوى خدمة هذا الدين وإعلاء شأنه، وتبصير المسلمين بدور الإسلام في الحضارة الإنسانية، وبصلاحيته لإخراج

البشرية من ارتباكها، وإنقاذها من سقوطها.(24)

ولأهمية هذا العطاء وقيمته، فقد تسابقت دور النشر والمكتبات والمطابع في مختلف البلاد العربية والإسلامية إلى طبع رسائل الخريجين وأطروحاتهم، وجعلها في متناول الباحثين والدارسين في مختلف التخصصات، والذين اتخذوها مراجع ومصادر لبحوثهم ورسائلهم ودراساتهم.

كما نلاحظ أن هؤلاء الخريجين أخذوا يحققون آمال رائد الدار ومؤسسها، في تأطير المؤسسات الثقافية العليا للبلاد، وتوجيه البحث العلمي الإسلامي في سائر المجالات، وهكذا أصبح من الخريجين الوزير، والعميد، ورئيس المجلس العلمي، وأستاذ كرسي الدراسات الإسلامية، ورؤساء الشعب الجامعية، وعضو أكاديمية المملكة، والنائب البرلماني، وسواها من الوظائف العليا في المملكة، بالرغم من قصر الفترة التي قطعتها دار الحديث من عمرها والتي لا تتجاوز العقدين من الزمان.

إلا أن هذا الجهد وحده لا يكفي ولا يشفي، فإن دور بلادنا أكبر، ومسؤوليتها تجاه الإسلام والمسلمين أعظم وأخطر، إذا قورن ذلك بالجهد العظيم، والجهاد الكبير، الذي قامت به الأجيال اللاحقة من الآباء والأجداد في ربوع العالم الإسلامي، بما علموا وأرشدوا، وبما أناروا وفتحوا، وهو مصداق ما قاله جلالة الملك: «بأن فتوحاتنا العلمية لم تكن تقل أهمية وتأثيرا عن فتوحاتنا السياسية».

ذلك أن عالمنا الإسلامي اليوم، متعطش إلى من يهدي شعوبه، ويبصر شبابه، ويفقه أجياله، بحقيقة دينه، وينير في النفوس شعلة الإيمان التي كانت متأججة مشتعلة، في قلوب الأجيال الأولى من المسلمين، كما أن تراثنا العظيم الضخم ينتظر العقول المتفتحة المتبصرة، والجهود المتضافرة، للعلماء الأكفاء لنفض الغبار عنه، وتحقيقه ونشره.

أما على مستوى المجتمع المغربي، فقد ظهر أثر هذا العمل جليا، حيث أخذت نتائجه تبدو للعيان، فقد أصبح الشباب والصغار يقبلون على قراءة الحديث وحفظه، حتى استطاع أحد الشباب في إحدى مباريات حفظ الحديث، أن يسرد ألفين وخمسمائة حديث بأسانيدها، واستطاع شابان من زعير أن يسردا ألفي حديث بالرواية عن الصحابي.

وذلك ما دفع جلالة الملك إلى إصدار الأمر بإجراء مباراة سنوية لحفاظ الحديث،

---

24) راجع تفصيل الموضوع في كتابنا (معالم إسلامية) ص61.

وتخصيص جائزة مالية لمن يحفظ كمية وافرة من صحيح البخاري أو الموطإ.(25)

إن النطق الملكي ليلة عيد القدر الأخيرة فتح الآفاق أمام دار الحديث الحسنية، وأعطى نفسا جديدا لأساتذتها وخريجيها، ووضعهم وسط الساحة الفكرية، ودعاهم إلى تحقيق رسالة الدار التي ينبغي أن تكون أهم معلمة حضارية للثقافة الإسلامية لا في بلادنا فحسب، ولا في منطقة المغرب العربي، بل في العالم الإسلامي كله، وهو ما يدعونا إلى مضاعفة الجهود، وحث الخطى، ورسم الخطط، وتعزيز ذلك بأعمال متواصلة، وتحركات مستمرة، تحقيقا للإنجازات، وتوخيا للأهداف والمقاصد، وفي مقدمتها إحياء السنة وعلومها، حتى تصبح دار الحديث محط أنظار العالم الإسلامي، ذلك هو قدرنا، وتلك هي رسالتنا ومسؤوليتنا التي ينبغي أن نتحملها بشرف وتقدير، يحدونا الأمل الكبير، والطموح العظيم الذي نتحلى جميعا به، والذي ما فتىء جلالة الملك يبعثه فينا، ويحفزنا دوما لنكون في مستوى المسؤولية التي حملها الله للعلماء ورثة الأنبياء، مصداقا لقوله عليه السلام: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».(26) حتى تستمر بلادنا في القيام بدورها العلمي الرائد بين البلاد الإسلامية، وصلا للحاضر بالماضي، وربطا للحاضر بالمستقبل المبشر بكل خير لدول الإسلام بإذن الله وعونه، ذلك الدور الذي يفرضه عليها وجودها ومركزها، باعتبارها بلاد جامعة القرويين أول جامعة عالمية، وتعتز باحتضانها والمحافظة عليها، ودوام رسالتها، واستمرار عطائها وإشعاعها، امتدادا لتاريخنا العريق، وأصالتنا في هذا المجال، وتحقيقا لتطلعات وآمال المغاربة جميعا، وفي مقدمتهم، رائد دار الحديث ومنشؤها ومدعمها وراعيها، حتى نعيد لبلادنا إشعاعها الحضاري، وتقدمها الفكري، وخاصة في ميدان العلوم الإسلامية، وكما دعا إلى ذلك شاعرنا المرحوم أبو بكر بناني بقوله:

أرى علم الحديث غدا ينادي
على من كان له فيه له دراية
فنرجو الله للتحديث قوما
بإسناد الحديث لهم عناية
وفي دار الحديث لنا رجاء
تخرج من تتم به النهاية

حقق الله الرجاء، وكلل المساعي، وأنجح الأعمال، وبلغنا المقاصد، وهدانا سواء السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الرباط ـ يوسف الكتاني

---

25) انظر تفصيل ذلك في كتاب (معالم إسلامية) ص61 و62.

26) رواه البيهقي عن إبراهيم بن عبد الرحمان.
(التمهيد) 1/ 59 و(مشكاة المصابيح) 1/ 82.

نهضة الأمّة في قوّة شبابها

للأستاذ
القاسمي مولاي المهدي
رئيس
المجلس العلمي الاقليمي
بالرشيدية

في ظلال الوحدة الوطنية، والشعور بالاعتزاز، والتعبئة الشاملة لخوض المزيد من المعارك، وتحقيق الانتصارات، تشرق على هذا البلد الأمين، شمس ذكرى من أغلى ذكرياته، ذكرى عيد الشباب المجيد، الذي تخلد فيه الأمة هذه السنة، الذكرى الثانية والستين لميلاد أمير المومنين، باني المغرب الحديث، جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، وهي مناسبة لكل مواطن، للتعبير عن حبه وتعلقه برمز وحدة البلاد، وضامن عزها وسؤددها، واعتزازه بملك مناضل، خاض غمار الجهاد، وتمرس على مواجهة مختلف التحديات منذ نعومة أظفاره؛ بعد أن وجد في جلالة والده المشمول برحمة الله وعفوه، الملك المجاهد محمد الخامس، وفي الوضع المضطرب الذي كانت تجتازه البلاد إبان عهد الحجر والحماية، أحسن مدرسة للتكوين العلمي والسياسي لجلالته، فتحمل إلى جانب والده العظيم مسؤولية الاستقلال، وبناء المغرب الجديد.

ومن البديهي، أن هذه المسؤولية تعاظمت بعد أن التحقت روح والده بالرفيق الأعلى بعد حياة مليئة بجلائل الأعمال، وصور التحدي الشامخ، إذ صار جلالة الملك الحسن الثاني هو المسؤول الأول عن سيادة مملكته، والحامي لحوزتها، والقابض على مقاليد أمورها وإدارتها، والمخطط الرشيد لنمائها

وازدهـارها، فـرسم وخطـط وعبأ وجنـد حفظه الله، واختار أحســن السبل لتحقيق طمـوح شعبه ومـراميه وأهـدافه كشعـب عريـق ساهم في صنع وازدهـار الحضارة الإسلامية في إفريقيا والأندلس.

وقد أراد رعاه الله أن تتخذ ذكرى عيد ميلاده الميمـون مناسبـة لاستنهاض همم الشبـاب ومحطـة سنـوية يتـوقـف هـذا الشبـاب، عندهـا لمراجعـة حسـاباتـه مـع خـالقه، ومــع وطنــه، وليستنهض هممــه، ويتغذى بالمزيد من الطموح والأمل لمواجهة معركـة البناء والتشييد بتفــان وإخلاص، بـوصف الشبـاب هـم أعمـدة بناء الأمـة، وأسس نهضتها.

وفي هذا الإطار، وفي حـدود هذا المفهوم لدور الشباب، نجد جـلالة الملك يحدد هذه الأهداف النبيلة، والمقاصد الجليلة في إحدى خطبـه الساميـة بمنـاسبـة عيد الشبـاب، موجها خطابه إلى شعبه العزيز قائلا:

هـا نحـن منـذ سنـة ألـف وتسعمائة وسبعـة وخمسين (1957)، نحتفل بعيـد تاسـع يوليوز، وهكذا أصبح هذا الاحتفال، ليس احتفـالا بعيد رجـل واحد، ولا بعيـد ميلاد ملـك، بل أصبح عيـد تجديد وتجدد الشباب كل سنة، في هذه المناسبة السامية، مناسبة تاسع يوليوز.

وتجدد الشبـاب، له معـان كثيرة، ولــه فلسفة عميقة، ذلك أن الشباب:

أولا : ينطوي على سريرة نظيفة طاهرة، وكلما طهرت، تجلـت الغايـات والمقاصــد، وسهل إذ ذاك الوصول إليها وبلوغها.

ثانيا : الشبـاب يعني أن لا مستحيـل مع الشباب.

وهكذا شعبي العزيز منذ أن قلدني الله أمر شـؤونك، خضنا ميـدان المستحيلات، وانتصرنـا ــ وللـه الحمد ــ في ميـاديـن المستحيلات، الشباب يعني: يقظة مستمرة، وحـرصـا لا ينقطـع على كرامـة الـدولـة، وحوزة الوطن، والحفاظ على الأصالة.

ففـي هذا النطـق الملكـي الســامي، مـا يشفي الغليل في استيعاب المغازي والمرامي التي ينبغي استخلاصـها من هذه الذكرى، وفيــه الغوص في أعماق نفسيـة الشبـاب، وكشف ما تزخر بـه من طاقات وتطلعات نحـو الخير والفضيلـــة والجمال، كما يجد كل شاب في التعريـف الملكي لدور الشباب في الحيـاة، المنهجيـة الواضحـة، والسبيـل الأقوم، والحافـز الأقوى، الـذي يحفزه إلى القيـام بـدوره في خـدمـة بلـده، وتسخير طـاقاتـه الجسميـة والفكـرية، ومـواهبـه الإبــداعيـة، لبنــاء أمتـه، والحفـــاظ على مقوماتها.

ونستخلص كذلك مـن هذه التوجيهات الملكية الرشيدة، أن دور الشباب في نهضة المجتمعات دور أســاسي وفاعل، فـإن الأمة

الناهضة هي التي تعتز بالأطهار من شبابها، فهم دائما بناة نهضتها، وركائز تقدمها، فهي تسمو بسمو أخلاقهم، وتتقدم إلى الأمام بجلائل أعمالهم، وتنتصر على العدو بشجاعتهم وإقدامهم، ولن تتوفر هذه المقومات إلا في شباب حسنت تربيتهم، ولم تتدنس أخلاقهم، واتخذوا من سلفهم الصالح القدوة الحسنة، والمنهجية السليمة في العمل المنتج في مجالي الدين والدنيا.

وإذا كان جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، يهتبل كل مناسبة سانحة ليسدي إلى شبابنا نصائحه الغالية، فإنه يدرك أن السر في تقدم أي مجتمع، يكمن في مدى وعي شبابه، واندفاعه لتحقيق الخير والرفاه لأبنائه.

وقد أنبأنا التاريخ أن الأطهار من الشباب في عهد الرسالة المحمدية، كانوا هم أصحاب المواقف المشهودة في الجهاد، وبناء صرح المجتمع الإسلامي، فهم الذين بادروا إلى الرسولﷺ حين دعاهم إلى الحق، فآمنوا به، والتفوا حوله، وجاهدوا معه على أساس من تقوى الله، وطاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، واتباع هداه، وأن الإسلام بحكمته البالغة، خط لشباب الأمة الإسلامية منهجا تربويا سليما، يهدف إلى إعداد شباب طاهر مطهر، لأنه عماد الأمة وقوتها، بهم تقوى شوكتها وتحفظ هيبتها، وتدفع بهم من يريد إذلالها واستعبادها. ولن يكون ذلك إلا إذا كان هذا الشباب طاهر النفس، صحيح البدن، تجري في عروقه دماء العافية، ناضج الفكر، إذا صارعته الأحداث صرعها، وإذا أقبل على أرض وطنه أنشأها وعمرها، وأخرج كنوزها.

ومما ينبغي التأكيد عليه بالنسبة للشباب المسلم، كشبابنا، أنه يتحتم أن تكون لنا في رسولنا الأعظم سيدنا محمدﷺ، القدوة المثلى، والنبراس المضيء، لمواجهة كل شأن من شؤون الدين والدنيا. فقد كانت حياتهﷺ صورة من أخلاق شبابه: فضائل عالية، ومكارم عامة أكرمه بها ربنا عز وجل بقوله: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**.

والمتصفح لسيرتهﷺ، ولمرحلة شبابه على الخصوص، يرى فيها الطهر والنبل، والنشأة المثالية العالية، التي يجد فيها القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة.

فعلى شباب الإسلام أن يقتدى بها في حياته، منتهجا فيها نهج الإسلام ورسول الإسلامﷺ، ولهذه الغاية بعثﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وليكون قدوة لشباب هذه الأمة، يدعوهم إلى أن يحفظوا الله ليحفظهم، وحفظ الله يكون بالاستقامة والتقوى. ولهذا عد رسول اللهﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل

إلا ظله: الشاب الذي نشأ في عبادة الله، فهو جدير بأن يكون في رعاية الله وفي كنفه، وأن انتشار مبادئ الإسلام بالسرعة التي انتشرت بها، وشساعة الرقعة التي أنارتها، تم على كواهل شباب آمنوا بربهم، فكلاهم برعايته، فحقق الله على أيديهم المعجزات. وتاريخ الإسلام حافل بنماذج من هؤلاء الشباب، وبما بنوه من شوامخ العز والسؤدد.

ولهذه الغاية النبيلة المتجلية في عظم، مسؤولية الأمانة التي ألقيت على كواهل شباب فجر الإسلام، نرى الرسول الكريمﷺ يربيهم على موائد الإيمان، ويعنى بهم أيما عناية، ونجدهﷺ يسدي ذلكم التوجيه الرشيد إلى كل فرد منهم في شخص ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قائلا له:

«ياغلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف».

يتضح لنا من هذا الخطاب النبوي البليغ، أن الكلام موجه إلى عموم الأمة وإلى شبابها على الخصوص، لأنهم هم الذين تناط بهم في كل عصر من العصور آمال الرسالة، وابتناء الحضارة، لما يتميزون به من الحيوية والقوة والنشاط. ولما يحدوهم من حب التجدد والنهوض، ولذلك تراهم يستجيبون للدعوات، ويقتحمون المغامرات.

وإن أمتنا لا تفتقر اليوم إلى شيء افتقارها إلى شباب مسلم، مؤمن بربه، ومتشبع بمقومات وتاريخ وطنه، لأن ذلك الإيمان الصحيح، هو منبع الفضائل، وبعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والعمل بما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، تأتي بعد ذلك أنواع الإيمان الأخرى: الإيمان بالنفس على أن فيها الاستعدادات المتعددة التي لا تنمو إلا بالإرادة، وقوة العزيمة، والتصميم في مواجهة الأزمات والشدائد، وتحمل المشاق، يأتي الإيمان بالمجتمع على أن كل فرد فيه هو عضو يجب عليه أن يعطي المجتمع بقدر ما يأخذ منه إن لم يزد، كذلك الإيمان بالوطن على أنه الدار التي نسكنها، وفيه الأهل الذين نعيش بينهم، وأنه الحمى الذي نحتمي به من أحداث الزمان.

والشباب الذي تتوفر فيه هذه العناصر والمواصفات، يرتفع عند الله قدره، ويحسن بين الناس ذكره، ويحسب في عداد السابقين في الدنيا والدين، ويندرج في سلك الشباب الذين كرمهم الله في كتابه

العزيز، وفي عدة آيات من القرآن الكريم. فالله تعالى يقول صفة لإبراهيم عليه السلام: ﴿**قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم**﴾ (الأنبياء 60). وفي قوله تعالى ثناء على أصحاب الكهف: ﴿**إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا**﴾ (الكهف 10).

وفي وصف يوسف عليه السلام يقول رب العزة: ﴿**وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه**﴾ (يوسف 30). فهو فتى ضرب أروع الأمثال في الصمود أمام الإغراء، وكمال العفة، وتمام الفضيلة.

وفي ثناء القرآن الكريم على موسى عليه السلام على لسان بنت شعيب قوله تعالى: ﴿**إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾ (القصص 26). فموسى عليه السلام أعطاه الله قوة في الجسم، مكنته من أن يرفع غطاء البئر في القصة المشهورة، وأمانة في النفس، جعلته يمشي أمامها حتى لا يكشف الهواء عن بعض أجزاء جسمها، فيراها لو سار خلفها.

ومن الأوصاف الجميلة التي أضفاها القرآن الكريم على صحابة رسول الله ﷺ، وكان جلهم شبابا، ما ورد في سورة الفتح عند قوله تعالى:

﴿**محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾.

على أن هذه الأوصاف الربانية، تنطبق على كل مؤمن سار على هدي رسول الله ﷺ، واتخذ من صحابته الغر الميامين مثله الأعلى في قوة الإيمان، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، والتراحم، والتناصر ﴿**ولينصرن الله من ينصره. إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور**﴾.

إننا من موقف المومنين بربنا، الواثقين في إيمان شبابنا وقوة أمتنا، ندعو الله جلت قدرته، أن يبارك في عمر أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني، وأن يبقيه ذخرا للإسلام والمسلمين، وأن يحييه لأمثال أمثال هذه الذكرى، وهو رافل في حلل العافية والنصر والتأييد، وأن يكون له وليا ونصيرا في كل معركة يقودها

ويخوضها لعزة الدين والوطن، قرير العين، ومثلج الفؤاد، بسمو ولي عهده الأمجد صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد، وصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، والأسرة العلوية الشريفة، إنه تعالى على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

الرشيدية ـ مولاي المهدي القاسمي

الشعب يكبر فيك أعظم عاهل

للشاعر محمد البلغمي

هلت بطلعة عيدك الأقمار   وتألقت بسمائنا الأنوار !
وشدا الهزار على الغصون روائعا   فتراقصت من شدوه الأزهار
واستبشرت بقدوم عيدك أمة   ودنت لها الآمال والأوطار
وأتت إليك بشيبها وشبابها   جذلى يعم قلوبها استبشار !
تهديك من عمق الشعور تهانيا   بالحب فاح أريجها المعطار
وتبثك المكنون من إخلاصها   ولسانها التعظيم والإكبار !
لله من عيد تألق بالمنى   والخير وابتهجت به الأقطار
في كل قلب فرحة يشدو بها   وكأنما في نبضه أوتار !
يامن أفضت على البلاد أياديا   تعيى النهى في عدها وتحار
الدين مرفوع اللواء بعهدكم   فله على هام السماك منار !
والعلم موفور المناهل زاهر   وعطاؤه بجهودكم مدرار
والأرض من فيض السدود سخية   والماء مدخر بها زخار !
هذي «**ثلاثون**» أنطوت وكأنها   حلم به قد عاشت الأفكار
وبها من الإنجاز ما لم تستطع   تفصيل ما حققته الأسفار !
وكفاك فخرا **بالمسيرة** إنها   وحي حبتك بسره الأقدار
أبدعتها للسلم في زمن به   طغت الحروب وعمت الأخطار
فبفضلها ضمت بلادي **وحدة**   وأظل صحراء الحمى استقرار !

والمغرب العربي نال مراده ... وتبددت عن أفقه الأكدار
بجهودك الغراء أصبح وحدة ... كبرى، وطاب لساكنيه جوار !
إنا لنأمل أن تنال شعوبه ... ما فيه إسعاد لها ويسار :
عيش على أسس التعاون ينبني ... ومواطنون بأرضهم أحرار !
يا خير من ساس البلاد بحكمة ... وسبيله الإصلاح والإيثار
الشعب يكبر فيك أعظم عاهل ... العدل فيه فضيلة وشعار
ويجل فيك مناضلا يهوى العلى ... وعلى العروبة والإخاء يغار !
هذا الشباب إليك يرفع شكره ... ويشيد بالنهج الذي تختار !
أحييت فيه طموحه.. وجعلته ... يهوى النضال، وكله إصرار
وفتحت باب الشغل.. فانتشعت به ... آمال جيل في الحياة كبار !
إن الشباب عمادنهضة قطره ... وبجهده يتكاثر الإعمار
شكرا لما أوليته.. فبفضله ... سيزول عنه اليأس والإعسار !
فلأنت نبع للسعادة والمنى ... للشعب منه تدفقت أنهار
هذي عواطف مهجتي نسقتها ... باقات حب، نظمها أشعار !
فاقبل بها يوما الميلاد هدية ... يا **عاهلا** تهدى له الأعمار
فليرع سعيك بالنجاح إلاهنا ... وليحم جاهك جدك المختار !
وليهنك العيد السعيد ودمت في ... عز مقيم ماله إدبار
ورعى الإلاه **ولي عهد** بلادنا ... **وأخاه**.. إنه للشباب فخار
وليبق **عيدك** ما تألق كوكب ... وشدت على أغصانها الأطيار !

فاس ـ محمد البلغمي

دور جلالة الحسن الثاني في دعم الحضارة الإسلامية

للأستاذ محمد عز الدين المعيار الادريسي
كلية اللغة العربية بمراكش

توطئة :

على مدى خمسة عشر قرنا أو تكاد، ظلت الحضارة الإسلامية، تسطع أنوارها أحيانا حتى تملأ الدنيا بكاملها، وتخفت حينا، لكن دون أن تنطفيء أو يخبو نورها.

فجر ينابيعها الوحي الإلهي، وجسدها حقيقة ملموسة باهرة، محمد بن عبد الله، رسول الله، وصفوة خلقه، ومن يومها والمسلمون ـ بتوفيق من الله وعونه ـ يدعمونها، ويذودون عنها، كل حسب طاقته وظروفه.

وقد حفظ لنا التاريخ، أسماء رجال عظام، قيضهم الله لخدمة هذه الحضارة ودعمها؛ فنقشوا عليها بصمات، يضعها الزمان على مفرقه تاجا، وفي فمه أغرودة عذبة رائعة، تتغنى بها الأجيال تلو الأجيال.

ومن أولئك الأفذاذ، الذين يشرف التاريخ أن ترصع أسماؤهم جبينه، وتوشي أعمالهم نسيجه، أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني، رائد البعث الإسلامي، ومحقق آمال المسلمين، فمن وحي دور جلالته، في دعم الحضارة الإسلامية، أقتبس هذه الأقباس.

الفكر الحضاري لجلالة الحسن الثاني

ننطلق في تقديم بعض ملامح الفكر الحضاري لجلالة الحسن الثاني، من كلمة سامية لجلالته، اقتطفناها من خطاب العرش لسنة 1986 م.

يقول جلالته:

«لقد دخل المغرب دائرة الحضارة، يوم دخل في دين الله، ويوم جعل كتاب الله وسنة نبيه ورسوله، دليل حياته، الذي لا يخطيء ولا يزيغ». (1)

نعم، إن هذه الثقافة المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، هي التي أمدت الحضارة الإسلامية، بكل عناصر القوة والصلاح، فغدت حضارة عالمية إنسانية خالدة، تتميز بالرحمة والإنصاف، وتتجاوب مع طبائع الناس ومواهبهم.

واهتمام جلالة الحسن الثاني بالكتاب والسنة، علما وعملا، أمر تحدثت به الركبان، وقامت شاهدة عليه شواهد العيان. كيف لا؟؟ وهو حفيد رسول رب العالمين ﷺ ووارث سر محمد الخامس طيب الله ثراه، يفتتح خطبه ويختتمها بآيات من الذكر الحكيم، ويستشهد في كثير من المواطن بأحاديث النبي الكريم. ويعرف المطلعون على أحوال جلالته - في حياته الخاصة - أنه لا ينام كل ليلة، إلا بعد أن يقرأ حزبا من القرآن، قراءة إمعان وتدبر، واستلهام وتفكر. (2)

وقد بلور جلالته أفكاره السديدة، المنطلقة من الكتاب والسنة، في الرسالة السامية، التي وجهها إلى أبنائه المغاربة - خصوصا - وإلى إخوانه المسلمين عموما - بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري فشفى وكفى، وأزال الغشاوة عن العيون، ووضح المنهج السليم والصراط المستقيم، الذي لا يزيغ عنه الا هالك.

إنها رسالة تاريخية عظيمة بحق، وهي كما عبرت مجلة «دعوة الحق»: «وثيقة عمل للتغيير الإسلامي المنشود، سواء في الفكر والتصور والرأي والتنظير، أو في الواقع والحركة والفعل الحضاري لأمتنا من جهة، وللإنسانية جمعاء من جهة ثانية».(3)

لقد أبرز جلالته كيف أن الإسلام المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله:

«هو دين يقرر كرامة الإنسان، ولا يرضى له بالتعرض للذل والهوان، وهو دين العلم والحرية، الذي لا يعرف التحفظ ولا التقية، يدعو أتباعه دعوة ملحة إلى تعلم العلوم والفنون واللغات، ويسمح لهم بالتفتح على جميع الحضارات، إذ بذلك ينالون أسباب القوة والخلود، ويتفادون

---

1) انبعاث أمة 31/ 73.

2) مذكرات من التراث المغربي: 7/ 164 (ضمن مقال للأستاذ عبد الوهاب ابن منصور تحت عنوان، ملك موسوعي).

3) مجلة «دعوة الحق» العدد 223/ ص: 11.

أخطار الجمود والجحود، وهو دين الوفاء بالعهود، والعدل الوارف الظلال، والإحسان الشامل للوجود، وهو دين تقوم تكاليفه على أساس الرفق والتيسير، ورفع الحرج والبعد عن كل تعسير، وهو دين يعامل الناس بالإنصاف والسوية، ويلزم بالشورى بين الراعي والرعية، ويحذر المسلمين من التنازع المؤدي إلى الفشل، ويحضهم على وحدة الهدف والعمل». (4)

إنها درر غالية، وفهم عميق لفلسفة الإسلام ومبادئه، وربط محكم للحاضر بالماضي، واستشراف لغد أفضل، وأكثر تألقا وإشراقا، ولا عجب في ذلك، فإن الحضارة هي عمل الإنسان القائم على العلم والهداية، باعتباره صانع الحضارة وأهم ركن فيها، وجلالة الحسن الثاني مؤمن بالمنهج الرباني، مقتبس من أنواره، معتمد عليه في تفكيره وسيرته، باعتباره أميرا للمؤمنين، فهو يمثل القيادة الحازمة التي تجد في إيصال الهداية إلى الناس، وتحقيق نتائج الحضارة الإسلامية، المتمثلة في السعادة العملية للناس، وتجنيبهم ويلات التنازع والاختلاف. ولن يتم ذلك إلا في حضارة يتم فيها التناغم بين الروح والمادة، (5) لتنسجم مع فطرة الإنسان وتكوينه الرباني المتكامل.

وهذا ما أشار إليه جلالة الحسن الثاني، بدقة وبلاغة في قوله وهو يتحدث عن الحضارة المادية القائمة:

«إذا كان التقدم المادي، قد خطا خطواته العملاقة (...) على حساب القيم الإنسانية؛ فإنه يسير ولعله قد وصل الآن إلى متاهات الضياع، فأصبحت المجتمعات المتقدمة تبحث عن نفسها أو عن نصفها الضائع، وهذا البحث يشكل إحدى معضلات العصر الكبرى، وأبرز أسباب القلق فيه». (6)

وباختصار شديد، فإن جلالة الحسن الثاني بكل الخصائص والخلال التي يتحلى بها ويتصف، وبكل ما حباه الله من إمكانات هائلة، وطاقات فائقة، وما ألهمه من رشد وسداد وحكمة ونفاذ، لا يؤمن بحضارة منغلقة على نفسها، نرجسية أنانية تعشق ذاتها وتكفر بغيرها، بل الحكمة ضالة المومن أنى وجدها التقطها، والحضارة الإسلامية حضارة عالمية تفتح

---

4) نفسها والعدد : ص 13.

5) تقوم الحضارة - بمفهومها الحديث - على أساسين اثنين هما: «المادة» وتدل عليها كلمة «مدنية». وعلى «الروح» ويطلق عليها علماء الاجتماع «ثقافة» والصلة بينهما وثيقة، لأن المدنية هي التجسيد الحي للمعرفة النظرية «الثقافة».

6) مجلة «دعوة الحق» 21/223.

ذراعيها للجميع، وتطلب الحق والفضيلة أينما وجدا وأيا كان مصدرهما. ودون أدنى تبعية أو ضغوط خارجية، ومن ثم علينا كما قال جلالة الحسن الثاني:

«أن نربط الماضي بالحاضر لنعد المستقبل، لأنه ـ وأريد أن ألاحظ هنا بقوة ـ لا يوجد أي تناقض أو تعارض ـ بل على العكس ـ بين الرسالة الرئيسية للإسلام من جهة، وبين التيارات الكبيرة العلمية، والإبداعات الفنية المعاصرة والروح الإنسانية من جهة أخرى». (7)

جلالة الحسن الثاني وحوار الحضارات:

يجد المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في جلالة الحسن الثاني، المجمع للأمة الإسلامية، الموحد لصفها، المتفاني في الإخلاص لقضاياها، وما دعوة جلالته، لانعقاد أول مؤتمر إسلامي. على أرض المملكة المغربية، عقب إحراق المسجد الأقصى سنة 1969 م، إلا شاهد ـ من عدة شواهد ـ على ذلك، ثم ما أعقبه من مؤتمرات إسلامية وعربية في المغرب الذي أصبح بفضل عبقرية وحكمة جلالة الحسن الثاني، أرض الحوار البناء الهادف، ومركز القرار الصائب الواعد...

ولم تقف همة جلالته وفكره الحضاري، عند حدود خارطة العالمين العربي والإسلامي، بل تجاوز ذلك إلى العمل من أجل الإسهام في تحقيق العدل والسلام، والتعايش بين سائر الأمم والديانات في جميع أنحاء المعمور، حتى غدا جلالة الحسن الثاني، أحد أبرز رجالات السلم والحوار في التاريخ المعاصر، سواء على مستوى الأمم المتحدة، أو في إطار دول عدم الانحياز أو منظمة الوحدة الإفريقية، أو غير ذلك، بالإضافة إلى دور جلالته الفعال في منظمة الوحدة الإفريقية أو غير ذلك، بالإضافة إلى دور جلالته الفعال في منظمة المؤتمر الإسلامي، والجامعة العربية، واتحاد المغرب العربي.

وفي إطار التسامح الديني، والحوار الإسلامي المسيحي في العصر الحاضر. نجد جلالته يقوم بزيارة للفاتيكان سنة 1980 بصفته رئيسا للجنة القدس، وناطقا باسم منظمة المؤتمر الإسلامي. وفي سنة 1985 ، يقوم البابا يوحنا بولس السادس ـ من جهته ـ بزيارة مماثلة إلى المملكة المغربية، استجابة لدعوة كريمة من أمير المومنين جلالة الحسن الثاني، فكان ذلك من أروع صور الحوار البناء، الهادف إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة، التي علقت

---

7) كتاب: «التحدي» لجلالة الحسن الثاني: 298/ط2 ـ المطبعة الملكية: 1403 هـ 1983 م.

بأذهان المسيحيين إزاء الإسلام والمسلمين زمنا طويلا، ومن أعظم المبادرات المباركة الصادقة، التي تعمل على تقريب الهوة بين مختلف الديانات السماوية، وبالتالي بين سائر الشعوب والأمم لنشر المحبة والتفاهم والسلام بين كل الأنام.

ولا يخفى أن هذا هو عمق الحوار الذي دعا إليه رسول اللهﷺ بأمر من الله تعالى عند نزول هذه الآية:

﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾.(8)

فما أشبه اليوم بالأمس، وما أحوجنا إلى مزيد من المبادرات الناضجة المخلصة، من أجل تحقيق حضارة إنسانية متكاملة يتساوى تحت ظلالها كل البشر.

وموقع المغرب وتاريخه، يؤهلانه لأن يلعب أعظم الأدوار في هذا الاتجاه، لأنه كما قال جلالة الحسن الثاني:

«المغرب يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا في التراب الإفريقي، وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأوربي.

بيد أن حياة المغرب، ليست عمودية الامتداد فحسب، بل هي تمتد كذلك امتدادا أفقيا نحو الشرق، الذي نحن مرتبطون معه بالتالد والطارف من الصلات الثقافية(...)

إننا ورثة الذين أعادوا إلى الغرب في الماضي حضارة يونانية وأخرى متوسطية كانتا مجهولتين في أوربا».(9)

إلى أن يقول جلالته :

«إن الإسلام على الدوام عنصر تركيب ـ كما برهن على ذلك فيما مضى ـ وهذا التركيب والتوحيد هما اللذان نحتاج إليهما جميعا. إن بلدنا هو جسر فوق الزمان والفضاء».(10)

من مظاهر الحضارة الإسلامية بالمملكة المغربية في العهد الحسني :

تلك بعض إسهامات جلالة الحسن الثاني، من أجل إسعاد البشرية، وتقريب الهوة بينها، سقناها بين يدي ما نحن بصدد الوقوف عليه. من معالم الحضارة الإسلامية بالمغرب، في ظل القيادة الرشيدة لجلالة الحسن الثاني، إيمانا منا أن

---

8) آل عمران : 64.

9) التحدي : 295.

10) التحدي : 298.

الحضارة صرح مشترك بين جميع الأمم، وأن كل أمة تضع فيه من اللبنات بقدر ما تسمح به بيئتها وظروفها.

إننا إذا ما ذهبنا نتتبع، ما أنشأه جلالته من مآثر دعما لكتاب الله المبين، وسنة نبيه الأمين، وما أقامه من مؤسسات، وما حققه من إنجازات منبثقة من تعاليم الإسلام، مندرجة تحت لواء حضارته؛ فسنجد أنفسنا إزاء آثار لا حصر لها ولا حدود، ولا تتأتى صياغتها مجتمعة في مقال محدود كهذا، ومن ثم فليس في وسعنا إلا أن نقتصر على بعض الإشارات، قصد التذكير والإشادة، لا الحصر والتعداد:

1 ـ نظام الحكم والشورى:

يقوم نظام الحكم في المغرب، منذ إدريس الأول إلى الحسن الثاني، على مبدأ البيعة التي تنظم العلاقة بين الراعي والرعية، وفق ما حددته الشريعة الغراء، وطبقه رسول الله ﷺ، والخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ من بعده، ثم من سار على دربهم إلى يوم الدين.

وعليه فالملك هو أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، يهتدي بهديه ويقضي بقضائه، ويجتهد في ظل روح شريعته، مواكبة للعصر وانسجاما مع الظروف القائمة، والمستجدات الطارئة.

وينص الدستور المغربي في الفصل التاسع عشر على أن:

«الملك أمير المومنين والممثل الاسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات».

أما الرعية؛ فهم المومنون المامورون بالسمع والطاعة والنصيحة لأمير المومنين، وفق أمر الله عز وجل:

﴿يـاأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾.(11)

وأمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني المؤتمن على نظام الحكم بالمغرب، ووارث أسلافه المنعمين، يدرك أن الدولة لا يمكن أن تكون إسلامية إلا إذا أقامت حياتها على أساس من مبادىء الإسلام في السياسة والاجتماع والأخلاق، وإلا إذا صبت هذه المبادىء في صلب دستورها السياسي، وإلا إذا اعتمدت الشورى أساسا لرعاية حقوق الرعية، امتثالا لقوله تعالى:

---

11) النساء : 59.

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.(12)

من هـذه المنطلقات، وبناء عليها، استطاع جلالة الحسن الثاني أن يضمن لبلاده دولة إسلامية عصرية متطورة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، توتي أكلها كل حين بإذن ربها، لا تزيغ عن المنهج الذي رسمه القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، ولا تصطدم مع أرقى أنظمة الحكم والسياسة في العالم.

2 ـ الثقافة الإسلامية :

غير خاف أن الثقافة جزء من شخصية الأمم، وأن الأمة التي تفقد ثقافتها تفقد تاريخها، وبالتالي هويتها، وجلالة الحسن الثاني ــ رائد البعث الإسلامي وأبرز رجالات الصحوة الإسلامية ورموزها في العصر الحاضر ـ أدرك منذ الوهلة الأولى ما للثقافة الإسلامية من دور هام في بناء الحضارة وازدهارها، ورأى أن كثيرا من مقومات هذه الثقافة بدأت تتقلص، وأن عددا من روادها بدأوا يرحلون تباعا إلى جوار ربهم؛ فعمد جلالته إلى إعادة بناء ما تهدم أو اندرس من عوامل قيام ثقافة إسلامية متجددة، قابلة للتطور، قادرة على العطاء، وهضم ثقافة العصر والتجاوب معها. جاعلا القرآن الكريم أول ما يغذي أرواح الأطفال وعقولهم، قبل أن يلجوا المدرسة، ويقبلوا على شتى المعارف والعلوم، ومختلف الثقافات والفلسفات، ضاربا المثل بفلذات أكباده الأمراء والأميرات، وفي مقدمتهم ولي العهد المحبوب سيدي محمد وصنوه السعيد مولاي الرشيد.

وإذا كان جلالته قد شيد المدارس والمعاهد والجامعات بمختلف كلياتها وشعبها، واهتم بجامعة القرويين ـ خاصة ـ فأعاد تنظيمها وأحيا كراسيها، وخص اللغة العربية بعناية فائقة باعتبارها اللغة الدينية والوطنية للمغرب.

وإذا كان جلالته قد وسع معارف الشعب المغربي، في كل ميادين المعرفة الثقافية، من خزائن ملكية ومكتبات عمومية، واستخدام كامل للمطبعة الملكية، التي أسسها جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، إلى غير ذلك من الأيادي البيضاء الناطقة بعظمة جلالته. مما تعيا الأقلام في إعطائها بعض حقها، فكيف بحقها كله، فلهذا آثرنا أن نكتفي في هذه العجالة بالوقوف على بعض المعالم الثقافية الشامخة، التي تفتقت عنها عبقرية

---

12) الشورى : 38.

جلالة الحسن الثاني، وانفرد بها عهده، مساهمة مشرقة تدعم الحضارة الإسلامية، وتزيد من إشعاعها.

أولا : مصحف الحسن الثاني

تفنن المسلمون في كتابة المصاحف وتزويقها وتجليدها وحبك أوراقها وما إلى ذلك، تكريما للقرآن الكريم، وتفانيا في خدمته.

وقد ظل المغاربة يحافظون على المصحف الشريف، حفظا في الصدور وكتابة بين السطور، وامتلكوا من المصاحف نسخا ترجع إلى عصر الصحابة - رضي الله عنهم - كالمصحف العثماني والمصحف العقباني.(13)

في هذا الإطار، يأتي المصحف الحسني ليؤكد هذه الحقيقة، وليبرز مدى العناية الفائقة التي أولاها أمير المومنين جلالة الحسن الثاني لكتاب الله تعالى، حتى برز في حلة أنيقة رائعة، مع كامل الضبط والإتقان، وجمال الخط والطبع، وموافقة رسم قراءة الإمام نافع المدني من رواية تلميذه ورش.

وإلى جانب هذه العناية بالمصحف كتابة، اهتم جلالته بالمصحف سماعا، فكان المصحف الحسني المرتل على أشرطة كاسيط راديو بالقراءة والرواية نفسيهما - أعني قراءة نافع برواية ورش - وهو عمل مبرور، يتمم الأول ويعضده. ويساهم بالتالي في الحفاظ على الاختيار المغربي في القراءة، والذي لا ينفي ما عداها من قراءات ثابتة تهم المختصين.

ثانيا : الدروس الحسنية وإشعاعاتها

تعتبر الدروس الحديثية، التي أحياها أمير المومنين جلالة الحسن الثاني، اقتداء بجده الأعظمﷺ، وجريا على عادة أسلافه المنعمين، محطة إشعاع إسلامية كبرى، يلتقي فيها علماء الإسلام من كل الأصقاع، وتنبثق من وحيها عدة مبادرات، فهي سوق علمية عالمية فريدة، تتلاقح فيها الأفكار، وتتقارب المشارب والمذاهب، وتستمر طوال شهر رمضان المعظم من كل عام. يتم خلالها الاحتفاء بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة في صور قدسية رائعة تتجلى في دروس التفسير والحديث، التي يلقيها بين يدي العاهل الكريم نخبة من ألمع علماء الإسلام، والتي ساهم فيها أمير المومنين نفسه في بداية الأمر.

وفي أجواء إحياء ليلة القدر المباركة، يعلن عن انتهاء هذه الدروس بختم

---

13) انظر : مجلة «دعوة الحق» ع : 278/ ص: 147 - 150 (ضمن بحث للأستاذ عبد القادر العافية تحت عنوان «من المصحف العثماني إلى المصحف الحسني»).

صحيح الإمام البخاري، أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

وتجدر الإشارة إلى أنه بموازاة مع هذه الدروس التي تقام بالقصر الملكي بمحضر جلالته، تقام بجميع مساجد المملكة دروس ومحاضرات يومية خلال شهر رمضان، ثم تستمر وفق برنامج محدد طوال السنة تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمجالس العلمية الإقليمية.

ويأبى الله تعالى إلا أن تكون روح محمد الخامس طيب الله ثراه حاضرة مرفرفة في سماء هذه الأجواء الربانية العطرة، حيث يتم في العاشر من رمضان، إحياء ذكرى وفاة فقيد العروبة والإسلام، وبطل الحرية والاستقلال. بكل خشوع وإجلال، وفاء لروحه الطاهرة، وما أسداه من أياد بيضاء لبلاده وأمته والإنسانية جمعاء، وما قام به من أدوار مشرقة خالدة، من أجل دعم الحضارة الإسلامية وإذكاء أنوارها.

ثالثا : دار الحديث الحسنية

من المآثر الفكرية الحضارية الشامخة، التي ادخرها الله لأمير المومنين جلالة الحسن الثاني، دار الحديث الحسنية، تلك المعلمة الفريدة من نوعها في العالم الإسلامي، والتي حقق بها جلالته أمنية عزيزة عليه. ودعما جديدا للدراسات الإسلامية «التي يتميز بها المغرب بين الأقطار الإسلامية الأخرى والتي هي إحدى مميزاته الأصيلة». (14)

ومهمة خريجيها لن تكون هي الوعظ والإرشاد «ولكن علماء يكونون الإطارات التي تعادل في كفاءتها وإطلاعها من عرفه المغرب من علماء مرموقين في هذا الميدان».(15)

وقد قطعت هذه المؤسسة العلمية العليا، منذ تأسيسها سنة 1384هـ إلى الآن، أشواطا هائلة، في سبيل النهوض بالدراسات الإسلامية في ضوء مناهج البحث الحديثة، ومعطيات العصر ومعارفه، وفق التعليمات السامية لأمير المؤمنين الذي يرعى هذه الدار، ويتتبع مسيرتها، ويشجع خريجيها، ويتطلع لغد أفضل لها.

في هذا الصدد يقول جلالته في كلمة توجيهية لدى اختتام الدروس الحسنية ليلة القدر من سنة 1407هـ:

14) من خطاب جلالته بمناسبة تأسيس دار الحديث الحسنية (انظر النص كاملا بالنشرة الدورية لدار الحديث الحسنية العدد 1 السنة 1 الصفحة: 6).

15) نفسه والصفحة.

«...فرجائي منكم معالي العلماء والمشايخ أن تبنوا دروسكم المقبلة إن شاء الله، على هذا المنهاج، وخصيصا الذين يتابعون دروسهم أو دراستهم في دار الحديث الحسنية، فمع الأسف منذ ثلاث سنين أو أربع سنوات لم أر خريجا واحدا من دار الحديث الحسنية، أتى ليلقي الدرس أمامنا، وما وضعت دار الحديث إلا لحفظ الحديث وطرقه، والتطرق إليه كما يجب، وكما ينبغي.

نحن في ليلة القدر، فهذا الكلام ليس لوما ولا مؤاخذة، لكن هو تشجيع لخريجي دار الحديث ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾،(16) حتى نرى على الأقل غرسنا يانعا ومبشرا بالخير». (17)

رابعا : المجالس العلمية

ظل العلماء في تاريخ الإسلام، يشكلون فئة ممتازة في المجتمع الإسلامي، للرسالة السامية التي أناطها الدين الحنيف بهم، وهي وراثة الأنبياء، التي تستلزم إرشاد الناس إلى مسالك الخير والرشاد، وبذل النصيحة لهم، وإيصال الدعوة الإسلامية النقية إلى أكبر عدد منهم.

وعلى الرغم من أن هيئات العلماء كانت موجودة منذ عصر النبيﷺ وصحابته من بعده، إلا أن انتظامهم في إطار مجالس علمية، يعتبر خاصية مغربية متفردة، أبصرت النور على يد السلطان المقدس مولاي يوسف عام 1333هـ، ونشأت وترعرعت على يد المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، ونضجت واكتملت على يد جلالة الملك الحسن الثاني أدام الله حفظه ونصره، الذي خَطَابِهَا خطوة رائعة إلى الإمام، تنسجم مع متطلبات العصر وأساليبه، وأسبغ عليها من عطفه ورعايته. ونصحه وتوجيهه، ما جعلها تحقق أهدافها بنجاح، وتؤدي المهام المنوطة بها على أحسن ما يرام، وبالتالي خلق بعث إسلامي واضح الملامح، وصحوة إسلامية راشدة.

خامسا : أكاديمية المملكة المغربية

لاشك أن أكاديمية المملكة المغربية - التي تفتقت عنها عبقرية جلالة الحسن الثاني - تعتبر من أعظم مظاهر انفتاح حضارة الإسلام على العالم، وتجاوب ثقافته واستعدادها للحوار مع كل الثقافات، إيمانا منها أن العلم لا وطن له، وأن كل أمة تساهم فيه بمقدار، ليكون في النهاية ملكا مشاعا بين سائر الناس.

---

16) الضحى : 11.

17) انبعاث أمة : 32/ 216.

من هذا المنطلق، وضعنا أكاديمية المملكة المغربية، ضمن المعالم الثقافية الإسلامية التي خص الله بها جلالة الحسن الثاني، فهي ملتقى عدد من ألمع الكفاءات عالميا في مختلف مناحي العلوم والآداب والفنون، بغض النظر عن دياناتهم وأجناسهم ولغاتهم، مما أعطى نتائج باهرة في مجال البحث والدراسة، في أعلى المستويات وأرقاها، وفق مارسمه لها جلالة الحسن الثاني من أهداف نبيلة. وغايات سامية.

3 ـ المعمار والزخرفة (مسجد الحسن الثاني نموذجا):

اهتم جلالة الحسن الثاني بالهندسة المعمارية والزخرفة الإسلامية بشكل واضح، حتى أصبح له أسلوب خاص متميز، يزاوج بين الأصالة والتجديد، وينم عن ذوق رفيع، وحس مرهف رقيق.

وأمام كثرة ما شيد جلالته وبنى، بدءا بمدينة أكادير التي قامت من تحت الأنقاض، بفضل عزيمة جلالته، لتصبح من أجمل مدن المغرب والعالم كله، مرورا بما عرفته مختلف المدن والقرى من اتساع عمراني كبير، وهندسة معمارية بديعة، وما شيد من منشآت مختلفة في شتى أنحاء المملكة مما يتعذر تعداده في هذه العجالة، إلى أن نصل إلى ضريح جلالة المغفور له محمد الخامس ومسجده، مما يمثل قمة في الإبداع والزينة والتنسيق، علاوة على ما يمثله من وفاء وبرور بفقيد العروبة والإسلام وبطل الحرية والاستقلال.

أمام هذا التعدد والتنوع، نكتفي ـ هنا ـ بالوقوف على معلمة القرن، مسجد الحسن الثاني بالعاصمة الاقتصادية الدار البيضاء، لنرى ما يمثله من إشارات حضارية رائعة.

إنه تأكيد لفكرة عالمية الحضارة الإسلامية، المتمثلة بجلاء في عمارة المساجد، مما نرى فيه ربطا وثيقا بين الفكرة والأثر بين الدين، ومكان ممارسة بعض طقوسه.

لقد أعجب المستشرق الفرنسي (آرنست رينان) ـ على الرغم من تعصبه ومذهبيته ـ بالمسجد باعتباره مظهرا حضاريا لمجتمع مسلم عبقري، فلم يتمالك أن قال:

«مادخلت مسجدا قط للمسلمين، إلا تملكني انفعال شديد، وهو لو أفصحت عنه، لكان نوعا من الأسف، على أني لم أكن مسلما». (18)

---

18) عن : توفيق محمد سبع : قيم حضارية في القرآن الكريم : 1/ 50 (سلسلة البحوث الإسلامية) السنة 4 العدد 50 الشركة المصرية للطباعة والنشر 1392 هـ / 1972 م.

في هـذا السيـاق، تـاتي معلمـة القـرن «مسجـد الحسن الثـاني» أكبر مسجـد في العالم بعد الحرمين الشريفين، والـذي شيد فوق سطـح مياه البحر تحت شعـار الآية الكريمة: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ (19) وسيظل هذا المسجد ـ بـإذن الله ـ شاهدا على عظمة حضارة الإسـلام في هذا الجناح الغـربي مـن العـالم الإسـلامـي، نـاطقـا بالإكبار والثناء على مـا قدمه أمير المومنين جلالة الحسن الثـاني، من جلائل الأعمال، خدمة لهذا الـدين الذي ارتضاه اللـه لأمة محمد عليـه السلام، وجعلهم بـه خير أمة أخرجت للناس.

4 ـ مظهر حضاري متميز (المسيرة الخضراء)

لم تعـرف أسـاليب تحريـر الأوطـان، واسـترجاع أجـزائها المغتصبـة في التاريـخ كلـه، مسيرة سلميـــة مظفـرة، كـالمسيرة الخضراء، اللهم إلا أن تكون الحديبية التي كانـت فتحا لمكـة، ونصرا لرسـول اللهﷺ وللإسـلام والمسلمين، وكلا المسيرتين مـن إفراز حضـارة الإسلام وأخلاقه.

إن أوجـه التشـابـه بين المسيرتين كثيرة.(20) سـواء في التخطيط والإعـداد أو في التنفيـذ والأبعاد، أو في التشبـت بـالحق والمشروعية والتحلي بالأخلاق والفضيلة.

لقـد كـانـت المسيرة الخضراء، حـدثـا أدهـش العـالم، وأربـك كـل الحسـابـات والتـوقعات، فبعـد اعتراف محكمة العـدل بلاهاي ـ ان هناك روابط قانونية وروابط بيعة بين المملكة المغـربية وبين الصحراء ـ مبـاشرة تحرك 350,000 نفر مـن الرجـال والنسـاء العزل، في مسيرة خضراء سلميـة نحو أرضهـم لتحريـرها، ونحـو إخوانهم ليصلوا معهـم الرحم، سلاحهـم المصحف الكـريم، والعلـم الـوطنـي، وصور القـائد الملهم جلالة الحسن الثاني.

هكذا استعـاد المغرب صحراءه، وبـذلك تغلبـت الحكمـة والـرشـد على الطيـش، ورجحـت كفـة السلـم على كفـة الحرب، ودخلـت المسيرة الخضراء التـاريـخ، مـن أوسع أبوابه مظهـرا حضاريا متميزا، وكما قـال النبـيﷺ لأسرى مكـة يـوم الفتـح: (اذهبوا فأنتـم الطلقاء) قال حفيده جـلالة الحسـن الثاني للمغـرر بهم مـن رعايـاه الصحراويين: «إن الوطن غفور رحيم».

---

19) هود : 7

20) انظر : دعوة الحق : العدد 260 / ص: 5 (ضمن مقال للأستاذ المرحوم عبد الله كنون بعنوان: مسيرة الفتح).

وبعد، فهـذه باقة مـن حديقـة الحسن الثـاني الغنـاء، المشتملـة على كـل الغـلال والـزروع، والأزاهير والـورود، بـألـوانها وطعومها المختلفة، ومـائها الذي لا ينضب معينه، ولا يتغير طعمـه ولا لونه، نقـدمها اليـوم بمنـاسبـة عيـد الشبـاب السعيـد، سائلين العلي القدير أن يحفظ أمير المومنين جلالـة الحسن الثـاني ويطيل عمـره، وأن يحقق به وعلى يديه الرغاب والظنون، وأن يقـر عينه بسمـو ولي عهـده الأمجد الأمير الجليـل سيـدي محمد، وصنـوه السعيـد مولاي الرشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه سميع مجيب.

مراكش ـ محمد عز الدين المعيار الإدريسي

فبورك الحسن الثاني وما صنعت
يداه من شرف للدين والوطن
وحقق الله في نجليه بغيته
وعاش مستبشرا باليمن والمنن
ودام عرشه للأمجاد يحرسها
كما حمى حرمة القرآن والسنن


الأمن الملكي
الأمن الوطني

الشّبابُ والواجبُ

للأستاذ عبد القادر العافية
خريج دار الحديث الحسنية

لا يمكــن للحيــاة البشريــة أن تسير سيرهـــا الطبيعـــي إلا إذا فهـــم الحق والــواجب، وعـرف الفرد فيهـا مـاله مـن حقوق، وما عليه من واجبات...

لم يخلق الله تعالى الإنســان فوق هذه الأرض عبثــا، بــل خلقــه وأنــاط بــه مسؤوليـات كثيرة، وجعله من المخلـوقات التي تتحمل الأمانة عن جدارة، قال تعالى: **﴿إنـا عـرضنـا الأمـانـة على السماوات والارض والجبـال فـأبين أن يحملنهـا، وأشفقـن منهـا، وحملهـا الإنســان﴾** (الأحزاب ـ 72). وفي آية أخرى قال تعالى: **﴿خلـق الموت والحيـاة ليبلوكـم أيكـم أحسـن عمـلا﴾**. (الملك ـ 2). ويقـول سبحانه: **﴿وأن ليـس للإنســان إلا مـا سعى، وأن سعيه سوف يرى﴾** (النجم ـ 39).

وَتَحَمُّلُ الأمـانة والتكاليف مـن طرف الإنسان يناسب التكريم الذي كرم الله به بني آدم، قال تعالى: **﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبـات، وفضلنـاهــم على كثير ممن خلقنا تفضيلا...﴾** (الإسراء ـ 70).

فـالأمانـة التـي يتحملهـا، والمسؤوليـات الملقـاة على عاتقـه تناسـب التكـريم الـذي كرّمـه الله به، وبـذلك يتميز الإنســان عن الحيوان الأعجم، وعن كثير مـن المخلوقات، وبـأداء الواجبـات، وتحمـل المسؤوليـات، يسعـد الإنســان وتستقـر حيــاتـه فـوق الأرض. ومن أجـل ذلك بعـث الله أنبيـاءه ورسله مبشريـن ومنذريـن، وأنزل معهـم الكتـاب والميـزان ليقوم النـاس بـالقسـط. فالتصرف العادل يحتاج إلى معرفة الحقوق والواجبات، وإلى معـرفة أين يبدأ الـواجب؟ وأين تنتهي الحقوق؟

لقــد حــاول الحكماء والفــلاسفــة والمصلحــون عبر العصــور والأزمــان أن يضعوا لمجتمعاتهم قوانين تعرفهم بالحقوق

والـواجبات، لكـن عندمـا يتدخـل الوحـي الإلهي لينظـم حيـاة النـاس، وليبين لهم حقـوقهـم وواجبـاتهم يكـون هـو القـول الفصل، لأن خـالق الإنسان هو أعـرف به مـن غيره... وهو عـالم بأسراره وخلجـات نفسـه، وعناصر تـركيبـه وتكـوينه، قـال تعالى: ﴿**إنـا خلقنا الإنسـان من نطفـة أمشاج نبتليه...**﴾ (الإنسان ــ 2). فهذه الأمشـاج والأخـلاط يجذبـه بعضهـا إلى الخير، وبعضهـا إلى الشر. قـال تعـالى: ﴿**ونفـس ومـا سـواهـا، فـألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها...**﴾ (الشمس: 7 ـ 10).

فهنـاك النفس الأمـارة، واللـوامـة، والمطمئنة...

وابتلاء الإنسـان وامتحانـه، يأتي مـن كونـه مسؤولا يناط بـه القيام بـواجبات، ومقـدار نجاحـه في هـذه الحياة على قـدر مـواءمتـه بين حقـوقـه وواجبـاتـه، وبين متطلبـات المشروعـة وبين مـا عليـه نحـو الآخـريـن، وعلى قدر تغلبـه على نـزواتـه وشهـواتـه، ونفسه الأمـارة، يكون فـوزه فلاحه...

ولنسير سيرا طبيعيـا وموفقـا في هـذه الحياة، لابد وأن نوطـن أنفسنا على القيام بمجموعة من الواجبات...

واجبـات نحـو ربنـا، ووجبـات نحـو أنفسنا، ونحو أسرتنـا ومجتمعنا، ووطننا، وأولي الأمر منا...

وعلى الشبـاب المسلـم، بحكـم إيمانـه وعقيدتـه، أن يعطي للـواجب قيمتـه، وألا يهمله، ولا يتكاسل في أدائه...

وقبل الكلام عن معاني الواجب، وأنواع الـواجبات ينبغـي أن نعرف الـواجب لغـة واصطلاحا.

فمن الناحية اللغوية يقال:

«وجب الشيء يجب وجوبا: لزم، وثبت، ووجب الحائط ونحوه وجبة سقط، ويقال: وجب الرجـل بضم الجيم يوجـب وجوبة كان وجابا أي جبانا، والوجب: الجبن.

ويقال: وجب فلان: أكـل في النهار مرة واحدة، وأوجب لفلان حقه: رعاه.

ووجب البيع: لزم. ونفذ.

ويقـال صـاحـب لنـا أوجـب: ارتكب خطيئـة استـوجب بها العقـاب، أو النـار. والموجبة: الكبيرة مـن الذنوب وتكـون من الحسنات.

والواجب: القتيل، يقـال: كان فلان أول واجب في الحرب.

والموجـب : بفتـح الميم وسكـون الـواو وكسر الجيم: الموت، يقال: أن مـوجبه، أي موتـه، وخرج القـوم إلى مواجبهـم، أي إلى مصارعهم، ووجب الرجل وجوبا: مات.

وقلب وجاب: كثير الخفقان.

والوجبة: السقطة مع الهدة.

والوجب ـ بفتح الواو والجيم ـ: السبق. ويقال: تواجب القوم: تراهنوا.

واستوجب الشيء استحقه، وأوجب الشيء على نفسه: جعله لازما، وأوجب الله الشيء على عباده: فرضه.

والوجيبة: الوظيفة، والوجوب: الثبوت، والإيجاب: الإثبات لأي شيء كان.

والواجب: يقابل الجائز، والممكن، والمستحيل.

والموجب: السبب. والموجب ـ بفتح الجيم ـ من الكلام: مالا يكون استفهاما، ولا نفيا ولا نهيا. ويقابله: غير الموجب، وهو اصطلاح نحوي.

ووجب الشيء: لزم، وفي الحديث: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم».

وفي اصطلاح الفقهاء وعند جمهورهم: الواجب والفرض سواء، وعند أبي حنيفة الفرض آكد من الواجب.

وينقسم الواجب عند الأصوليين إلى عدة اعتبارات:

فباعتبار من يجب عليه، ينقسم إلى: واجب عيني، وواجب كفائي.

فالعيني: ما يطلب فعله من جميع المكلفين، ولا يكتفى بفعله من البعض، كالتجنيد العسكري إذا أوجبته الدولة.

والواجب الكفائي: ما يطلب من المجموع، لا من كل فرد فرد، فإذا فعله البعض سقط الطلب عن الباقين، كالإنخراط في الجيش عندما يكون واجبا إجباريا، فلا يطلب من الجميع الانخراط فيه، لكن لابد من أن يكون هناك جيش، ومثل له الفقهاء بالدفاع عن الوطن وحوزة البلاد، ودفع الأعداء عنها، ومثل: إنشاء المصانع والمعامل، وبناء المستشفيات والمدارس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالنسبة لمن هو مطلوب منه ذلك، ومثل إنقاذ الغريق، وإطفاء الحريق، والقضاء والإفتاء، وأنواع الحرف والصناعات، وكل ما تحتاج إليه الأمة، فإذا نقص عدد من تحتاج إليهم الدولة في ميدان من الميادين، كالجندية، أو الطب، أو الصيدلة، أو الطيران... تحول الفرض الكفائي إلى فرض عين، وكذلك إذا تحددت المسؤولية بسبب مؤهلات علمية أو مهارة فنية، في أحد معين، فإن الواجب الكفائي يتحول إلى واجب عيني، إذا لم يحصل المقصود بالبعض، فإذا كان الخطر داهما مثلا، تعين الدفاع على جميع أفراد الأمة، كما إذا وجد طبيب واحد بالبلد، كان إسعاف المريض واجبا عينيا عليه، وكذا إذا

عرف أحد بإتقان السباحة، فإنه يتعين عليه إنقاذ الغريق المستغيث.

وينقسم الواجب كذلك إلى: واجب محدود، وإلى واجب غير محدود.

فالمحدود: هو الذي عين المشرع مقداره. كإخراج الزكاة مثلا، وأداء الدين المترتب في الذمة، فإن من حق الدائن أن يطالب المدين عند القضاء.

والواجب غير المحدود: كالإنفاق في سبيل الله تطوعا، وفعل الخير، وإطعام الجائع، وإغاثة الملهوف، والتعاون على البر، والمصالح العامة... وهذا الواجب يختلف باختلاف الأحوال، ولا يجب في الذمة، ولا يطالب به عند القضاء.

وأداء الواجب عند الفقهاء، واجب، يثاب عليه، ويعاقب على عدم القيام به.

ويقسم الأصوليون الواجب إلى: مطلق، وموقت.

فالمطلق: غير محدد بوقت معين، فيكفي أداؤه في أي وقت كالحج لغير المستطيع، والكفارات...

والواجب المؤقت: ماله وقت معين يؤدى فيه. ومثل له الفقهاء بالصلاة، وصيام رمضان.

وكذلك يقسم الوقت المعين لفعل الواجب إلى: وقت متسع ووقت ضيق.

فعلماء المسلمين تحدثوا عن الواجب من مختلف جوانبه لغة، وفقها وأصولا، وقعدوا قواعد تحدد معنى الواجب، ووقت القيام بالواجب. وما للواجب من قيمة في حياة الفرد والجماعة... كل ذلك من قبيل إشعار المخاطب بما لأداء الواجب من أهمية قصوى في حياة الناس.

والشباب المسلم تناط به واجبات كثيرة من جملتها:

- حب الوطن والتضحية من أجل رقيه وإسعاده.
- التفاني في طلب العلم، والعمل على رفع المستوى الفكري.
- أداء الأمانة، سواء تعلق الأمر بحقوق الفرد أو حقوق المجتمع.
- البحث عن الرزق الحلال.
- حسن المعاشرة.
- التعاون على ما فيه خير الناس جميعا.
- التخلق بالأخلاق الكريمة.
- الإخلاص في العمل.

إلى غير ذلك من الواجبات، وهي كثيرة....

وهناك واجبات تطالب ممن يتحمل مسؤولية من المسؤوليات العامة، ومن أهم هذه الواجبات: التبصر واستعمال الرأي حتى لايهضم أي صاحب حق. ولذلك قال علماؤنا: من واجب من يتحمل مسؤولية

في الدولة أن يستعمل عقله كثيرا حتى يميز بين الخيرين. وبين شر الشرين. وقال أكثم بن صفي: الأمور تتشابه وهي مقبلة، ولا يعرفها إلا ذوو الرأي، فإذا أدبرت عرفها الجميع.

وقال الغزالي : للوصول إلى الصواب في الأمور يجب استعمال العقل، ثم التفكير والتدبير، والرأي الصائب يتوصل إليه عن طريق المشاورة التي هي ركن من أركان التدبير، لأن الانفراد بالرأي مذموم.

وقالوا : حق على العاقل أن يعرف أهل زمانه، وأن يتقي عثرات لسانه.

وقالوا : العلم أساس تحمل المسؤولية، لأن العلم أشرف فضائل الإنسان، والمسؤول أحوج الناس إلى العلم لوجهين:

1 ـ يفتقر إليه لمعرفة كيف يسير في عمله.

2 ـ التحلي بالعلم من أهم ما يجعل الإنسان محبوبا عند الناس، لما رسخ في النفوس من فضيلة العلم، ومحبة من انتسب إليه.

ومن واجب من يتحمل مسؤولية من المسؤوليات العامة، أن يكون ذا شخصية قوية، ويعبر عن ذلك علماؤنا بثبات القلب، وقالوا: ثبات القلب: من كمال القوة النفسية.

قال ابن القيم: ثبات القلب ناشيء عن الصبر، وحسن الظن، فمن ظن النجاح وساعده صبره، حقق ما يصبو إليه...

وثبات القلب يدفع صاحبه إلى اكتساب الفضائل، واتقاء الرذائل، ومخالفة الهوى، والصبر على كتمان السر، وتحمل المسؤوليات الصعبة.

وقالوا : الشجاع الحق من يستطيع أن يتغلب على أعدى عدو له وهو نفسه، فمن ملكها وصرفها نحو القيام بالواجب فذلك الشجاع.

وقال الطرطوشي : سُمي جهاد النفس بالجهاد الأكبر، لما فيه من التغلب على النفس.

ومن واجبات المسؤول العفة، والعفة هي: الامتناع من ارتكاب الفواحش، وهي فضيلة يتغلب بها على قمع شهوات النفس. وقال الحكماء: من أرضى الجوارح بالشهوة فقد غرس في قلبه شجر الندامة...

وقالوا : «من أطاع الشهوة خذلته عن الرجوع إلى ربه، وجعلته خادما لمن كان يجب أن يستخدمه، ومقدما لمن يجب أن يتقدمه، وهي شهوة في الدنيا، وذل في الآخرة».

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «عفوا عن نساء الناس، تعف نساؤكم» أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب، والعجلوني في كشف الغطاء.

وهكذا نجد علماءنا يحذرون من الانشغال عن أداء الواجب، ويؤكدون أن أداء الواجب يحتاج إلى عقل رضين، وإلى عفة وعلو همة... وفي هذا السياق، يوردون حديثا أخرجه أبو داود، ورواه سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بقوم خيرا، ولّى أمرهم الحكماء، وجعل المال عند الأسخياء، وإذا أراد بقوم شرا، ولّى أمرهم السفهاء، وجعل المال عند البخلاء»

وأخرجه كذلك المنذري في الترغيب والترهيب.

وقالوا: الجود يعين على أداء الواجب.

وعن الجود قال الغزالي: «الإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير، وبينهما وسط هو المحمود» ثم قال: قد أرشد الله نبيه وهو سيد الأسخياء بقوله: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط...**﴾ (الإسراء ـ 29).

ومما يعين على أداء الواجب بالنسبة لمن هو في موقع المسؤولية «الحلم» والحلم هو الأناة، وضبط النفس، ويحمل صاحبه على عدم مكافأة الشر بالشر، ولما قدم على النبي المنذر بن عائذ في وفد بني عبد القيس، قال الوفد:إنه سيدنا، فقال له رسول الله ﷺ: ها هنا يا أشج. ثم قال له: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة».

ومن كلام أكثم بن صفي التميمي: «من حلم ساد، ومن تفهم ازداد، وكفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، ولقاء الإخوان غنم، ومن الفساد إضاعة الزاد...».

وقال الحكماء : «نعم الشفيع الاعتذار عند أهل الحلم والاقتدار».

وقال أحد الشعراء في هذا المعنى:

إذا اعتذر المسيء إليك يوما
من التقصير عُذْرَ فتى مُقرِّ
فصنه عن عقابك واعف عنه
فإن الصفح من شيمة كل حر

قالوا : كل هذا إذا لم يتعلق الأمر بعرض، أو بحق من حقوق الله، أو بظلم للعباد.

وأنشد النابغة الجعدي بمحضر النبي ﷺ:

ولا خير في علم إذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فلم ينكر عليه النبي ﷺ قوله:

وفي موضوع الحلم أورد كتاب السير الحكاية الآتية:

«بعث زياد بن أبيه إلى معاوية برجل من بني تميم، فلما مثل بين يديه قال له: أأنت القائم علينا، المكثر لعدونا؟! قال: يا أمير المؤمنين، إنما كانت فتنة عَمّ عماها، وأظلم دجاها، نزا فيها الوضيع، وخفف

فيها الحليم والرفيع، فاحتدمت وأكلت وشربت، حتى إذا انحسر ظلماؤها، وانكشف غطاؤها، وآل الأمر إلى مآله، وصرح عن مخضه، وارتفع العبوس، وثابت النفوس، فتركنا فتنتنا، ولزمنا عصمتنا، وعرفنا خليفتنا، ومن يجد متابا لم يرد الله به عقابا، ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما... فعجب معاوية من فصاحته، وأعجبه حسن اعتذاره، وعفا عنه، وأحسن إليه».

قال العلماء : ومن واجبات المسؤول أن يكون رفيقا، والرفق ضد العنف. قال ابن العربي: حقيقة الرفق محاولة الأمور بأقل مما تحصل به في أكثر المدة التي تكون فيه.

وقال الغزالي: الرفق ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق. ولذلك أثنى عليه رسول الله ﷺ.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله...». وأخرج البزار بسنده عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الخرق في شيء إلا شانه، وإن الله لرفيق يحب الرفق».

وفي الحديث : «إذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق، وما من أهل بيت حرموا الرفق إلا حرموا الرزق...» أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد.

وفي صحيح مسلم عن عائشة (ض) قالت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به..»

فالرفق في الأمور واجب ومأمور به.

ومن واجب من يتحمل المسؤولية، التثبت. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**﴾ (الحجرات ـ 6).

قال الحكماء : «رأس العقل: التثبت، وقائده: الحلم، وبالأناة تنال الفرصة، وبالفكر الثاقب يدرك الرأي في العواقب، والأناة حصن السلامة، والعجلة مفتاح الندامة».

وقال ابن المقفع : «كل الناس يحتاجون إلى التثبت، وأحوجهم إليه أمراؤهم».

ومن واجبات المسؤول الوفاء، وجاء في الحديث الشريف الذي رواه الحاكم بسنده إلى عبادة بن الصامت (ض) أن رسول الله ﷺ قال: «اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وائتمنوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم..»

قال النووي : أجمع العلماء أن من وعد بما لا ينهى عنه، فينبغي

قال الحكماء: «عظموا أقداركم بالتغافل، وقالوا: ما استقصى كريم قط حقه».

وقال الشاعر:

تغاب في الأمور ولا تكثر
تقصيها فالاستقصاء فرقة
وسامح في حقوقك بعض شيء
فما استوفى كريم قط حقه

ومن الواجبات أيضا: التواضع. قال القاضي ابن العربي: التواضع هو صفة سيدنا محمد ﷺ، وبه استحق سيادة ولد آدم، إذ خيره الله بين أن يكون نبيا ملكا، أو نبيا عبدا، فاختار أن يكون نبيا عبدا.

وفي الصحيح عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد...» رواه مسلم».

وفي مسند الإمام أحمد، أن رسول الله ﷺ قال: «من تواضع لله درجه، رفعه درجة، حتى يجعله في أعلى عليين، ومن تكبر درجة نقصه درجة حتى يجعله في أسفل سافلين».

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط

أن يوفي بوعده، وجوبا عند عمر بن عبد العزيز وجماعة، واستحبابا عند مالك والشافعي وأبي حنيفة والجمهور.

وقال القاضي بن العربي: الوعد عند المالكية إن ارتبط بسبب كقوله: تزوج ولك كذا، وجب الوفاء به، وإلا فلا.

وأجمع العلماء على أن من ترك الوفاء بالوعد فاته الفضل، وارتكب كراهة شديدة، ولكنه لا يأثم.

ومن هذا القبيل، الوفاء بالعهد. قال تعالى: ﴿**وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم...**﴾ (البقرة ـ 40). وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾ (المائدة ـ 1). وقال تعالى: ﴿**وأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، إن الله يحب المتقين**﴾ (التوبة ـ 4).

ومن العهد، كتمان السر. وورد في الحديث الذي رواه أبو داود بسنده إلى جابر بن عبد الله (ض)، أن رسول الله ﷺ قال: المجالس بالأمان إلا ثلاثة: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق...

ومن واجبات المسؤول: الصدق، والصدق معيار شخصية الإنسان، وعليه مدار التعامل بين الناس.

ومن واجبات المسؤول التغاضي. قال تعالى: ﴿**عرف بعضه وأعرض عن بعض**﴾ (التحريم ـ 3).

أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلم، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

وواضح أن التحلي بهذه الصفات، يعين على أداء الواجب، فمن واجب الشباب الذي يطالب بأن يكون له موقع في هذه الحياة، أن يدرك أن عليه واجبات كثيرة، ولعل أهم ما يميز بين ذوي العقلية الناضجة وغيرهم، هو حسن أداء الواجب، لأن الأمم والمجتمعات لاتنهض إلا بقدر ما يحترم فيها القيام بالواجب، وأدائه على وجهه المطلوب، شرعا وعقلا، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى تربية وتوجيه، وإلى عناية بالنشء في مختلف أطوار مراحل حياته، حتى يتعود على القيام بالواجب، وفي نفس الوقت يطبع على النفور من دواعي إهمال الواجب، وكل أسباب التكاسل والتقاعس.

سلا ـ عبد القادر العافية

أفراح الوطن

للأستاذ الشاعر
علال الخياري
خريج دار الحديث الحسنية

أيهـــا الشـــادي بـــأفـــراح الوطـــن
بـــالتهـــاني... يـــوم ميـــلاد الحســـن
إنـــــه مـــــن ربنـــــا خير المنـــــن
نـــوره يبقـــى على طـــول الـــزمـــن

....

أيها الشـــــادي.... هنـــــا أرض الجمال
جنـــــة اللـــــه بماء وظـــــلال
قـــد حبـــاهـــا اللـــه عـــرشـــا للمعـــالي
عهـــده الـــوحـــدة والحب المثـــالي

....

غننـــا بـــالأمـــل الحلـــو الجميـــل
بجهـــاد العـــرش... والمجـــد الأثيـــل
غننـــا بـــالأطلـــس الغـــالي الظليـــل
بشبـــاب المجـــد جيـــلا بعـــد جيـــل

....

يـــا حبيـــب الشعـــب... يـــا أغلى منـــاه
مـــوقـــف لـــك... كـــالصبـــح سنـــاه
أيقـــظ الشرق... بعيـــدا في مـــداه
مـــوقـــف كـــالـــوحـــي... مـــا أحلى صـــداه

....

حســـــن المجـــد... ورمـــز الأمـــل
لـــــك في العليــــاء أسمـــــى منـــزل
أنـــت روح الشعـــب... أسمـــى مثـــل
زاهـــر عهـــدك... عـــذب المنهـــل

....

طـــافـــت البشرى على كـــل مكـــان
بـــالمنـــى مبتســـم ثغـــر الـــزمـــان
واسمـــك الغـــالي على كـــل لســـان
وسنـــا حُـــبِّـــك في كـــل جنـــان

....

نـــاصر القـــدس... تحدّيـــتَ الصعـــابا
أنـــت مـــن ألهم بـــالعـــزم الشبـــابـا
أنـــت مـــن شيَّـــد للعلـــم الـــرحـــابـا
أنـــت مـــن حقـــق للشعـــب الـــرغـــابـا

....

مشرق في الـــــروح والفكـــــر سنـــــاك
رايـــــة الإســـــلام تعلـــــو في سماك
ثبـــــت اللـــــه على الحق خطـــــاك
كلنـــــا مـــــا نـــــرتجي إلا رضـــــاك

....

بـــالـــرضى والحب... يـــاسبـــط النبـــي
قـــد أخـــذت العهـــد عـــن خير أب...
وإذا مغـــــربنـــــا حـــــر أبي...
أشعـــري... مـــالكـــي المذهـــب

....

يـــابـــلادي... يـــامسيرات النماء
مـــوكـــب الـــوحـــدة منصـــور اللـــواء

هــــو للصحـــــراء تجديـــــد الــــولاء
رحلـــة في خطـــوهـــا كـــل الـــرجـــاء

....

أيها الشـــادي بـــأفــــراح الـــوطـــن
بـــالتهـــاني... يـــوم ميـــلاد الحســـن
إنـــــه مـــــن ربنـــــا خير المنــــن
نـــوره يبقـــى على طـــول الـــزمـــن

الرباط ـ علال الخياري

المسيرة العلمية والتربوية
في ضوء
توجيهات جلالة الملك

للأستاذ منير البصكري
خريج دار الحديث الحسنية بالرباط

> «العلم والحضارة والثقافة، هي مقومات المغرب منذ أن خلقه الله. فإذا نحن أخذنا تاريخنا منذ الرومان والفينيقيين، نجد أن العلم ملازم لنا كما يلازم الهواء الطلق الأرض التي يعيش عليها الإنسان».
>
> من خطاب جلالة الملك في 31 غشت 1980
> بمناسبة المناظرة الوطنية للتعليم بإفران

منذ أن حصل المغرب على استقلاله، وهو ما فتىء يولي لقطاع التربية والتعليم المكانة اللائقة به، حتى يتسنى له الوصول إلى مبتغاه. ولا يخفى على أحد ما يستوجبه هذا القطاع من تضحيات ومجهودات ومسؤوليات. فالأمر يتعلق بمجال أكثر خصبا وحيوية. وكلما زادت هذه المعاناة، وزاد التفكير في وضع البرامج والمناهج وتطويرها، كلما زادنا ذلك يقينا على أننا نسير وفق الطريق السليم والمنهج القويم، بغية بناء الإنسان المغربي بناء سديدا ومتينا، لايمكن أن تنال منه الإيديولوجيات المعاصرة، ولا الثقافات الدخيلة.

وهذا الأمر، هو ما حرص عليه جلالة الملك من خلال مختلف خطبه، إذ غالبا ما

يضمنها توجيهات سديدة، يهدف من خلالها إلى خدمة مسيرتنا التعليمية التربوية، إلى جانب تنشيط فاعلية وعطاء الحقل العلمي والتقني، والنهوض بالمسؤوليات التربوية من أجل بناء مغرب قوي روحا وفكرا.

يقول جلالته:

«علينا أن نختار العلوم وأصناف العلوم التي تمكننا من إدراك الدنيا وإدراك الآخرة، وتمكننا كما يقول بعض النحويين «منهما» من الدنيا والآخرة».

ونظرة متأنية في هذا التوجيه، تؤكد مدى حرص جلالة الملك على أن يتمكن أبناء المغرب من الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، لأن من قبيل ذلك، أن يهيء لأبنائنا كل أسباب الحياة العلمية والتربوية الحافلة بأعلى أنماط المعرفة الهادفة، كما يهيىء كل الأجواء الفعالة لإنماء الشخصية الإيجابية للإنسان المغربي، وتوجيه طاقاته وقدراته وإمكاناته لتأخذ مسارها الطبيعي نحو التفتح والإبداع والتطوير.

ولعل مثل هذه التوجيهات، تجسد المعايير التي تتفق وأصالتنا وحضارتنا وكياننا كأمة مغربية إسلامية، ترنو ـ كما كانت دائما ـ إلى القيام بالدور التاريخي في الإشعاع الفكري والثقافي والمد الحضاري.

إن هذه المسيرة التربوية والعلمية، حبلى بالعطاءات المتواصلة في ظل توجيهات جلالة الملك. ومن ثمة يجب أن نسخر كل الطاقات لخدمة مسيرة وأهداف وأبعاد معركتنا ضد التخلف والجهل والهيمنة الأجنبية.

فالاهتمام بالمستوى العلمي لأبنائنا، يرمي ــ لا محالة ـ إلى استكمال البناء الفكري والحضاري لبلادنا، وتلاقحها بالتكنولوجيا الحديثة التي هي السمة الحضارية لهذا العصر. وهذا ما يؤكده جلالة الملك بقوله:

«العلم... ضرورة من ضروريات الحياة اليومية، لهذا يجب على المغرب أن يساير الحياة العصرية، ولكن يجب عليه كذلك أن يرى في اقتناء العلم هدفا وفضيلة خلقية، فضيلة تستجيب لكرامة الإنسان، فضيلة تستجيب لأمر القرآن الكريم؛ فضيلة تستجيب لنداء النبي ﷺ حين قال: (من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم).

إذن، نجد أن العلم يستجيب في آن واحد إلى ضرورة القرن العشرين، وإلى الفضيلة الإسلامية وتعاليمنا الدينية..»

إن مثل هذه الأفكار تعطي بعدا إضافيا وحضاريا لرفع المستوى العلمي للأستاذ والطالب، كما أنها إسهامات فاعلة لبناء

الصرح العلمي والمعرفي الذي يهدف إلى النهوض بمستلزمات المرحلة الراهنة، ويبرز أبعادها وفق المنهج الذي يعطي للمستوى العلمي الرفيع مدى أبعد ينسجم مع تطلعات القيادة الرشيدة لجلالته، ويحقق الطموح المغربي في بناء دولة قوية راسخة.

ثم ينبغي ألا ننسى أن التساؤل عن مصير التعليم، أمر لا يغيب أبدا ضمن توجيهات جلالة الملك، إذا يعتبره من الأولويات التي ينبغي إيلاؤها ما هي جديرة به، ومما يؤكد ذلك قوله:

«...تساؤل المغرب عن مصيره التعليمي، تساؤله عن كيف سيكون المغربي خلال القرن الواحد والعشرين..؟ ليس تساؤل القرن، بل هو إجابة لغريزة، لأن العلم والثقافة هما الحاسة السادسة للشعب المغربي تلازمه وستلازمه...».

وهذا لعمري يعكس بحق فلسفة رائد الشعب، وعمق تفكيره، وبعد نظره السديد، وإلهامه الخلاق.

ويبدو أن أمير المومنين لا يترك فرصة تمر أمامه، إلا ويغتنمها ليجود على أبنائه بتوجيهاته التي تملأ نفوسهم بومضات من العزم والإرادة للولوج إلى عالم المعرفة والعلم، عالم حافل بكل جديد، بل بكل ما في الجدة من دلالات ومعان. وهو من خلال ذلك، يحثهم على المثابرة والمساهمة في النهوض بالوطن، مسترشدا في ذلك بقولة النبي ﷺ: (العلم خزائن، مفاتيحها السؤال، ألا فاسألوا، فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والمحب لهم).

ويقول الإمام علي بن أبي طالب.. لكميل: (ياكميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعالم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق..).

يلاحظ من هذا أن المؤمن العالم نافع وغني بنفسه، والعالم هو الذي يهدي إلى سبيل الله، وهو الذي يغتني بعلمه، لأنه يقربه من خالقه. **﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة..﴾**

فالسؤال في العلم ضرورة واجبة ما دام العلم للجميع، فلابد إذن من السؤال لكي تكون العملية التربوية معتمدة على حاجة المتعلم وإمكانات العالم على السواء. ومن هنا يمكن أن نستشف قيمة تلك التوجيهات الملكية السامية في مجال المسيرة العلمية والتربوية. وهي توجيهات من شأنها أن تساهم في خلق طالب يناقش ويبدي قدراته العلمية والفكرية، ليصل إلى ما يوسع آفاق تصوراته وأفكاره. كما أنها توجيهات يعثر أو يجد من خلالها الطالب المغربي، حبا ورعاية وتوجيها يسدد به خطاه الحثيثة في حياته، ويلتزم بسمت

العلماء الذين يحملون على أكتافهم أمانة العلم.

والأخذ بهذه التوجيهات، سيضمن سلامة المسيرة العلمية والتربوية لأبنائنا، كما سيضمن أن نجد هؤلاء الأبناء وقد تخرجوا من مختلف الجامعات والمعاهد العليا، ليبثوا في أرجاء وطننا العزيز معارفهم وعلومهم وخبراتهم. فهم بحق موارد عذبة سائغة، ومنارات متوهجة شامخة، تجدد حياة الأمة، وتدفع بمسيرتها خطوات بعيدة الأمد، تتبوأ بها أرقى ما تتبوأ أمة من مكانة علمية رائدة، ليعيدوا للوطن أمجاده الغابرة.

وإذا كان جلالة الملك، غالبا ما يركز في ضوء توجيهاته السامية على جانب الأصالة في تربية أبناء المغرب، فإن ذلك لم يمنعه من أن يحث أيضا على التعرف إلى ما يحمله التقدم العلمي والازدهار التكنولوجي من آفاق تساعد على مسايرة الركب الحضاري الحديث.

ومن هذا المنطلق يقول جلالة الملك:

«يجب أن يراعى في وضع مناهج التعليم شيئان: الحفاظ قبل كل شيء على أصالتنا. تلك الأصالة التي تميزنا بها منذ أن اجتاز طارق بن زياد البوغاز إلى أن اجتاز المغاربة الصحراء. فعلينا أن نحتفظ بتلك الأصالة، بتلك الأخلاق، بتلك البيئة، بذلك التطعيم الروحي الذي لا يمكننا أن نجده إلا في تعاليم الدين، وفي المحافظة على اللغة العربية. وهذه المقومات هي التي جعلتنا وستجعلنا نئن لكل شيء أصاب العرب وأصاب المسلمين، ولا نئن فقط، بل نتجند ونجود بالروح، ونجود بالمال ونجود بالعبقرية».

ثم يضيف جلالته قائلا:

«علينا أن نحافظ على الأصالة وعلى التراث، ولكن مع التوجه للمستقبل، وهذا التوجه للمستقبل تفرضه علينا عبقريتنا، ويفرضه علينا ماضينا... علينا إذن بمعية الأصالة والحفاظ على الأصالة، والابتكار في إطار الأصالة، علينا أن نبحث على اللغات الأجنبية التي تمكننا من التعايش في القرن العشرين، والتي تمكننا من أن نصبح رجالا يفتخر بهم العرب والمسلمون والأفارقة...»

وهكذا، يبدو كيف رسم نصره الله في كثير من توجيهاته في مجال المسيرة التعليمية ببلادنا، الاتجاه السليم والمنهاج القويم اللذين ينبغي أن يتخذهما مسار التعليم، وذلك بالمحافظة على الأصالة والشخصية المغربية، والاهتمام بكل أصناف العلوم، لأن من شأن ذلك أن يعكس آمال بلادنا وهي تتطلع دوما نحو المزيد من العطاء والإنجاز على مستوى كل الميادين. فطالما سعى جلالته بكل ما له من طموح وقاد، إلى أن يجتمع لأبناء شعبه

أفضل ما في التراث الوطني والقومي، وأفضل ما أنتجه الخبرة العالمية، غايته - حفظه الله - التطلع إلى نوع المجتمع الذي يبتغيه ويرنو إليه، ونوع التربية التي تلائمه.

فلا غرابة إذن أن تهدف هذه التوجيهات السامية إلى تحرير الإنسان المغربي والتركيز على شخصية الأمة المغربية ومميزاتها وكيانها، وعدم التنكر للقيم الروحية المرتبطة بتاريخ هذه الأمة وتراثها الحضاري مع تفتح واع ومتوازن على حضارة الإنسان المتجددة. فطالما أكدت هذه التوجهيات على تربية المواطن المغربي تربية قويمة وعلمية، تحرره من كل التقاليد الاجتماعية المتخلفة، لخلق إنسان مغربي يتمتع بعقل علمي متفتح وأخلاق سامية، ووعي ناضج متبصر.

إن جلالة الملك، يسعى لكي يكون أبناء المغرب مستوعبين لمتطلبات الحياة الجديدة، وهم يعيشون معطيات ثورة علمية وتكنولوجية هائلة، حيث كل يوم هناك تطور يشمل كل مرافق الحياة. ولعل الإنسان الجديد، في مغرب القرن الواحد والعشرين، ستتبلور معالم شخصيته الإيجابية المدركة لحركة الواقع المعيش، والباعثة في كيانه روحا وثابة تسير به نحو آفاق الطموح الواسعة. فليس لأحد إمكانية وضع توجيهات معينة بقطاع له حيويته وخطورته في نفس الآن، إذا لم يكن ذا تجربة متينة، وعقل مستنير، وطاقة قوية. فمن خلال تلك التوجيهات، يمكن صياغة المناهج التربوية التي تسعف في العمل التربوي والتعليمي، إذ هي أداة خطيرة يجب أن توضع بحذر ووعي شديدين، وبتكامل وشمول وافرين. فمهمتها تكمن في بناء الأجيال، وتكوينهم تكوينا رصينا قائما على أسس متينة، لاتزعزها الخطوب ولا الأحداث الطارئة. وما فتىء جلالته يولي اهتماما واسعا لقطاع التعليم، اقتناعا منه أن الإنسان هو مركز الثقل، وأثمن ما في الوجود، والتخطيط لتعليمه وتكوينه محور التنمية والتقدم المنشودين. وما خلق الأكاديميات، وتأسيس المعاهد والكليات في كل جهة من بلادنا، إلا شاهد على مدى التفكير الجاد الذي يخص به جلالته قطاع التربية والتعليم. ولعل العمل في هذا النطاق، زاد من تشخيص الواقع التربوي وتصوراته المستقبلية، كما زاد في توضيح أبعاد السياسة التربوية التي تنهجها بلادنا، إلى جانب تحديد أهم المنطلقات التي ينبغي أن ترتكز عليها الفلسفة الاجتماعية في بلادنا.

إن هذه التوجيهات دعم حقيقي للعملية التربوية، ودفع للواقع التربوي إلى الأحسن والأفضل، وإضافة الجديد إلى التراث التربوي أيضا. وهذا دليل على

إصرار جلالته على اعتماد الأسس العلمية والأسلوب المنهجي في التعامل مع الجوانب التربوية والعلمية في بلادنا، وذلك بغية تحقيق إنجاز كبير يدعم خطواتنا المستقبلية.

ولا يختلف اثنان في أن الهدف من هذه التوجيهات، هو المحافظة قبل كل شيء على مقومات الشخصية الوطنية، ما دامت تقوم على أساس مجموعة من الدعائم، هي في واقع الأمر، دعائم كل نهضة اجتماعية وفكرية وسياسية وثقافية واقتصادية لكل شعب ينشد التقدم والرقي، ويطمح إلى الحرية والكرامة والاستقلال. ونستطيع أن نلخص هذه الدعائم فيما يلي:

1 ــ المزيد من إدخال الإصلاح على المجال التربوي كل خمس سنوات تقريبا، أو كلما دعت الحاجة إلى ذلك (تأسيس الأكاديميات مثلا إلى جانب إصلاح نظام الباكالوريا.

2 ــ اختيار أحسن المناهج التربوية الكفيلة بإعداد الأجيال الصاعدة (النشاط المكثف للندوات والمناظرات الخاصة بالمفتشين والأساتذة)، بحثا عن الجديد الملائم.

3 ــ تأسيس المدارس والمعاهد العلمية والجامعات في مختلف مناطق المغرب.

4 ــ التكوين المستمر بغية مسايرة الركب الحضاري المعاصر.

وقد أصاب جلالة الملك حين قال:

«التعليم مراجعة مستمرة، وهو إكمال مستمر، وهو البحث عن الكمال دون نهاية..»

ولعل من شأن هذه الدعائم أن تقوي الشخصية الوطنية لأبناء المغرب، وتخلق فيهم مقومات ثقافية وحضارية ودينية ووطنية.

ولا شك أن الشعب المغربي جدير بهذا التكريم، فمنذ أن تسلطت الحماية على بلادنا، والشعب إلى جانب العرش، يد واحدة، تربطهما أواصر البيعة والطاعة منذ المولى إدريس الأول، وتجمعهما الآن مصالح الحاضر، وآمال المستقبل. وهذه الأواصر المتينة توجب القيام بالواجبات الوطنية من نهضة علمية وعمرانية واقتصادية واجتماعية، للمحافظة على شرف وطننا.

الرباط ــ منير البصكري

انبعاث أمة

موسوعة وثائقية غنية بالنفائس والدرر

إعداد: الأستاذ البحاثة عبد الوهاب بنمنصور
مؤرخ المملكة
تقديم: الأستاذ المبارك الريسوني

صدر عن مديرية الوثائق الملكية، العدد الخامس والثلاثون من «انبعاث أمة، المعلمة التاريخية، والموسوعة الفكرية، التي يقوم بجمع موادها بعناية واهتمام بالغين، الأستاذ الأكاديمي البحاثة السيد عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة، ويرتب موضوعاتها ترتيبا تاريخيا يتماشى وروح المنهج العلمي المعتمد في عصرنا، تعميما للفائدة.

إن هذه المعلمة الفكري ة تقع في 399 صفحة من القطع الكبير، إضافة إلى نخبة من الصور الملكية المعبرة عن حقائق، والناطقة بإفادات، وتستعرض جانبا مهما من مظاهر نشاط صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

وتشتمل هذه المعلمة القيمة، على فهرس لمحتويات خطب ملكية ورسائل وبرقيات وبيانات وبلاغات وأحادث صحفية، إلى غير ما هنالك من استقبالات ملكية وأنشطة أخرى غنية بالدلالات.

في فجر كل سنة، تنضاف درة ثمينة من الدرر الغالية إلى معلمة الخلود والتحدي، لترصع هامة تاريخ المغرب بالمجد والعزة، والنبل والخلود.

وفي مطلع كل سنة توقد شمعة جديدة من شموع الشموخ والفخار، تخليدا لأمجاد الأمة، ولدى بزوغ كل سنة، جديدة تتعزز ثروتنا الوثائقية بالنفائس والأمهات يستبشر بها الباحثون، وتستأثر باهتمام الصفوة، وتستقطب رجالات الفكر، لما

تحويه مـن خلاصـة الخلاصات في الفكـر السياسي، وزبدة في باقي فروع المعرفة.

انبعاث أمـة، مظهر مـن مظاهـر عظمة العـرش والشعـب، وانبـاث أمـة، يجسـد الروابط المقدسة التي تربط القاعدة الصلبة بالقمـة الشامخة، لذا وجب قـراءتها قراءة متأنيـة لاستخلاص هذه الحقـائق وغيرها من الأمور التي يتعذر سردها كاملة.

وقبل الانتقال إلى الحديث عن مضمون هذه المعلمـة، أود باديً ذي بـدء، أن أشير إلى أنها باتت مـرجعا فريدا لا منـاص منه لكـل من رغـب ويـرغـب في الحديث عـن تاريخ المغرب المعـاصر، وأصبحت مصدرا لاغنى عنـه لكل من عزم ويعتـزم التعرف على قـواعـد وأصول النهضـة بعـد فجـر الاستقلال والانعتاق من حجر الحماية.

إ ن انبعـاث أمـة، يتحـدث عـن التحام العـرش بـالشعـب، وعن منظـومـة بنـاء صروح الأمـة في كبرياء وخشـوع ونكـران ذات، وعزة وإباء وشمم.

لن أتحدث عـن الإقبال المكثـف والمتميز والمتزايد يـوما عن يوم، التماسـا للحصول على أعـداد هــذه الموسـوعــةمـن قبــل المؤسسات العلمية ومعاهـد العرفان، ومن شخصيات تنتمي لعالم الفكـر والمعرفة في كل أنحاء المعمور، لأن ذلك بات في من باب تحصيـل الحاصــل، ذاك في حـاجــة إلى استشهادات مـن الموسوعة لتدعيـم بحثه، تلك المؤسســة في حاجة إليها لتلبـي، رغبة مـن يختلف إلى خـزانـة الكتب بها، إلى مـا هناك من دواعي ودوافع.

وليـس بخـاف على أح د أن الأستـاذ المؤرخ الساهر على إخـراج هذه المعلمة على هذا المستـوى الرفيع لا يـدخر جهـدا، إنه يبذل في سبيـل ذلـك كل كنـوز قـدراتـه الفكرية ليوفر المشاق على الباحثين، ولذلك، فلا عجـب إذا سمعنا الكثير ممن ينـوهون بهذه الجهود، ولا غرابة في هذا الإطراء على العمل الجاد الذي ما انفك أستاذنا يواصله بهمة عالية دون كلل.

انبعاث أمة لهذ ه السنة، غنـي كالمعتاد بالأنشطـة الغزيـرة، وحافـل كما عهدنـاه وألفناه بالجهود الملكية المختلفة، والأهداف والغايـات، والمرامي والمقاصد السـامية على جميـع الأصعدة، وسنحـاول تقـديم أهـم محاور هذه المعلمة، والاكتفـاء بالإشارة أو التلميح إلى الأخرى.

خطاب العرش: مـن الخطب التاريخ ية المهمة، لكونه يختزل تاريخ الأمة، ويجسد أبعاد الأصالة به، وعمـق الديمقراطية التي يتمتـع بها بلدنـا، ويترجـم روح التجديـد والحداثة، ويعبر عن متانة الوشائج القائمة بين عرش مجاهـد وشعب مناضـل، وهو خطاب حضاري يعمل على تـرسيخ الوعي الحقيقـي، ويعمـل على بعـث روح وطنيـة

متأججة في الأنفس، ويذكر الأمة بأمجادها طريفها وتليدها.

ويقول جلالة الملك في خطاب العرش يوم 3 مارس 1990:

«عيد العرش ذكرى بناء هذا الوطن الذي استمر منذ نشأته سامق الأركان، شامخ البنيان، ممتدا على طول اثني عشر قرنا، متجسدا في عرش ائتمنه الوطن على رسالة رعاية حقوقه، وتعلق به الشعب على مرور الأزمان».

وخطاب العرش، يعمل على عقلنة التراث ونخله، للاستفادة منه حاضرا ومستقبلا، والامتصاص من جداوله الثرة، والاستقاء من روافده الغنية، ويناشد الأمة بمد الجسور بين الأصالة والحداثة، لنكون في مستوى، الأحداث العظيمة، ومن أقدر الأمم على المواجهة والتكيف مع الأحداث، والمرونة والتفتح على العالم، لاستيعاب المنظومة الفكرية المعاصرة، مواكبة لروح العصر.

ويقول جلالته في خطاب العرش المذكور:

«فالمغرب مدعو بسبب موقعه المتميز ووضعيته الإستراتيجية، إلى التمادي في الابتعاد عن سياسة الانزواء والانكماش على الذات، ربطا لحاضره بماضيه».

وخطاب العرش، خطاب الأب البار لأبنائه البررة، يناشدهم فيه بتوظيف كل مواهبهم، وما حباهم الله به من نعم، وما من عليهم به من كنوز القدرات، لاجتثاث جذور ما تبقى من رواسب الاستعمار، وما ترسخ في الأذهان من دواعي الاستيلاب والتبعية، وإيقاف زحف وهيمنة الثالوث المثبط لكل الجهود، والمهدر للكرامة (الفقر والمرض والجهل) ليشرئبوا بأعناقهم على غد أفضل، وليتطلعوا إلى مستقبل لاحب أرحب.

ويقول جلالته في خطاب العرش هذا:

«وفي هذه الذكرى العزيزة عليك - شعبي العزيز - تتلاقى أفئدتنا أنت وأنا متعانقة، وتتشابك أيدينا متعاهدة الدؤوب لصنع المستقبل بعزم لا يكل، وإرادة لا تمل».

وخطاب العرش، حياة متفجرة بالحياة الدينية والروحية، ولذلك تنبجس منه روح تبعث على التفاؤل والأمل والطمأنينة، وينبعث منه أريج وجداني متغلغل بالروحانية، يبعث على الخشوع، ويشحذ الهمم، ويقوي الإرادات، ويدعم العزائم، كيف لا وخطاب العرش يستمد درره ويواقيته وجواهره وحكمه ومعانيه من كتاب الله وسنة رسول الله.

ويقول جلالة الملك، في خطاب العرش:

«متن اللهم آصرة المودة بيني وبين شعبي، ووفقني وخذ بيدي لأضاعف

سعادته وهناءه، وأحقق له في كل مجال أمله ورجاءه».

جاء التركيز على خطاب العرش مقصودا، لكونه يختلف عن باقي خطب المناسبات وغيرها جوهرا وروحا مضمونا وعمقا، فهو شامل وكامل، فمن خلاله نتعرف على المنهج المعتمد الذي يتبناه العرش والشعب معا في إطار التنمية والبناء والسياسة والاختيارات التي يعمل المغرب على بلورتها من جهة، وإنجازها من جهة أخرى، ونتعرف على المساعي الحميدة، والخطى الحثيثة التي تقودنا إلى مستقبل واحد وغد أفضل:

وفي هذه المعلمة ، تقديم جلالة الملك لكتاب (المسيرة الخضراء)، الذي يتضمن أبحاثا ودراسات قيمة لصفوة من المفكرين المغاربة والأجانب، ويقول جلالته في المقدمة:

«إذا كانت المسيرة الخضراء قد أثارت لدى الرأي العام الدولي تعاليق وتأملات، بل وحتى عدم التفهم، فإن ذلك يدل على أهمية وقيمة هذا الحدث المجيد، ومع ذلك فإن الأمر فيما يخص المسيرة، لم يكن يتعلق برغبة شخصية، أو بمغامرة أو قرار لا مسؤول، ولا بمجازفة في الميدان السياسي والديبلوماسي، وإنما بعمل نابع من إيمان ملك وشعب.

وبعد، فإني سأحاول تقديم بعض محاور هذه المعلمة لأبعادها ودلالتها، ولكن بإيجاز كبير.

إن أمير المؤمنين، حامي الديار، والحريص على أمجادها، يترأس غداة حلول شهر رمضان من كل سنة الدروس الحسنية الرمضانية المعتادة، التي درج عليها أسلافه ودأب عليها جلالته، فهذه الدروس نبع لكل خير وفضيلة، ولذلك تعتبر بحق من السنن الحسنية الحميدة، التي ما انفك جلالته ينميها بفكره الخصب، ويزكيها بحكمته البالغة ويرعاها بحدبه، لاستقطابها خيرة رجالات العلم من كل قارات الدنيا، ومن أصقاعها، واختلاف الألسن بها، إيمانا من جلالته بأن هذه الدروس ينتفع بها المسلمون، ويستقون منها كل ما من شأنه أن يوحد صفوفهم، ويؤلف قلوبهم على المحبة والطهر لحمل الرسالة الإلهية، ويمتصون منها رحيقا يؤهلهم لطلب الحد الأقصى للفضيلة والكمال.

وفي هذه المعلمة، استقبال جلالة الملك للمشاركين في ندوة الصحوة الإسلامية وخطابه بالمناسبة، وهو خطاب قيم وعظيم وبليغ ومهم، لكونه يحدد إطار العمل، ويحمل العلماء فيه مسؤولية إعداد الأجيال الصاعدة، ويناشدهم الله القيام بالرسالة الحقيقية الموكولة إليهم، رأبا لكل تصدع

محتمل، واتقاء لكل شروخ في البنيان الإسلامي، ويقول جلالته:

«فخوفي كل الخوف هو على الذين سيخلفوننا، ما هي نوعية الإسلام الذي سيعتنقونه وسيدافعون عنه وسيكتبون عنه، وسيلقنونه أبناءهم وأبناء أبنائهم؟».

وبهذه المعلمة، أنشطة أخرى ملكية مكثفة، تندرج في إطار الإسلام وخدمة المسلمين، من زيارة ضريح أبي العباس السبتي بمراكش، وتقديم سجادات للمسجد الأقصى بالقدس، وتوجيه رسالة ملكية سامية لأول فوج من الحجاج الميامين المتوجهين إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج، وكلمة أخرى، في الوفد الرسمي للحجاج، والوفد العسكري، إلى غير ما بهذه المعلمة من أنشطة أخرى نستنشق منها عبير الإيمان المضمخ بأريج التقوى والروح الإسلامية العالية.

وإذا أردنا ت رجمة هذه الصور، فلنستعرض نشاط جلالته في إطار لجنة القدس، ولجنة وزراء الدول الأعضاء في اللجنة الثلاثية العربية العليا المكلفة بحل الأزمة اللبنانية، وإيجاد حل لهذه الإشكالية، ومخرج لمعاناة هذا الشعب الشقيق بتوحيد الفصائل اللبنانية به، وعودة الشرعية للبلاد والسلم والوفاق والأمن والسلام. (ما استعرضته في المجال الديني هو في الواقع غيض من فيض).

وفي هذه المعلمة، خطب وكلمات ورسائل ملكية، تمحورت حول الشباب، وآفاق المستقبل، بوصفه كنزا من كنوز الأمة، والأمل الباسم بها، وطاقة جبارة لا تقهر وجب استثمارها فيما يفيد الوطن، وينفع الأمة لتقدمها وتسنمها بسنام المجد ورقيها.

ويقول جلالة الملك في خطابه بمناسبة ذكرى عيد الشباب:

ما يخامرني وما يهمني ويؤرقني ألا وهو مستقبل بلدنا، وبالطبع مستقبل شبابنا، الذي هو حارسها وبانيها، والمسؤول عنها والملتزم لها».

وقد تحدث جلالته حفظه الله في هذا الخطاب القيم عن برنامج عمل، تناول فيه بالدرس والتحليل إنشاء مجلس وطني للشباب والمستقبل، يهتم بالشباب ومستقبله، والبحث عن القنوات لإدماجه مع الفئة النشيطة، لينتظم وإياها في رحاب الشرف والكرامة، لمواصلة الجهاد الأكبر بهمة عالية.

ويقول جلالته أثناء ترؤسه للاجتماع الافتتاحي للمجلس الوطني المذكور:

«إن القصد من هذا الاجتماع، هو وضع قطار هذا المجلس على السكة، وإعطاؤه الهيكل ليسير قدما».

ومن خلال اس تقرائنا لمضمون هذا الخطاب وغيره من الخطب والرسائل التي

لها نفس المعنى والمضمـون، تتجلى لنـا المطامـح النبيلة التي كـانت أمـلا وتفاؤلا، فباتت واقعا ملموسا، وحقيقة محسوسة وممارسة.

وتضم هذه المعلمة كذلك ، أنشطة ملكية غنية بـالدلالات غزيـرة المعاني، تجسـدها الخطب الملكية السامية والرسائل والبرقيات والاستقبالات التـي تهدف بالـدرجة الأولى إلى احتـواء أزمـة الخليـج، وامتصـاص ضروب الغليان، واقتلاع بذور الشر، سعيا للم شمـل العرب، وتـوحيد الكلمـة، ورأب الصدع، وإيقاف زحـف الشروخ الذي ألم بالصف العربي الذي يتسـع يوما بعد يوم نتيجة غزو القطر العراقـي للقطر الكويتي الشقيقين، إن هـذا الغـزو يتنـافى وروح الجامعة العربية وكذا القانون الدولي، ومن خلال ما حـوته هذه المعلمة، ومـا اشتملت عليه، يتجلى لنـا أن جلالة الملك كـان بحق مـن أبـرز قـادة الأمة العـربيـة طـرا، وفي الطليعـة من أولى هـذه القضيـة الشائكـة اهتمامـا متـزايـدا، حفـاظـا على الـوحـدة الشاملة الكـاملة، وحرصا منـه على الألفة والوئام والـوفاق في إطـار التعاون البنـاء، والأسرة الإسلامية السمحاء.

إننا لا نستطيع القيام بج رد كل ما قام به جلالته، لأن المجال لايتسع لذلك، ولكن يكفي أن نقتطف شذرات من خطبه، للدلالة بها على الروح الإسلامية العـالية الموفورة التي حبا الله بها أمير المومنين أمد الله في عمره.

ويقول جلال ته في خطاب وجهـه إلى الأمة وإلى القادة العرب:

«فلنجتمع إخـواني العرب على صعيـد واحـد، ولننظر هـل هنـاك من الإجـراءات ومن التنظيمات ومـن التعهدات مـا يذيـب الحزازات، وما يشطـب من أذهـاننا ومـن أفئدتنا المخاوف التي تحيـط بالبعض منا؟ ولنتخذ مـن الضمانات الـدولية مـا يجب لإعطـاء كل ذي حـق حقـه، حتـى يرجـع الكويت كويتا، والعراق عضوا راضيا مرضيا في أسرتنا العربية وأمتنا الإسلامية.

وخلال استقبـال جلالته لـوفد ليبي ألقى خطابا مهما، ناشـد فيه القادة العرب على تدارك الأخطار المحدقة بـالأمة العربية التي طالما تربعث على أرائك المجد والخلود، تلك الأمـة التي كـانت خير أمـة أخرجـت للناس، أنشأت، صروحا للحضارة، وأقامت بنيانا شامخا للثقافة، وخلايا للفكر، فتألق نجمها وسادت بالعلم والمعـرفة، وللأسف، ما آل إليه العرب اليوم من انشقاق وفرقة وتمزق، هو نتيجـة لنزعات إقليميـة وجب تجاوزها.

وفي هذه المعلمة، نداء ملكي لمحو الأمية، باعتبار الأمية آفة تشل كل حركة ونشاط، وتجهض روح الخلق والابتكـار والتجديد، ويقول جلالته:

«لن تتمكـن الشعوب من مسايـرة هذا العـالم الجديـد إلا بـالرفـع مـن مستـواه

الفكري، وتلقينها المبادىء الأساسية لفهم هذا العالم، والأدوات الضرورية لخوض معركة المستقبل، وعلى رأسها القراءة والكتابة والحساب».

وفي هذه المعلمة الوثائقية، خطب ورسائل ملكية، تتمحور حول بناء اتحاد المغرب العربي على أرضية صلبة، وتشييد بنيانه على قواعد ثابتة تواكب روح العصر خدمة لأبناء المغرب العربي الكبير، وأن ما ورد من كلمات ملكية سامية، يتضح أن اتحاد المغرب العربي يسير من حسن إلى أحسن بعد إرساء هياكله القاعدية، وإنشاء مؤسساته التنظيمية، وأخذ اليوم يعطي هذا الاتحاد ثماره التي لاشك ستكون انعكاساتها إيجابية على أبناء هذه المنطقة، ومن خلالها الأمة العربية بكاملها.

وتناولت هذه المعلمة لقاءات أخرى على مستويات مختلفة، تندرج في إطار تدعيم الوحدة المغاربية وترسيخها، وجعلها نواة للوحدة العربية والتعاون والوفاق.

وتضم خطبا ملكية تاريخية خلال ترؤسه للمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، ومما قاله:

«نريد أن نربي أمتنا، ومن سيليها في الأحقاب المتوالية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذا قررنا أن تكون جلستنا هذه جلسة مخصصة لا لخلق دولة القانون ولكن لاستكمال دولة القانون، الدولة التي تريد أن تضع حدا للقيل والقال فيما يخص حقوق الإنسان».

وهناك أنشطة ملكية أخرى مهمة في هذا الصدد تهيب بهذا المجلس لما عهد في أعضائه من نزاهة واستقامة ومروءة القيام بالمهام المناطة به، والرسالة والموكولة إليه، التي تندرج في إطار تكريم الإنسان.

وفي هذه المعلمة، أنشطة ملكية مكثفة أخرى:

لقاء جلالة الملك بالرئيس الفرنسي، وقادة دول أخرى صديقة وشقيقة، ولقاء جلالته برئيس الحكومة الإسبانية، وما تمخض عنه هذا اللقاء لخير القطرين الجارين، إلى ما هنالك من أنشطة وطنية تستهدف الدفع بعجلة النمو إلى الأمام، نذكر منها رسالته إلى المعرض الدولي للبناء، التي تضمن نصائح وتوجيهات ملكية كريمة، وخطاب إلى المشاركين في المناظرة الأولى لغرف التجارة والصناعة، بغية تطوير هذه المؤسسات، وإدماجها في مجال محيطها العالمي.

ومن خلال هذه الشذرات الملكية، والإشارات إلى ما تحفل به هذه المعلمة، لدليل على غناها وخصوبتها واستقطابها لأنفس الدرر من أمهات الوثائق، واستيعابها لأهم المظاهر الروحية والحضارية والفكرية والعلمية والعملية والوطنية في كل الميادين وعلى كافة الأصعدة.

وفي هذه المعلمة، صور ملونة توثيقية، تعكس وبصدق لونا من التعبير والفصاحة، وضربا من البيان والبلاغة، لذا يمكن اعتبارها وثائق متميزة وصفية ناطقة تعبق بأريج الصدق ونسائم الحقيقة.

ولدلالتها التاريخية، وأبعادها كوثيقة تشد أوتار الفكر والنظر، قلما نعثر على ذلك في صور التعبير الأخرى التي يحفل بها عصرنا، ولذا، انتقى أستاذنا منها ما يطبع هذه المعلمة بطابع متميز ليدرجها ضمن الخطب والرسائل واللقاءات، بوصفها شهادات قيمة حية.

إن معلمة (انبعاث أمة) تعكس مميزات الفكر الحسني الرائد، وتترجم حرارة مشاعر العروبة والإسلام، والروح الإنسانية التي حباه الله بها.

تلك ملامح حسنية، استنشقنا عبيرها من استقرائنا لما حوته هذه المعلمة العقلانية المضمخة بمشاعر إنسانية، وما ألمحت إليه وأشرت، يرسم صورا حقيقية عن سيرة جلالة الملك كمجاهد عظيم، ومناضل كبير، ومفكر أصيل، وسياسي حكيم، وعالم قدير ضليع بليغ، ووطني غيور على بلاده وبلدان العرب والمسلمين، ويسعى إلى إشاعة نور الفضيلة في المعمور، إيمانا من جلالته بأن الفضيلة هي السبيل الوحيد للوفاق، والتفاهم، والتعاون والسلام بين كافة أقطار المعمور.

الرباط ـ المبارك الريسوني

* * *

عودة العيد

للشاعر العراشي
عفيف محمد

وتعود كالفجر الضحوك جديدا — ياخير منتظر تبارك عيدا
أنوار مجد في بهاء أصالة — أعطت نبالتها إليك خلودا
فيض تضوع كالطيوب بأرضنا — ملأت أرائجه المدى الممدودا
وتمازجت أرواحنا بجلاله — وتفتقا أغرودة ونشيدا
جهلت ولا درت العوالم أينا — نشر الجمال وهيج التغريدا
سر يظل مدى الزمان كرامة — طيا يخص المخلصين شهيدا
العرش والشعب امتداد تلاحم — عاشا سويا لؤلؤا منضودا

مولاي عيدك روضة أفياؤها — يهفو إليها المادحون وفودا
مدحوا وقد رأوا السدود تدفقت — ومدحت رأيك دافقا وسديدا
مدحوا وقد رأوا البلاد توطدت — ومدحت عزمك ثابتا ووطيدا
مدحوا وقد رأوا الحياة تجددت — ومدحت فيك الأصل والتجديدا
مدحوا المفاخر والمحاسن والندى — ومدحت آل البيت فيك جدودا
ياواهب الآمال يانبع المنى — بوركت فينا القائد المحمودا
أعطيت ما أعطى الشبيبة عزها — وأبيت إلا أن تزيد فزيدا
فلأنك الوهج الملازم نبتها — تهدي قوى طلعاتها التجديدا
النهضة الكبرى وأنت تقودها — كست المدائن والقرى والبيدا
من مهبط الإسلام من مهد الهدى — وافاك عرش الماجدين مجيدا
ترقى بشعبك للعلاء مواكبا — خطوات جدك مؤمنا مشهودا
أمران تمضي فيهما وإليهما — دين ودنيا عمما توحيدا
أقسمت والعيد السعيد بوهجه — بالمكرمات الناشرات سعودا

كم ذا فتنت وقد رأيت ملاحما ... لاترتضي حد السماء حدودا
فوقفت وقفة شاعر متأمل ... يتلو مشاعره العذاب قصيدا
فكأنني والعيد كون وارف ... ثاو شماريخ الجبال وحيدا
الأرض تبدو كالعروس تجملا ... والورد يهفو كالمحب ودودا
ونسائم الآفاق تودع مهجتي ... نفحا سماويا تفجر جودا
متع تمشى في الخواطر سحرها ... أكبرت فيها المشتهىٰ المنشودا
فجمعت أبهجها وصفت أرقها ... ونثرتها يوم الولاء ورودا
واصل بنا مولاي ركب مسيرة ... نا نظل كما عهدت جنودا
قد شاء ربك أن يراك متوجا ... ورأى فأظهر حاسديك قرودا
تأبى صحارينا وتربا نفسها ... نسبا لمن لايحفظون عهودا
كل المنابر أنكرت غوغاءهم ... وأتت هراء نباحهم تنديدا
إذ تعلم الدنيا ويدرك أهلها ... مأتى الحقيقة منطقا ووجودا
صحراؤنا بلد الأشاوس لم تزل ... علوية جلت أبا وجدودا
شِيدَتْ مبانيها وفجر ماؤها ... وجرى الربيع مدى السهول مديدا
أين الخيام إذا العجاج يهزها؟ ... أين القبائل رحلا وقعودا ؟
حلت محل ربى الرمال مقاصر ... وعلا البناء بها يفيض حسودا
حاشا الذي يصفي النبي وأهله ... حبا يعيش مشردا مكدودا

مولاي ما عمت ظلالك محفلا ... إلا اصطفيت لمبتغاه عميدا
دنيا (المغارب) من كساها وحدة؟ ... فتعانقت فيها القلوب بنودا
من سد مركبها وخط مسارها ... أرخى الشراع مكبرا ومعيدا
أنت الذي لا الغير قاد ركابها ... فمضت جليا للنجوم صعودا
سارت فبسم الله مجرى أمة ... لم يبق باب بينها موصودا
سارت وعين الله تحرس خطوها ... أبدا تشد لواءها المعقودا
وضعت يديها في يديك فأيقنت ... بالمأمل المرجو بات أكيدا

فاهنأ بعيدك خالدا ومخلدا ... يهب الرعية نفحه المعهودا
واسعد بجوهرة الشباب محمد ... صنو الرشيد كما تريد رشيدا

القصر الكبير ـ العرائشي عفيف محمد



فهرس العدد

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها:
جلالة المغفور لـه
محمد الخامس
قدس الله روحه

سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير:
الهاتف: 623.60

الإدارة
و
التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

✱

الاشتراكات: في المملكة المغربية: 70 درهماً
في العالم: 80 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485 . الرباط
Daouat El Hak compte chèque postal 485 55
à Rabat



دار الحديث الحسنية بالرباط